الأربعين
مجلة علمية محكمة نصف سنوية

الأربعين

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تعنى بنشر البحوث والدراسات في العلوم الإنسانية

تصدر عن

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

المجلد الرابع ، السنة الرابعة ، رمضان ١٤٤٧ هـ ، اذار ٢٠٢٦ م ، الملحق (٣)

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي التاسع لزيارة الاربعين

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تعنى بنشر البحوث والدراسات

في العلوم الإنسانية

المجلد الرابع ، السنة الرابعة ، الملحق (٣)

رمضان ١٤٤٧هـ ، اذار ٢٠٢٦م

جمهورية العراق - محافظة كربلاء المقدسة

العتبة الحسينية المقدسة

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

ببغداد (٢٦١٠) لسنة ٢٠٢٣م

المراسلات

توجه جميع المراسلات الخاصة بالمجلة إلى:

مجلة الاربعين - مركز كربلاء للدراسات والبحوث

E-mail: arbnj.k.center@gmail.com

ص. ب (٤٢٨) كربلاء

الهاتف:

٠٠٩٦٤٧٧٥٣٣٢٠٦٦

رئيس التحرير: أ.د. نذير جبار حسين الهنداوي

المعاون العلمي في مركز كربلاء للدراسات والبحوث

مدير التحرير: أ.م.د. ثامر مكي علي الشمري

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

هيأة التحرير	مكان العمل
أ.د. حسين سيد نور الاعرجي	(كلية التربية/ جامعة واسط/ العراق)
أ.د. برزان ميسر حامد	(كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل/ العراق)
أ.د. اياد محمد علي الارناؤوطي	(كلية الآداب/ جامعة بغداد/ العراق)
أ.د. طلال خليفة سلمان	(كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ العراق)
أ.د. عبد علي كاظم الفتلاوي	(كلية العلوم السياحية / جامعة كربلاء/ العراق)
أ.د. وجدان صالح عباس محمد	(كلية الاداب/ جامعة الكوفة / العراق)
ا.د. فاضل مدب المسعودي	(كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الكوفة/ العراق)
أ.د. صلاح الدين العامري	(المعهد العالي للحضارة الإسلامية/ جامعة الزيتونة/ تونس)
أ.د. نور الدين أبو لحية	(كلية العلوم الإسلامية/جامعة الجزائر/ الجزائر)
أ.د. عادل محمد زيادة	(كلية الاثار/ جامعة القاهرة / مصر)
أ.د. حنا جميل إسكندر	(كلية الدراسات الشرق أوسطية/جامعة سليمان الدولية/ لبنان)
أ.د. رسول جعفريان	(مكتبة تاريخ الإسلام وإيران التخصصية/ إيران)
أ.د. وانغ يو يونغ	(البحث العلمي للدراسات الدولية/ جامعة شانغهاي/ الصين)
ا.د. رنا سعد الصوفي	(معهد دراسة الثقافة والدين الإسلامي/ جامعة جوته/ المانيا)
ا.م.د غصون مزهر حسين	(كلية الأداب/ الجامعة المستنصرية/ العراق)
ا.م.د كامل جاسم دهش	(كلية التربية الأساسية/ جامعة ميسان/ العراق)
أ.م.د. جعفر علي عاشور	(كلية الآداب/ جامعة اهل البيت/ العراق)
أ.م.د. مؤيد ناجي أحمد	(الكلية التربوية المفتوحة/ وزارة التربية/ العراق)
م.د. علاء عبد الهادي المالكي	(مركز كربلاء للدراسات والبحوث/ العراق)
م.د. محمد جمال الطيف	(كلية العلوم السياحية/ جامعة اهل البيت/العراق)
د. محمد رضا النواب	(كلية العلوم الاجتماعية للإعلام والوسائط/ إيران)

المراجعة اللغوية

اللغة العربية

أ.د. أياد محمد علي الارناؤوطي (جامعة بغداد)

أ.م.د جعفر علي عاشور (جامعة أهل البيت)

اللغة الانكليزية

أ.م.د. مؤيد ناجي أحمد (الكلية التربوية المفتوحة-بغداد)

اللغة الفارسية

أ.د. عبد علي كاظم الفتلاوي (جامعة كربلاء)

م.د. محمد جمال الطيف (جامعة وارث الأنبياء)

الاخراج الفني

عماد محمد البيرماني

نبأ حيدر الشمري

بيداء غالب الموسوي

أهداف المجلة :

١. حفظ زيارة الاربعين وتوثيقها كشعيرة دينية- اجتماعية بأحدث طرق التوثيق والعرض الحديثة ورصد تأثيراتها على الفرد والمجتمع.
٢. الوقوف على المتطلبات الأساسية لزيارة الأربعين وتأمين احتياجاتها في مختلف المجالات والابعاد.
٣. استلهام الدروس والعبر من ثورة الأمام الحسين عليه السلام في تعزيز مفاهيم الوحدة والسلام ومواجهة حرب الأفكار الناعمة.
٤. ربط المفاهيم القرآنية والدينية والعقدية بالموروث الحسيني وزيارة الاربعين لزيادة الثقافة والوعي لدى الأسرة والشباب.
٥. رصد التحديات التي تواجه الزائرين في القطاعات الخدمية كافة، وتقديم سبل معالجتها ووضع الحلول لها علمياً وعملياً
٦. رفد الباحثين والقراء والمهتمين بالبحوث والدراسات التخصصية في زيارة الأربعين.
٧. السعي الى تعريف المجتمع الدولي بأهمية الزيارة ومجتمعها المليوني؛ كونها تمثل تراثاً ثقافياً وانسانياً للمجتمع العراقي خاصة، ومحبي أهل البيت عليهم السلام عامة، كما يمكن ان تكون مخزوناً علمياً للمهتمين بزيارة الأربعين وعاملاً مهماً من أجراءات الصون لملف توفير الخدمة والضيافة في زيارة الأربعين بعد أن تم تسجيله رسمياً في منظمة التربية والعلم والثقافة اليونسكو(UNESCO) عام ٢٠١٩م من قبل المركز بالتعاون مع وزارة الثقافة والسياحة والآثار .

رؤية المجلة :

تسعى مجلة الأربعين العلمية المحكمة الى أن تكون منصة علمية، لنشر البحوث والدراسات الخاصة بزيارة الاربعين؛ لتحقيق أضافة علمية للمهتمين بهذه الشعيرة المباركة.

سياسة الخصوصية:

تتسم مجلة الأربعين العلمية المحكّمة بالدقة والرصانة والسرية في العمل، بحيث تحافظ على سلامة الأبحاث الواردة اليها، وتلتزم بخصوصية البيانات والمعلومات التي يرسلها المستخدم، دون الإفصاح بها لأية جهة.

سياسة النشر في المجلة:

تُرحّب مجلة الأربعين العلمية المحكمة بنتاجات السادة الباحثين من داخل العراق وخارجه، وتقوم بنشر بحوثهم عبر الاختصاصات الإنسانية والعلمية والتطبيقية المختلفة باللغتين العربية والانجليزية، ابرزها: (الدراسات الاجتماعية والانتروبولوجيا، الدراسات الثقافية والفكرية والعقائدية، الدراسات التاريخية والتراث، الدراسات الجغرافية والمكانية، الدراسات الاقتصادية والسياحية، الدراسات القانونية والتنظيمية، وفقاً للقواعد الآتية:

١. أن يكون البحث المراد نشره متميزاً وجديداً في موضوعه، ومستوفياً لشروط منهج البحث العلمي المعتمدة.

٢. ألّا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق أوخارجه، أومقتبساً من كتاب، أو منقولاً من شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على أن يقدّم الباحث تعهداً خطياً بذلك يُرفق مع البحث، ويعاد البحث للباحث إذا كانت درجة كشف إستلاله أكثر من ٢٠٪.

٣. أن يكون البحث سليماً من الأخطاء اللغوية والنحوية مع مراعاة الدقّة في الأسلوب بشكل صحيح.

٤. يلتزم الباحث بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث الترتيب والتنظيم.

٥. مراعاة وضع الخرائط والصور والجداول في مكانها أينما وردت في متن البحث.

٦. يُسلَّم البحث إلى هيأة التحرير مطبوعاً على نظام (word) ورق (A4) مع قرص مدمج (CD) يتضمن مادة البحث ونمط الخط (Times new roman) وحجم الخط (١٤) للبحوث العربية و (١٢) للغة الانكليزية على أن لاتزيد صفحات البحث عن (٢٥) صفحة وما زاد على ذلك يتحمّل الباحث دفع مستحقّاته المالية، ولا تقلّ عن (١٠) صفحات.

٧.يجب وضع المصادر في نهاية البحث حسب ترتيب الحروف الأبجدية وعلى أن يُتّبع في ترتيبها الطرق المتعارف عليها في كتابة المصادر العلمية كالاتي: اللقب ، اسم المؤلف، اسم الكتاب، اسم المحقّق (إذا كان الكتاب محققاً)، رقم الطبعة، اسم المطبعة، مكان النشر، سنة النشر.

٨.تنسيق الهوامش حسب النظام الضمني (APA) وفق المعايير المعتمدة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

٩. على الباحث أن يرفق مع بحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية، اذا كان يتعامل مع المجلة لأول مرة.

١٠. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الاتية: عنوان الباحث واسمه، وجهة عمله، ورقم الهاتف والبريد الاليكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث أو أي إشارة الى ذلك باللغتين العربية والانكليزية كما في القالب الخاص بالمجلة.

١١.إن البحوث كلّها تخضع للتقويم العلمي السري من قبل هيأة التحرير وجمع كبير من الأساتيذ في مختلف الاختصاصات العلمية، لبيان صلاحية نشرها، ولاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل، وفق الآلية الآتية:

- يبلغ الباحث بتسلم المادة المرسلة للنشر خلال مدة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.
- يخطر أصحاب الابحاث المقبولة للنشر موافقة هيأة التحرير على نشرها.
- الأبحاث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها، تعاد الى أصحابها مع الملاحظات المحددة لإجراء التعديلات النهائية عليها.
- الأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه الكترونياً او ورقياً.

١٢.يخضع ترتيب الابحاث المنشورة لموجبات فنية، ويراعى في أسبقية النشر ما يأتي:

- تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.
- تاريخ تقديم الابحاث التي يتم تعديلها.
- اللقب العلمي للباحث.

١٣.لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسليم بحثه.

١٤.تلتزم مجلة الأربعين العلمية المحكمة بالحفاظ على حقوق الملكية الفكرية للمؤلفين.

١٥. إن يعطي المؤلف حقوقاً حصرية للمجلة تتضمن النشر والتوزيع الورقي والالكتروني والخزن واعادة الاستخدام للبحث.

١٦. تُرسل البحوث على البريد الالكتروني لمجلة الأربعين الدولية العلمية المحكمة :

arbnj.k.center@gmail.com

وللاستفسار الاتصال على الهاتف:

00964775332066

عنوان المجلة

العراق – كربلاء المقدسة – باب بغداد– شارع السيدة زينب الكبرى عليها السلام

مركز كربلاء للدراسات والبحوث– شعبة زيارة الأربعين.

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة أن تعكس وجهة نظر المجلة

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

No.: الرقم: ب ت ع / ٥٦٢٥
Date: التاريخ: ٢٠٢٣/٧/٤

الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة / مركز كربلاء للدراسات والبحوث

م/ مجلة الاربعين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم المرقم م/٤٨١ بتاريخ ٢٠٢٣/٣/٨ ، والمتضمن استحداث واعتماد مجلتكم لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ، حصلت الموافقة بتاريخ ٢٠٢٣/٦/٢١ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى ، واعتباراً من المجلد الاول ـ العدد الصفري ـ اذار ـ لسنة ٢٠٢٣ لتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في أعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط استحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٣/ ٧ /٤

نسخة منه الى:
- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ اشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت ع/٥٠٩١/٤ في ٢٠٢٣/٦/٢١
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة والنشر... مع الاوراق
- الصادرة

مهند ابراهيم
٧/٣ ـ ٦/٢٩

شهادة الاعتماد الدولي

لمركز كربلاء للدراسات والبحوث

من منظمة **اليونسكو** (برنامج الذاكرة العالمية)

تأريخ الأعتماد: ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٤م

Convention for the Safeguarding of the Intangible Cultural Heritage

The Intergovernmental Committee for the Safeguarding of the Intangible Cultural Heritage has inscribed

Provision of services and hospitality during the Arba'in visitation

on the Representative List of the Intangible Cultural Heritage of Humanity upon the proposal of Iraq

Inscription on this List contributes to ensuring better visibility of intangible cultural heritage and awareness of its significance, and to encouraging dialogue that respects cultural diversity

Date of inscription

12 December 2019

Director-General of UNESCO

شهادة تسجيل ملف

(توفير الخدمة والضيافة في زيارة الاربعين)

المسجل من قبل مركز كربلاء للدراسات والبحوث

بالتعاون مع وزارة الثقافة والسياحة والاثار في

منظمة التربية والعلم والثقافة (**اليونسكو**)

بتاريخ ١٤-١٦/كانون الاول ٢٠١٩

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ, آذار - ٢٠٢٦م

المحتويات

المساندة الأجتماعيـــة ودورها في زيارة الأربعين ٢١
م.حنان حسين نعمة , م.د.ميسون ورد سلمان

تحليل مقارن للمكونات الروحية والأخلاقية في مسيرة الأربعين ومسيرة كمب ميلا نهر الغانج دراسة التسامح والصمود والمحبة ٤٧
م.م.مريم چلمقانى . د.محمد شيروانى

فن البانوراما وتوثيق الحدث الديني لزيارة الاربعينية (مقترحاً جمالياً) ٨٣
م.وعد عدنان محمود , م.م.احمد رزاق يونس

عملية التسامي الروحي على أرضية مسيرة الأربعين العالمية ١٠٧
م.م.مريم چلمقاني

سايكوسوسيولوجية الإنسان الحسيني في ضوء التّفاعل النّفسي والاجتماعي العميق مع زيارة الأربعين ١٥٥
م.م. وفاء وهيبي

الشعائر الحسينية في الهند والعراق دراسة مقارنة في ضوء الالواح الفنية .. ١٨٧
الباحث عدي حياوي كشكول الشباني

التأثيرات النفسيةوالاجتماعية لزيارة الاربعين على الاطفال وانعكاساتها على النشأة الحسينية ٢٣٥

م.م أحمد مزاحم هادي

الدروس العالمية لمسيرة الأربعين: رؤية الغرب لمفهوم الإيثار والتضحية.. ٢٦٩

م.م. ريم كاطع عطية البديري

الرواية الحسينية بين البحث العلمي والتاريخ الإسلامي والقصة الفنية المعاصرة (الرواية الأربعينية- مجموعة «زوريه» أنموذجًا) ٢٩٥

الروائية والباحثة الإسلامية رجاء محمد البيطار

الزيارة الاربعينية في المهجر دراسة في أثرها الروحي والاجتماعي على الجالية الشيعية في كندا ٣٣٧

م.م نيران سالم داغر السراي

الزيارة الأربعينية ودورها في نشر المفردات القرآنية وتطور اللغة العربية من خلال التفاعل مع غير الناطقين بها ٣٨١

م. م شذى صادق جعفر

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ، آذار - ٢٠٢٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التحية والتسليم على النبي الهادي الأمين أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين...

تعد زيارة الأربعين من المناسبات الدينية، والاجتماعية، التي تُمارس طقوسها في العشرين من شهر صفر الخير من كل عام هجري، ونظراً لما تمتاز به هذه التظاهرة المليونية من مضامين إنسانية واجتماعية وتربوية واخلاقية فضلاً عن أنها هوية ثقافية وحضارية لمحبي أهل البيت عليهم السلام، أولى مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة اهتماماً بالغاً بهذه الشعيرة المباركة ومن جوانبها المختلفة، ولاجل حفظ تراث زيارة الأربعين وبيان متغيراتها، جاءت فكرة استحداث هذه المجلة العلمية والتي تمثل باكورة الإهتمام بقضايا الاربعين على المستوى العلمي والأكاديمي والذي لمسنا آثاره الجلية خلال أقامة المركز للمؤتمر العلمي الدولي لزيارة الاربعين بنسخه التسعة والتي شهدت مشاركة واسعة من قبل المختصين في مختلف المجالات والعلوم عن طريق الابحاث والدراسات العلمية الدقيقة التي شملت محاور عدة لزيارة الاربعين المباركة وقد جاء (الملحق الثالث من المجلد الرابع/ السنة الرابعة) من مجلة الاربعين ليركّز بصورةٍ إجمالية على ترسيخ المقاربات العلمية المتعددة التخصصات في دراسة زيارة الأربعين، بوصفها ظاهرةً إنسانيةً كبرى تتقاطع فيها الأبعاد الدينية والاجتماعية والإعلامية والأمنية والتنموية. إذ يعالج العدد قضايا الخطاب والتواصل والتأثير، ويهتم بتنظيم الحشود وإدارة التدفقات البشرية وفق

أسس علمية، ويبرز أهمية الأمن الشامل والرقمي في دعم الاستقرار، فضلاً عن تسليط الضوء على الاستدامة الحضرية والسياحية لمدينة كربلاء، مع التأكيد على توظيف التقنيات الحديثة والابتكار في خدمة الإنسان والمدينة والحدث، بما يعزّز الفهم العميق لزيارة الأربعين ويقدّم رؤية علمية داعمة للتخطيط واتخاذ القرار. والتي نأمل من الله عزَّ وجلَّ أن تنال رضا القارئ الكريم كما وتشكل إضافة نوعية لمكتبتنا العربية والاسلامية.

ومن الله التوفيق والسداد

مدير التحرير

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

المساندة الأجتماعيـــة
ودورها في زيـــــارة الأربعين

م.حنان حسين نعمة
كلية العلوم الإسلامية-جامعة بغداد
hanan.h@cois.uobaghdad.edu.iq

م.د.ميسون ورد سلمان
كلية العلوم الإسلامية-جامعة بغداد
maysoon.w@cois.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

خلق الله الإنسان كائنًا اجتماعيًا، لا يكتمل كيانه إلا من خلال علاقاته وتفاعله مع الآخرين، ومن هذا المنطلق جاءت المساندة الاجتماعية كأحد أعمدة البناء المجتمعي. وقد أولى الإسلام أهمية بالغة لهذا المفهوم، حيث قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة: ٢) كما قال رسول اللهﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [رواه مسلم]. وتُعدّ زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام تجليًا واقعيًا وروحيًا لتلك القيم، حيث يتوافد ملايين الزائرين مشيًا على الأقدام، في أبهى صور التضامن الإنساني والتكافل المجتمعي. وفي خضم هذا المشهد، تتجلى المساندة الاجتماعية في أدق تفاصيلها: من الخدمة المجانية إلى التبرع، ومن البذل المادي إلى العون المعنوي، لترسم صورة من صور المجتمع المثالي الذي أراده الإسلام.

الكلمات المفتاحية : زيارة الأربعين، التضامن الاجتماعي، المساندة الانسانية،

Social Support and Its Role in the Arbaeen Pilgrimage

Lect. Hanan Hussein Ne'ma
College of Islamic Sciences – University of Baghdad
Lect.Dr. Maysoon Ward Salman
College of Islamic Sciences – University of Baghdad

abstract

God created man as a social being, whose entire being is complete only through his relationships and interactions with others. From this perspective, social support emerged as one of the pillars of societal construction. Islam has placed great importance on this concept, as God Almighty says: {And cooperate in righteousness and piety, but do not cooperate in sin and aggression} [Al-Ma'idah: 2]. The Messenger of God, peace and blessings be upon him, also said: "And God helps the servant as long as the servant helps his brother" [Narrated by Muslim]. The Arbaeen pilgrimage to Imam Hussein (peace be upon him) is a tangible and spiritual manifestation of these values, as millions of pilgrims flock to it on foot, in the most splendid form of human solidarity and societal support. Amidst this scene, social support is evident in its finest details: from free service to donations, from material giving to moral support, to paint a picture of the ideal society that Islam envisions.

Keywords :Arbaeen pilgrimage, Social solidarity, Solidarity and social support

المقدمة

تُعدّ المساندة الاجتماعية من الركائز الأساسية التي يقوم عليها تماسك المجتمعات واستقرارها، لما لها من أثر بالغ في دعم الأفراد نفسيًا واجتماعيًا، ولا سيما في المناسبات الكبرى ذات الطابع الديني والروحي. وتُعدّ زيارة الأربعين للإمام الحسين ﷺ إحدى أبرز الظواهر الإنسانية والدينية في العصر الحديث، والتي تشكّل مشهدًا فريدًا من صور التلاحم الاجتماعي والتكافل الإنساني. ففي هذه المناسبة الخالدة، تتجلّى أسمى معاني التضامن والتعاون بين ملايين الزائرين من مختلف البلدان، حيث تنبثق المساندة الاجتماعية من عمق الإيمان، لتترجم إلى ممارسات تطوعية، ومواقف أخلاقية، وأفعال اقتصادية واجتماعية تعكس القيم الإسلامية في أبهى صورها. ومن هنا، تنبع أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على مفهوم المساندة الاجتماعية، ومظاهرها المتعددة، ودورها الفاعل في إحياء الشعائر الدينية، وخصوصًا في زيارة الأربعين لتصبح ظاهرة حضارية وإنسانية .

تقوم إشكالية البحث حول السؤال التالي: ما هو دور التضامن الاجتماعي في زيارة اربعينية الامام الحسين ﷺ؟ اما منهجية البحث: لقد احتوى البحث على مقدمة ومبحثين وعدة مطالب، فجاء المبحث الأول بعنوان (المساندة الاجتماعية ودورها في الإسلام) اما المبحث الثاني فكان بعنوان (اثر المساندة الاجتماعية في الزيارة الأربعينية الخالدة)، وختم البحث بخاتمة وقائمة للمصادر.

المبحـــــث الأول
المساندة الأجتماعية ودورها في الأسلام

المطلب الأول - المفهوم اللغوي للمساندة الاجتماعية :

المساندة الأجتماعية لغة :

١. السند، سند اليه وأعتمد عليه وأتكأ (عطية، ٢٠٠٤، ص٣٥٦).

٢. ما ارتفع من الأرض في قبل الجبل أو الوادي، والجمع أسناد لا يكسر على غير ذلك ، وكل شيء أسندت اليه شيئاً، فهو مسند، وساندت الرجل مساندة.أي عاضدته (ابن منظور، ٢٠٠٨، ص١٨٧) .

المطلب الثاني - المفهوم الأصطلاحي للمساندة الاجتماعية

عرفت بأنها مدى توافر أشخاص للفرد يثق بهم كالأسرة، والأصدقاء يقفون إلى جانب الفرد عندما يحتاجهم، وتعرف إجرائيا بالدرجة التي يحصل عليها أفراد من قبل المجتمع (العامري، ٢٠٠٣، ٣٧).

وتعرف ايضًا على أنها إقرار الفرد بما يصدر عنه من أفعال، واستعداده لتحمل نتائجها، وتعرف إجرائيا بالدرجة التي يحصل عليها أفراد عينة الدراسة على مقياس المسؤولية الاجتماعية (الرميح، ٢٠٠٤، ٥٧).

وعرفت على أنها جميع الإمدادات التي يقدمها الآخرون للفرد لمساعدته على مواجهة الضغوط (Cheng s. & Chan,2004)، وعرفها البعض بأنها أساليب المساعدة التي يتلقاها الفرد من الأسرة، والأصدقاء، والتي تتمثل في تقديم المساعدة، والمشاركة والاهتمام، والتشجيع، والتوجيه في جميع جوانب الحياة، والتي تشبع الحاجات المختلفة للفرد، وتشعره بالأمن، وتزيد من ثقته بنفسه، وتساعده على تكوين علاقات اجتماعية (إسماعيل، ٢٠٠٤، ص٨٧).

كما أن المساندة الاجتماعية هي الإمكانيات الفعلية، أو المدركة للمصادر المتاحة في البيئة الاجتماعية للفرد، والتي يمكن استخدامها للمساعدة في أوقات الضيق، وتزود الفرد بالمساندة، والدعم الاجتماعي من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية التي تضم كل الأشخاص الذين لديهم اتصال اجتماعي منتظم بشكل، أو بآخر مع الفرد. كما يقصد بها أسلوب لمساعدة الفرد بقصد مواجهة مشاعر القلق، والنقص، وعدم الثقة (عطية ، ٢٠٠٤، ص٣٥٢).

وأن المساندة الاجتماعية هي مقدار ما يتلقاه الفرد من دعم وجداني، ومعرفي، وسلوكي، ومادي خلال علاقاته بالآخرين ممن حوله في الشبكة الاجتماعية التي ينتمي لها الفرد، وخاصة عندما يواجه أحداثاً ضاغطة، أو مواقف تثير القلق، وتسبب المتاعب (إسماعيل، ٢٠٠٤، ص٨٨).

كما أن المساندة الاجتماعية تشمل الخصائص التركيبية للشبكة الاجتماعية، والتي تنظم المحتوى الاجتماعي، والتفاعلات الاجتماعية كما تشمل المظاهر الوظيفية للتفاعلات، والعلاقات بين الأشخاص، وتتوقف على ثلاثة عوامل هي: شبكة مقدمي المساندة ويقصد بها الخصائص البنائية للمساندة الاجتماعية مثل تقديرات الأفراد ومدى تواصلهم الاجتماعي، ونوعية العلاقات المتبادلة بين الأفراد. ونمط ومقدار المساندة (Porter, c. & Olive, A., 2007).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

المطلب الثالث: أهمية المساندة الأجتماعية في الأسلام

يشعر الإنسان المؤمن أن الله سبحانه وتعالى معه في كل وقت وحين، ويمسك بزمام أمور حياته، فيشعر دائماً بالأمان ويسعد بهذا السند، ولا يخاف ولا يهلع إذا مسه الضر، فيلجأ إلى الله طالباً العون والمدد وهو واثق أن الله سبحانه مجيب دعائه فيهدأ ويطمئن قلبه، مما يكسبه حصانة من الأمراض النفسية والعقلية (الصدوق، ٢٠٠٧، ص١٧٩)، فالإحساس بوجود الله – سبحانه وتعالي – يجعل المؤمن يشعر بالاطمئنان والراحة بحماية الخالق له في أمور حياته كافة، وفي جميع أوقاته الصعبة، فيؤدي ذلك إلى الثقة ونور القلب ويقين بالروح أن الله معه (عطية، ٢٠٠٤، ٣٥٧).

والحقيقة أن لا أحد ينكر فضل الإسلام أولاً في وضع أسس المساندة الاجتماعية، من خلال وضعه الأسس الدعم الاجتماعي سواء على المستوى المادي من خلال مساعدة المسلم لأخيه المسلم، وتقديم العون للفقراء والمساكين أو المساندة المعنوية، كصلة الرحم وعيادة المريض وغيرها، وكيفية التعامل مع أصحاب الحاجات والمشكلات الصحية والنفسية، ولم يترك شيء في هذا الصدد إلا تناوله وفصل القول فيه، هذا من قبيل الإشارة فقط لفضل الإسلام وسبقه (الطبري، ١٩٦٥، ٤٦٨)، وهذا يتضح في آيات عدة من القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أشداء على الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح: ٢٩). وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.(الحجرات: ١٠) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ .(الأنبياء : ١٠٧)

المطلب الرابع: المساندة الأجتماعية في القرآن الكريم

١. الدعوة إلى التعاون والتسامح، والتعاطف وتبادل المنافع وإقامة علاقات حسنة مع الآخرين (الصدوق، ٢٠٠٧، ص١٨٧)، فقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢).

٢. تكوين العلاقات الحسنة، والبر والإحسان ليشمل القريب والبعيد (الصدوق، ٢٠٠٧، ص١٨٨)، ومصداقاً لقوله تعالى: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا . (النساء : ٣٦).

٣. المعاونة والمساندة والمساعدة ويظهر في استجابة من الله عز وجل لطلب سيدنا موسى عليه السلام من ربه أن يرسل معه أخاه هارون كي يكون عونه ولسانه يقويه ويساعده على مواجهة المواقف الصعبة أثناء دعوته فرعون وبني إسرائيل للإيمان بالله، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾(القصص: ٣٤).

٤. تنمية الروابط الأخوية بين أفراد المجتمع، حيث أنه أكد على صلة الأرحام فهي مظهر من مظاهر التكافل والتعاطف، والبر والتقوى قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : ١)

٥. وتبدأ صلة الأرحام برعاية الوالدين وبرهما ويؤكد الإسلام على مساندتهما عند الكبر في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء : ٢٣)

٦. الإنفاق من أجل التكافل حيث أوصانا الإسلام بالإنفاق بأوجه كثيرة حتى تنتشر المودة والرحمة فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (المعارج: ١٢٥-٢٤). وهو أن يقدم المسلم لأخيه المسلم الدعم المادي الذي يحتاجه ويخفف كربته وجلاء لِهَمِّهِ (إسماعيل، ٢٠٠٤، ص٨٩).

المطلب الخامس: المساندة الأجتماعية في الأحاديث النبوية:

تزخر السنة المحمدية بالكثير مما يعلم الإنسان أصول المساندة والدعم لبعضهم البعض فيشعر كل فرد بالأمن، لأنه سيشعر بأن هناك من يقف بجانبه ويسانده، وعن النبي محمد ﷺقال: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يسر الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله له به طريقا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ الله ويتدارسون بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عليهم السكينة، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةَ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطأ به عمله لم يُسرع به نسبه (فضل الله، ١٩٩٦، ص٤٥).

وللتحية وإلقاء السلام على المسلمين والبشاشة في وجوههم أثر كبير في نفوس الناس وتكوين علاقات اجتماعية عميقة معهم، وهذا ما حثنا عليه رسولنا الكريم – عن أنس الله عن النبي قال: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ – أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ – مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ (فضل الله، ١٩٩٦، ص٤٦).

كما دعانا نبي الله محمد ﷺ إلى إقامة علاقات قوية راسخة علاقات لا تنقسم عراها كأنها كتلة واحدة متساندة متعاضدة بشدة، كل جزء منها إلى الذي يليه، فعن

أبي موسى قال: قال نبي الله (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِن كَالْبُنْيَانِ يَشدُّ بعضُه بعضاً) (فضل الله، ١٩٩٦، ص٤٧). وقد بين النبي محمد ﷺ حال أفراد المجتمع في تماسكهم وتساندهم بصورة تمثيلية رائعة، حيث قال : مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضو تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمّى (الطوسي، ص٨٨) .

وقد صور نبي لله محمد ﷺ هذه الصورة في مثال رائع عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي، قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) (الطوسي، ص٨٩) .

ومن خلال العرض السابق نجد أن الإسلام شمل المساندة الاجتماعية وجوانبها المختلفة، وهذا يعنى أن جذور المساندة موجودة في الدين الإسلامي وتظهر في أكثر من صورة من صور التكافل والتراحم (عطية، ٢٠٠٤، ص٤٧٦) .

وترى الباحثتان من خلال عرضهما للمساندة الاجتماعية أنها ضرورية لكل إنسان، حيث أنها تلعب دوراً فعالاً وبارزاً في اعتزاز الشخص بنفسه، وتعزز الثقة بقدراته مما ييسر له سبل التناغم مع المجتمع، وبالتالي يعزز شعوره بالألفة والمحبة مما يشعره بالرضا عن نفسه والذي يظهره بالتوافق النفسي في كافة أمور حياته.

المبحـــث الثاني
أثر المساندة الأجتماعية في الزيارة الأربعينية الخالدة

المطلب الأول : التعريف بالزيارة الأربعينية

تكشف زيارة الأربعين عن جانب من تجليات عظمة شخصية الإمام الحسين بن علي ﷺ ومقامه الشامخ، وموقعه في الوجدان الشعبي عند الناس، إذ تزحف الملايين المؤمنة من كل حدب وصوب مشياً على الأقدام نحو قبر الإمام الحسين ﷺ لزيارته في ذكرى الأربعين من كل عام (زيارة الأربعين، دلالاتها وقيمها خبير مركز تبيين للتخطيط والدراسات الستراتيجية).

وفي كل زيارة للإمام الحسين ﷺ يتجلى جزء من عظمته، وسر من أسراره، وفي كل عام يزداد عشاق الإمام الحسين ﷺ ومحبوه لتشكل (زيارة الأربعين) ذروة الزحف نحو حرمه الطاهر ومشهده الزاهر؛ ليكونوا بالقرب من روحه ونهجه وشعاعه المبارك، كي يستلهموا منه قيم العدل والإصلاح والحق، وقيم التضحية والبذل والإيثار والإخلاص والمسؤولية (امير عبد، ٢٠٢٣، ص٢٤).

وتثبت زيارة الأربعين جاذبية الإمام الحسين ﷺ ، فلا يمكن لأحد أن يجمع هذه الملايين من البشر، وبقناعة وحماس منقطع النظير، وفي وقت واحد، ومكان واحد؛ كما جمعهم الإمام الحسين ﷺ في يوم الأربعين، والموافق للعشرين من شهر صفر من كل عام (أمير عبد، ٢٠٢٣، ص٢٥).

وتتجلى في زيارة الأربعين للإمام الحسين ﷺ الأجواء الروحانية والإيمانية العميقة، ويستمد المؤمنون منها طاقة معنوية هائلة، مملؤة بلذة العبادة، وحلاوة الإيمان، وتزكية النفس وتهذيبها؛ من خلال المشي لا عن قلة راحلة وإنما من أجل جهاد النفس، وهو الجهاد الأكبر كما سمّاه نبي الله محمد ﷺ (webcache.googleusercontent.com .

والإمام الحسين ﷺ الذي قُتِل مظلوماً، وبصورة بشعة جدّاً، وعمد أعداؤه إلى تشويه أهدافه النهضوية، واتهموه مع أهل بيته وأصحابه بأنهم من الخوارج؛ لكن ما نراه اليوم في زيارة الأربعين أن الملايين من الناس تزحف نحو قبره الشريف، ليعلنوا أنهم مع الإمام الحسين ﷺ في أهدافه وقيمه ومبادئه، وأنهم مع المظلوم ضد الظالم، ومع المقتول ضد القاتل، ومع الحق ضد الباطل، وهذا يعني أن الإمام الحسين ﷺ هو المنتصر الحقيقي في معركة كربلاء(أمير عبد، ٢٠٢٣، ص٢٥).

لقد انتصر الإمام الحسين ﷺ بشهادته، وانهزم أعداؤه بجريمتهم البشعة، حيث قاموا بقتل سبط نبي الله محمد ﷺ وريحانته وحبيبه شر قتلة، ولكن الحسين ﷺ انتصر بمبادئه وقيمه وأهدافه، وبقي ذكره مخلداً في العالمين؛ أما أعداؤه فلم يحصدوا إلا الخيبة والعار والشقاء، والخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة (الصدر، ١٩٨٥، ص١٨٠).

وفي الحقيقة إن ظاهرة الزيارة المليونية في زيارة الأربعين للإمام الحسين ﷺ تعبر عن انتصار القيم والمبادئ والأهداف التي استشهد من أجلها الإمام الحسين ﷺ في معركة كربلاء؛ كما تؤكد على أن الانتصار المادي الذي حدث في كربلاء للجيش الأموي كان مؤقتاً وزائلاً، بينما انتصار القيم والمبادئ مستمر وثابت، وهذا ما أكدته أحداث كربلاء وما حدث بعدها؛ وهذا هو الانتصار الحقيقي والخالد (الصدر، ١٩٨٥، ص١٨١).

وتشير هذه الملحمة الحماسية الحسينية التي تتجسد في أجلى صورها في زيارة الأربعين؛ حيث يشاهد العالم كله الملايين من البشر تزحف مشياً على الأقدام نحو قبر الإمام الحسين ﷺ حباً وعشقاً لمن ذاب في الله، وضحى في سبيل الله، وأعطى كل شيء من أجل الله؛ فذاب الناس فيه عشقاً وهيَاماً (شريم، ٢٠١٦، ص١٧) .

ومع مرور الزمن تزداد القضية الحسينية توهجاً، وتشتد حرارتها ولا تبرد أبداً، وقد تنبأ نبي الله محمد بذلك، فقد روي عن ابن سنان عن جعفر بن مُحَمَّد الصادق ، قال: نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الحُسَينِ بنِ عَلِيّ ﷺ وهُوَ مُقبِلٌ، فَأَجلَسَهُ في حِجرِهِ، وقالَ: «إنَّ لِقَتلِ الحُسَينِ حَرارَةً في قُلوبِ الـمُؤمِنينَ لا تَبرُدُ أَبَداً» وحدث ما تنبأ به رسول الله بالضبط، حيث نلاحظ في عصرنا الملايين من البشر تزحف في كل أربعينية نحو قبر الإمام الحسين ﷺ، ولم تمنعهم حرارة الشمس، ولا سوء الطقس، ولا جرائم الإرهاب، بل تحدّوا كل المخاطر والمصاعب بإرادة وعزيمة لا تلين نحو زيارة الإمام الحسين ﷺ، وإحياء مناسبة الأربعينية بأجمل صورة عرفتها الإنسانية. وإذا كان من الحب ما قتل، ومن العشق ما جنن؛ فإن حب الإمام الحسين ﷺ وعشقه فيه كل الخير، وعلامة على الإيمان والتوفيق، فقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «مَن أرادَ اللهُ بِهِ الخَيرَ قَذَفَ في قَلبِهِ حُبَ الحُسَينِ ﷺ وحُبَّ زِيارَتِهِ، ومَن أرادَ اللهُ بِهِ السّوءَ قَذَفَ في قَلبِهِ بُغضَ الحُسَينِ ﷺ وبُغضَ زِيارَتِهِ» (الصفار، محمد، شرح زيارة الأربعين،https://www.youtube.com / ،تاريخ الزيارة١٢٠٢./ ./ ٢٥).

وعنه أيضًا ﷺ أنه قال: «مَن لَم يَزُر قَبرَ الحُسَينِ ﷺ فَقَد حُرِمَ خَيراً كَثيراً، ونُقِصَ مِن عُمُرِهِ سَنَةٌ». فالسعيد من رزق حب الإمام الحسين ﷺ والتوفيق لزيارته، والمحروم حقاً من حُرم من هذا الخير، وأما من استكثر من الزيارة فقد استكثر من الخير كثيراً، فطوبى للزائرين الموالين وحسن مآب (مركز كربلاء للدراسات والبحوث، زيارة الأربعين النشرة الإحصائية ،https://c-karbala.com/، تاريخ الاطلاع،٢٥/ ٤/ ٢٠٢٤ص١٤).

المطلب الثاني : دور المساندة الأجتماعية في المجال الديني والأخلاقي

لا يخفى أن زيارة الأربعين تكتنز قيماً ومبادئ اجتماعية ودينية وثقافية وسياسية متعددة، ولكن يجب التأكيد هنا على أن الحشود المليونية التي تتدفق بشكل تلقائي نحو مدينة كربلاء المقدسة وفيهم الطفل والمرأة والشيخ والمعاق لإحياء هذه الزيارة متحملين عناء الطريق ومخاطره بعفوية العواطف والحماس المنقطع النظير تمثل بحق ظاهرة جديرة بالدراسة والتأمل بعد أن أضحت حدثاً عالمياً ذا أبعاد متعددة في جوانبه كافة، فهي محطة تعبوية تنهل من معينها الأجيال عبراً ودروساً بما تحمله من مبادئ إنسانية وقيم تخدم المسيرة البشرية التي تنشد السلام والأخوة والتعايش السلمي، وهذا التجمع المليوني ماعاد طقساً جامداً تتخلله مراسم العزاء والحزن، وإنما عملية تأمل في كيفية مواجهة الانحراف والظلم، وفضلا عن ذلك هو يعد عملية تفاعلية تكسر الجمود والسلبية في تأطير القضية الحسينية بتجلياتها المادية الحسية بعيداً عن عناصرها المتفاعلة في تسطير خلود الدم على السيف بما يخدم اهداف الامة وتطلعاتها، لقد تركت زيارة الأربعين بصمات جلية في تاريخ الاسلام، لأنها لم تكن هامشية أو طارئة، تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر، فهي حدث خالد بخلود واقعة كربلاء، واحاديث استحباب تلك الزيارة ما زالت تحفر في ذاكرة الزمن خلودها الابدي، وقد أولى الائمة المعصومون عليهم السلام زيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام عناية فائقة واهتماما خاصا وحثوا اصحابهم عليها واكدوا عليها في كثير من الموارد، وقد وردت في ذلك الكثير من الاحاديث والروايات عنهم عليهم السلام في فضل زيارة الحسين عليه السلام والثواب الجزيل الذي يصيبه الزائر بزيارته (أيوب، ٢٠٢١، ص١٧).

كما تعد الزيارة الأربعينية من أهم الشعائر الحسينية المقدسة من حيث آثارها وحجمها وتفاصيلها ومصادر زوارها ، فهي مناسبة إنسانية يشترك فيها الناس باختلاف دياناتهم وطوائفهم

متخذين من الحسين ﷺ رمزا ثوريا ونبراساً للتحرر من الطغيان، ولهذه الزيارة بُعدٌ فلسفي عميق فهي تمثل اليوم صورة حية لتوق الإنسانية إلى الحرية ورفض الظلم، فضلاً عما تحمله الجموع المليونية من حب منقطع النظير لابن الرسول الاعظمﷺ، وقبل الخوض بتفاصيل هذه الأبعاد لابدّ من الإشارة أولاً إلى أن هذه الزيارة التي يشارك فيها حوالي (١٥) مليون زائر سنوياً قد إكتسبت شهرة عالمية خلال الأعوام العشرة الأخيرة لما تتصف به من ميزات كثيرة ومهمة قد أبهرت جميع المراقبين (أيوب، ٢٠٢١، ص١٧).

وللزيارة الأربعينية آثار وفوائد روحية ومادية لايمكن الاحاطة بها، فهي مناسبة للتلاقي الفكري والتواصل المعرفي بين المسلمين، وهي تمثل نقطة تلاق بين المسلمين أنفسهم ومن شتى بقاع العالم في تظاهرة دينية تتجلى فيها مشاعر الإخاء والمحبة والوئام والتعايش والايثار والتضحية في سبيل الآخر، وقد شهدت الزيارة الأربعينية بروز حالات ايجابية من العطاء والتفاني والتضحية والكرم والضيافة. في كل عام تتجدد أيام زيارة الأربعينية التي تعتبر أساسا للقيم والمبادئ السامية التي أوصى بها الإمام الحسين ﷺ ، ومن ذلك نفهم أن زيارة الأربعين لا تعني تقديم الخدمات إلى الزوار المتجهين صوب كربلاء المقدسة لأحياء الشعائر الحسينية فقط، بل هي مجموعة من الدروس والعبر وتقديم الموعظة للناس أجمع، واكتساب ثقافة وأفكار جديدة من أشخاص في مجتمعات أخرى ولديهم ثقافات مختلفة، وفي هذه الأيام يصل المجتمع إلى الدرجة المثالية عبر نبذ الكراهية والطائفية وتعامل الناس بالتساوي، ولا ننسى أن من ثمرات زيارة الأربعين ذلك التلاحم الاجتماعي الذي تنتجه هذه الزيارة سواء على مستوى المسلمين او غيرهم، وتجعلهم يتمتعون بالروح الايجابية المستعدة للتفاهم، والتسامح، والتعايش، وفق رؤية متوازنة مستمدة من

مبادئ أبي الأحرار الحسين ﷺ، زيارة الأربعين هي عنوان للتعايش المجتمعي، فالناس بمختلف جنسياتهم يتجهون نحو مكان واحد إلى كربلاء المقدسة، لا تفرق بينهم الخلافات السياسية ولا القومية ولا الحزبية، يعرفون أن هدفهم الاكبر هو ري الارواح بالحب والتسامح بينهم، في زيارة الأربعين انموذج حي للتعاون، وفيها تكسر كل الحواجز بين الطبقات الاجتماعية، تجد الاستاذ الجامعي يوزع الماء مع الطفل الصغير، والشيخ العجوز مع الشباب كلهم يتسابقون على تقديم الخدمة للزوار وغير الزوار، وعلى طول شهري محرم وصفر تطرق أبواب البيوت لتقديم الطعام المجاني تعبيرا عن حب الحسين والتزاما بنهجه الذي أراد بثورته إعادة الامة الى مسارها الصحيح، فهذه الممارسات والتقاليد الاجتماعية التي نراها في هذه المدة الزمنية القصيرة تشد المجتمع الى بعضه، وترتقي به الى حيث الاهداف السامية للدين الإسلامي (الجلالي، ٢٠٠٨، ص٣٧)، من المفيد جدا أن ننتهز هذا الجمع الكبير من المسلمين لأحياء اربعينية سبط الرسول الاعظم لنعمل على إشاعة برامج الحوار البناء والديمقراطي وجلسات ثقافية وأدبية في طريق الزائرين واستغلال السرادق المنصوبة كمواكب لتلك البرامج التي تهدف الى التوعية والتثقيف، بان الشعائر ليست لطائفة معينة بل هي لكل المسلمين. وعلى الرغم توالي الأحداث والثورات والانتفاضات في تاريخ البشرية تحتفظ ثورة الأمام الحسين ﷺ بخصائصها الفريدة وسماتها المميزة الإصلاحية، اذ أن الهدف الأساسي لثورة الأمام الحسين ﷺ هو تغيير واقع مجتمع وفق مبادئ الدين الحقيقية، في ظل ما تعانيه المجتمعات من انحرافات، وهو ما يمكن أن نطبقه الآن في مجتمعاتنا التي تعاني من تفـــشي الفساد في كل مفاصل المجتمع، وانحراف الشباب (أيوب، ٢٠٢١، ص١٧).

إن زيارة الأربعين عبارة عن مؤتمر إنساني عالمي لا يختص بطائفة من المسلمين دون غيرهم، بل لا يختص بالمسلمين أنفسهم دون غيرهم من بقية الديانات سواء أكانت سماوية أم أرضية، وعليه لابد من تفعيل دور الإعلام بشتى أنواعه لتعريف الوافدين إلى قبلة الأحرار أبي عبد الله الحسين ﷺ بالجانب الإنساني العظيم، الذي جسده النبي الكريم ﷺ ومن بعده أهل البيت ﷺ والأئمة سلام الله عليهم، فذلك الجانب المشرق إذا ما سطع للإنسانية فسيكون عاملا مهما في توحيد بني البشر على أساس القاسم المشترك القائم بينهم وهو الإنسانية، فالإنسانية هي الأساس الذي يخلق مجتمعا مثاليا يجسد تجربة التعايش السلمي التي دعا إليها الإسلام دين الإنسانية، اذ إن زيارة أربعينية الإمام الحسين ﷺ تحمل في طياتها مضامين وأبعاد سياسية ودينية واجتماعية، وهي فرصة لاستلهام العبر ورفض الظلم، وإعلاء كلمة الحق في وجه الظالم والطغاة وإحقاق الحق، اضافة لتلك الابعاد فإن أربعينية الإمام الحسين ﷺ تحمل كمًّا هائلا من القيم الدينية والمبادئ الإنسانية السامية، من أهمها إذابة الفوارق الطبقية في المجتمع، فالحشود المليونية جميعها تذوب في حب الإمام الحسين ﷺ ناهيك عن تكريس ثقافة التواضع والتكافل الاجتماعي، والعمل الطوعي وهذه حالات إيجابية تسهم في بناء مجتمع متماسك يتحلى بالقيم الإنسانية السامية، وبالتالي خلق جيل واع محب لوطنه رافض للظلم والظالمين والفاسدين (فضل الله، ١٩٩٦، ص٤٦).

المطلب الثالث : دور المساندة الأجتماعية في المجال الأقتصادي .

الزيارة الأربعينية تنشط الدورة الاقتصادية؛ لأن التجمعات المليونية لا بدّ أن تلد تبادل فكري وثقافي واقتصادي، من خلال تبادل السلع والمنتجات من زائري دولة لزائري دول أخرى، بل داخل العراق نفسه، عندما يلتقي الزائرون من بغداد والموصل وواسط وسامراء وغيرها، وأيضًا الزيارة الأربعينية للإمام الحسين بدون أدنى شك، تساهم في دعم الاقتصاد الوطني العراقي، وأيضًا الدول الأخرى مواطن الزائرين، مثل الحج ليشهدوا منافع لهم، إن أعداد الزائرين لكربلاء المقدسة لأداء الزيارة الأربعينية تزداد من سنة إلى أخرى، متحدية المجاميع الإرهابية والتي لم تقف عن جرائمها بحق الزائرين العزل الذين يريدون التقرب إلى الله بحب نبيهم محمد وآل بيته منذ التغيير، إضافة إلى مشقة السفر إلى كربلاء وذلك لضخامة عدد الزائرين، حيث إن أعدادهم لا تقل عن ١٥ مليون زائر (أيوب، ٢٠٢١، ص١٩).

ان هذا الرقم الهائل من الحشود البشرية يترك أثارًا كبيرة على صعيد الإنفاق الكلّي من الطلب العام على السلع والخدمات من خلال المداخيل التي يحصل عليها أصحاب الخدمات التي يوفرونها للزائرين، مثل قطاع النقل والمواصلات، الفنادق والمطاعم، والمحلات التجارية بما فيها باعة الأقمشة والهدايا، والكتب الدينية والتاريخية، الإيرادات المالية لهذه القطاعات، سوف تنفق بمرور الزمن، وبذلك تنشط الدورة الاقتصادية، لأن زيادة الطلب على المنتجات الزراعية مثل الرز والخضروات من قبل أصحاب المواكب الحسينية، سوف يؤدي إلى زيادة الطلب على زراعة هذه المنتجات، وزيادة الطلب على أماكن النوم، يزيد الطلب على بناء فنادق جديدة، وعلى استخدام أراضي جديدة لهذا الغرض، وزيادة الطلب على المواصلات سوف يجبر

الحكومات في الاستثمار بتأسيس طرق وجسور ومعابر حدودية ومطارات جديدة وإيجاد وسائط نقل سهلة للزائرين مثل خط قطارات متقدم وأساطيل باصات جديدة، ثم إن هناك منافع اقتصادية غير منظورة لهذه الزيارة، أهمها هو تعرف رجال الأعمال العراقيين برجال أعمال عرب وأجانب، تعرّف الوافدين للزيارة على المنتجات العراقية، وتعرّف العراقيين بمنتجات بلدان الزائرين، التعرّف على لغات الزائرين وثقافاتهم، وأداة لتنشيط الاستثمار الأجنبي في العراق وغير العراق (محمد رضا، ٢٠١٩، ص٣٥). إن الزيارة الأربعينية وإن كان هدفها تجديد البيعة لنبي الله والولاء إلى أهل بيته من قبل الملايين من المسلمين، إلا أن الزيارة أيضًا مناخ اقتصادي واجتماعي وفكري، في كل الأطر المختلفة، ولكن يبقى الأهم هو الجانب الروحي، وهو بالطبع مقدمة باقي الأطر (محمد رضا، ٢٠١٩، ص٣٦).

المطلب الرابع : دور المساندة الأجتماعية في مجال العمل التطوعي

ما يميز أربعينية الإمام الحسين عليه السلام هي أنها أكبر تجمع تطوعي في العالم، تطوع في الأموال، وتطوع في الطعام، وتطوع في السير على الأقدام، وتطوع في خدمة الزائرين والحاجين، وتطوع في توفير حاجات الزائرين من سكن ولباس، وعلاج وتعليم، ونقل واتصالات... ومعظم تلك الخدمات التي تقدم الى ملايين الزائرين (أيوب، ٢٠٢١، ص١٩).

اللافت للنظر أن زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام يوم العشرين من صفر من كل عام، تعد أكبر تظاهرة جماهيرية تحدث في العالم كله، تعبر عن ولاء مجموعات من الناس لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتنكر على أعدائهم وقاتليهم أفعالهم اللاإنسانية، انطلاقا من القيم الإنسانية التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها (أيوب، ٢٠٢١، ص١٩).

تلك المجموعات الإنسانية ليست كلها من مدرسة واحدة، ولا من ملة واحدة، ولا من جنس واحد، ولا من عمر واحد، ولا من فكر واحد، ولا من لون واحد، بل هي من مدارس مختلفة، وملل متعددة، وعروق متنوعة، ومن مناطق شتى، ورغم أن الشعيرة الأكبر للزيارة الأربعينية تؤدّى في مدينة كربلاء المقدسة، حيث ضريح الإمام الحسين ﷺ وأضرحة أهل بيته وأصحابه، إلا أن شعائر الولاء والعزاء تؤدّى أيضا في مناطق مختلفة من العراق وبلدان أخرى، حينما تتقطع بالموالين السبل وتحول بينهم وبين كربلاء عقبات السفر والمشقة، فليس هناك تنظيم رسمي أو شعبي يدير مراسم الأربعينية، إنما هناك جهود تبذل من قبل إدارة العتبات المقدسة، ومحافظة كربلاء والمحافظات المجاورة لها، والحكومة الاتحادية لتأمين زيارة خالية من العقبات الأمنية واللوجستية (محمد رضا، ٢٠١٩، ص٣٧).

وتتحمل المجموعات التطوعية أعباء توفير الخدمات المجانية كل بحسب خدمته. فهناك من المتطوعين من يوفر الطعام، وهناك من يوفر الماء، وهناك من يوفر السكن، وهناك من يوفر الاتصال، وهناك من يوفر النقل، وهناك من يوفر الدواء، وهناك من يتبرع للمواكب والهيئات بالأموال ويمدهم بالمتطوعين، وهناك من يتبرع بأداء مراسم الزيارة، وهناك من يرفع النفايات والأنقاض، ولذلك فان ما يميز أربعينية الإمام الحسين ﷺ هو أنها أكبر تجمع تطوعي في العالم، تطوع في الأموال، وتطوع في الطعام، وتطوع في السير على الأقدام، وتطوع في خدمة الزائرين والحاجين، وتطوع في توفير حاجات الزائرين من سكن ولباس، وعلاج وتعليم، ونقل واتصالات... ومعظم تلك الخدمات التي تقدم للملايين من الزائرين هي من عند الناس أنفسهم، تقربًا لله عز وجل، وحبًّا لآل الرسول ﷺ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(الجلالي،٢٠٠٨،ص٣٧).

ولما كانت زيارة الأربعين تجمعا فريدا ومتميزا، وروحها هذا العطاء المجاني المتدفق، فان قرار مجلس الوزراء العراقي رقم ٧٠ لعام ٢٠٢٠ قد عدَّ أربعينية الإمام الحسين يوما عراقيا للعمل التطوعي. يُكرم فيه المتطوعون، وتُذكر فيه نشاطاتهم وأعمالهم الإنسانية والخيرية (https://twitter.com/ademrights)،ولأن أهداف هذه الزيارة لا تقتصر فقط على إعلان الولاء لأهل بيت الرسول ﷺ ولا البراءة من أعدائهم، بل هي أيضا مناسبة لبناء حياة جديدة قوامها تبني القيم الإنسانية المشتركة، ورفض التعدي عليها، من أجل حياة كريمة وسليمة ينعم فيها الإنسان بالخير والرفاهية والسعادة، فإن من المهم أن تنبثق عن هذا المهرجان السنوي أعمال تطوعية مستدامة تصب لمصلحة البيئة والصحة، والتربية والحقوق والواجبات ومن أمثلة ذلك زيادة الأنشطة التطوعية البيئية المستدامة، مثل زيادة المساحات الخضراء والحد من النفايات وزيادة الأنشطة التطوعية التعليمية، مثل: تنظيم الموظفين وطلبة المدارس والكليات في فرق تطوعية قطاعية تعزز مفهوم المشاركة المجتمعية وزيادة الأنشطة التطوعية الحقوقية، مثل: تعريف الناس بحقوقهم وحرياتهم، وعدم التفريط بها أو المساومة عليها، وكيفية العيش بكرامة (محمد رضا، ٢٠١٩، ص٣٧).

الخاتمة

لقد أظهر هذا البحث بجلاء أن المساندة الاجتماعية ليست فقط سلوكًا اجتماعيًا راقيًا، بل هي أيضًا فريضة دينية وأخلاقية دعا إليها الإسلام في نصوصه، حيث قال الله عز وجل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (الحجرات: ١٠) وقال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد» (رواه البخاري). وتجسدت هذه المعاني في زيارة الأربعين، التي تجاوزت بعدها الديني لتصبح مشهدًا عالميًا يحمل في طياته رسائل الوحدة والتعايش والكرامة الإنسانية. وقد برهنت المساندة الاجتماعية على كونها وسيلة لخلق مجتمع متماسك، قائم على الحب والتكافل والتطوع، مما يجعل من هذه المناسبة نقطة انطلاق نحو تجديد روح الأمة وفق نهج الإمام الحسين عليه السلام، رمز الثورة ضد الظلم، وصوت الأرض .في ضوء ما تم عرضه في هذا البحث، تبيّن أن المساندة الاجتماعية ليست مجرد إطار نظري أو أخلاقي، بل هي منظومة متكاملة من القيم والممارسات التي تتجلى بأبهى صورها في زيارة الأربعين. حيث يتحد الزائرون على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم وأعراقهم في مشهد يعكس وحدة الهدف والرسالة، متجسدًا في صور الإيثار والتكافل والتطوع. كما يتضح أن هذه المناسبة تُسهم في تعزيز الأبعاد النفسية والدينية، وتنشيط الحياة الاقتصادية، وتقوية أواصر العلاقات الاجتماعية، وتُشكّل بيئة خصبة للتلاقي الثقافي والتربوي، مما يجعلها حدثًا عالميًا فريدًا من نوعه. ومن هنا، فإن الإيمان بالمبادئ التي استشهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام يعزز في نفوس المشاركين الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع والإنسانية جمعاء، ويجعل من المساندة الاجتماعية منهجًا عمليًا مستمرًا في حياة الأمة، وليس مجرد نشاط موسمي.

المصادر العربية

١. أبن المنظور، أبي الفضل جمال الدين ،(٢٠٠٨) : لسان العرب، دار المعارق ، القاهرة.

٢. لرميح، يوسف ومحمود، صادق (٢٠٠٤). نموذج واقعي ومقترح لتنمائية رسمية للاجتماع لدى الشباب الجامعى نحو مشكلة الجديدة (دراسة ت.طبيقية)، مجلة دراسات خدمة الاجتماع العلمية والعلوم الإنسانية، جامعة حلوان، العدد ١٧، الجزء الأول، ص٥٧-٩٠.

٣. إسماعيل، بشرى (٢٠٠٤). المساندة الاجتماعى والتوافق المهنى، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.

٤. زيارة الأربعين .. دلالاتها وقيمها خبير مركز تبيين للتخطيط والدراسات الستراتيجية

٥. عباس، محمد رضا(المنافع الاقتصادية لزيارة أربعينية الإمام الحسين) ، موقع صوت العراق.

٦. عطية ، شعبان عبد العاطي وأخرون (٢٠٠٤) :المعجم الوسيط ، ط٤،مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، مصر

٧. العامري، فاطمة (٢٠٠٣). فاعل برنامج إرشادي لتنمية المسؤولية الاجتماع مع عينة من طالبات الثانوية بدولة الإمارات العربية المتحدة، العين، جامعة الإمارات العربية المتحدة .

٨. فضل الله، محمد حسين، في رحاب أهل البيت، طب٢، لبنان، بيروت، دار الملاك، ٢٠١٩.

٩. الجلالي، السيد قاسم كامل مزارات أهل البيت في العراق، طب.، ايران ،قم المقدسة، دار المعروف، ٢٠٠٨.

١٠. جعفر محمد أيوب، زيارة الأربعين والقيم الاجتماعية العالمية، البحرين،

.٢٠٢١
١١. مركز كربلاء للدراسات والبحوث، زيارةالأربعين النشرة الإحصائية، https:// c-karbala.com تاريخ الاطلاع،٢٥/ ٤/ ٢٠٢٤.
١٢. الصفار،محمد،شرح زيارة١٥ الصفار،محمد ،شرح زيارةا لأربعين،https:// www.youtube.com / ،تاريخ الزيارة١٢٠٢./ ./ ٢٥.
١٣. الصدر، محمد باقر، الاسلام يقود الحياة، طب٣، لبنان، بيروت، دار التعارف للمطبوعات ،٩٨٥. ج٩٨.
١٤. حسين امير عبد، الزيارة الأربعينية تجسيد للتضامن وماتقى الاحرار ودعاة الحرية، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ٢٠٢٣.
١٥. الطوسي، محمد بن علي، رجال الكشي، تصحيح حسن المصطفى، لاطب، ايران ،مشهد، جامعة مشهد ،٣, ٨.هـ ش
١٦. الشريف المرتضي، علي بن الحسين، نهج البلاغه في كلام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب، لبنان، بيروت، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ،١, ٩٩٣.
١٧. الطبري، محمد بن جرير، والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،لاطب، مصر، دار المعارف ،..٩. مج ٥.
١٨. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بابوية، ثواب الأعمال، طب.، لبنان، بيروت ،مكتبة الأعلمي ،٢٠٠٧،ج٩٨.

المصادر الأجنبية

19. Barrera & Ainlay, S. (1993). The Structure of Social Support. Vol. April, 1983. pp.133144-
20. Cheng, s & chan, A (2004). The multidimensional scale of perceived social support: Dimensionality and age and gender differences in adolescents ,personality and individual differences, 36 (1), 111-.
21. Porter,c & Olive, A (2007). Social support , psychological wellbeing and health among the hgfohvd K
22. -https://twitter.com/ademrights
23. -/webcache.googleusercontent.com

تحليل مقارن للمكونات الروحية والأخلاقية في مسيرة الأربعين ومسيرة كمب ميلا نهر الغانج دراسة التسامح والصمود والمحبة

م.م.مريم چلمقانى
الحوزة العلمية، المركز التخصصي فاطمة الزهراء - أصفهان
maryamcholmaghani@yahoo.com

د.محمد شيروانى
مدرس سطح عالى حوزه علميه قم
mohammad18860@yahoo.com

الملخص

تمثل كل من مسيرة الأربعين ومسيرة كمب ميلا (نهر الغانج)، باعتبارهما طقوسا روحية ودينية ذات خصائص فريدة، جانبين مهمين من الروحانية والأخلاق في المجتمعات المختلفة. مسيرة الأربعين، التي تختص بدين الإسلام ومذهب التشيع، تعتبر تجمعا عالميا ذا مكونات روحية وتفاعلات مهمة في سبيل السلام العالمي وتقارب بني البشر. على النقيض من ذلك، تعتبر مسيرة كمب ميلا في الهند، ذات الجذور التاريخية والدينية العميقة، أحد أكبر التجمعات الروحية في العالم، حيث يقطع الهنود مسافة طويلة للاغتسال في نهر الغانج. تتناول هذه المقالة تحليلا مقارنا للمكونات الروحية والأخلاقية في هاتين المسيرتين، وتدرس مفاهيم مثل التسامح والصمود والمحبة في سياق كلا الطقسين. باعتمادها على المنهج الوصفي والمدخل التحليلي المقارن، بحثت هذه الدراسة في التأثيرات الاجتماعية والفردية لهاتين المسيرتين على المشاركين، وكيفية تشكل الفضائل الأخلاقية والروحية في هاتين الطقوس. تشير النتائج إلى أن كلتا المسيرتين تعملان كفضاء للنمو الروحي والأخلاقي، وتساهمان في تعزيز خصال مثل التعاطف والتضحية والصبر. في مسيرة الأربعين، يظهر بوضوح محورية الخطاب والأفكار النابعة من النظام السامي المتأصل في شخصية الحسين بن علي عليه السلام، خاصة في مجال ترويج السجايا الأخلاقية كالتسامح والصمود. تؤكد هذه المقالة على أهمية المسيرات الروحية في تعزيز الهوية الثقافية والدينية، وتوصي الباحثين في الدراسات المستقبلية بالبحث في تأثيرات أعمق لهذه المراسم على المجتمعات المختلفة.

الكلمات المفتاحية: مسيرة، روحانية، أربعين، كمب ميلا، هندوسية، إسلام.

"A Comparative Analysis of Spiritual and Ethical Components in the Arbaeen Pilgrimage and Kumbh Mela (Ganges River) A Study of Tolerance, Resilience, and Love"

Asst.Lect.Maryam Chalmaghani
of the Islamic Seminary, Fatimah al-Zahra (peace be upon her) Specialized Center – Isfahan
Mohammad Shirvani
Lecturer of the Advanced Level at the Islamic Seminary of Qom

Abstract

The Arbaeen pilgrimage and the Kumbh Mela (Ganges River), as spiritual and religious rituals with unique characteristics, represent significant aspects of spirituality and ethics in diverse societies. The Arbaeen pilgrimage, specific to Islam and the Shi'a denomination, is considered a global gathering possessing spiritual components and significant interactions conducive to world peace and human rapprochement. Conversely, the Kumbh Mela in India, with profound historical and religious roots, is regarded as one of the largest spiritual congregations globally, wherein Hindus travel extensive distances for ritual bathing in the Ganges River. This article undertakes a comparative analysis of the spiritual and ethical components within these two pilgrimages, examining concepts such as tolerance, resilience, and love in the context of both rituals. Employing a descriptive methodology and a comparative analytical approach, this study investigates the social and individual impacts of these two pilgrimages on participants, and the formation of ethical and spiritual virtues within these rituals. The findings indicate that both pilgrimages serve as spaces for spiritual and ethical development, contributing to the cultivation of qualities such as empathy, sacrifice, and patience. In the Arbaeen pilgrimage, the centrality of discourse and ideas stemming from the sublime system inherent in the personality of Hussein ibn Ali (peace be upon him) is markedly evident, particularly in promoting ethical virtues like tolerance and resilience. This article underscores the importance of spiritual pilgrimages in reinforcing cultural and religious identity, and recommends that future research explore the more profound impacts of these ceremonies on diverse societies.

Keywords:Pilgrimage, Spirituality, Arbaeen, Kumbh Mela, Hinduism, Islam.

المقدمة

لطالما اعتبرت المسيرات الروحية والزيارية، منذ القدم، من أهم الطقوس الدينية والثقافية في جميع أنحاء العالم. هذه المراسم، التي تتأصل في معتقدات الإنسان وقناعاته العميقة، تحدث، بالإضافة إلى جوانبها الروحية، آثارا اجتماعية وثقافية ملحوظة على المجتمع. تتجذر المسيرات الزيارية في الأديان والحضارات القديمة. ففي الكثير من الأديان الإبراهيمية والشرقية، اعتبرت زيارة الأماكن المقدسة والمسير نحوها طريقة للعبادة والتوبة والتقرب إلى الله. لقد لعبت عوامل مختلفة، بما في ذلك المعتقدات الدينية، والإيمان بقداسة الأماكن، وحاجة الإنسان إلى الروحانية، دورا في تشكيل هذه التقاليد واستمرارها.

توجد في جميع الأديان شعائر دينية وطقوس متنوعة الأشكال. تعتبر هذه الشعائر ذات أهمية كبرى في بعض الأديان كالهندوسية والكونفوشيوسية، بينما هي أقل شيوعا في المسيحية. ومن هذه المراسم ما يختص بدين الإسلام تحت مسمى "الحج"، الذي يوجد أيضا في أديان أخرى كالزرادشتية والهندوسية؛ فيقام حج الزرادشتيين في جق جق بمدينة يزد، وحج الهندوس بجانب نهر الغانج وفروعه المختلفة. على الرغم من أنهم لا يطلق عليهم لقب "حاج"، إلا أنهم يعتقدون أن ذنوبهم تغفر بالدخول في هذا النهر. لذا، من الأفضل مقارنة مراسم كمب ميلا بالحج من حيث الجانب الديني. ولكن، نظرا للعدد الهائل من المشاركين فيها، نود هنا مقارنتها بمراسم مسيرة الأربعين، وإلا فكما ذكر، ينبغي مقارنتها بالحج من حيث المضمون.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

خلفية الدراسة:

في مذكرة بعنوان: "من مسيرة الأربعين إلى سانتياغو "سرد لأربع مسيرات روحية في العالم""، تمت مقارنة تاريخية لأربع مسيرات عالمية وهي: مسيرة الأربعين، وكمب ميلا، وغوادالوب، وفاطما. وفي الختام، أشير إلى نتائجها المشتركة كالصلاح والخير والتعامل بين الثقافات. إلا أنها لا تتقاطع مع البحث الحالي في دراسة المكونات الروحية والأخلاقية.

في كتاب "الزيارات الراجلة في العالم المعاصر" لمحمد رضا بويافر ومهشيد رضائي، تمت دراسة ثمان مسيرات عالمية. نوقشت في هذا الكتاب خلفية وتاريخ المسيرات الراجلة الكبرى في العالم بدقة وتحقيق، لكن لم يشر فيها إلى المكونات الروحية والأخلاقية.

تناولت صحيفة "الإندي بندنت" في مقال لها بعنوان: "أكبر حركة زيارية في العالم تجري الآن ولكنكم لم تسمعوا بها قط" زيارة الأربعين الحسينية ومسير ملايين الزوار نحو كربلاء المقدسة. تطرق هذا المقال إلى شرح أسباب هذه المسيرة العظيمة وتوجه الزوار إليها، وقدم نبذة عن هذا الشغف الحسيني. كما وصف مراسم الأربعين بأنها مراسم فريدة مقارنة بالتجمعات المختلفة في جميع أنحاء العالم، وذكر أن عدد الزوار فيها يفوق عدد حجاج بيت الله الحرام بخمسة أضعاف. وتناول المقال في سياق ذلك خصائص مميزة لزيارة الأربعين الحسينية، بما في ذلك إقامتها في ظروف خطرة وتهديدات متنوعة، ومشاركة أتباع الأديان والمذاهب الأخرى فيها، وكذلك كيفية استضافة المشاركين بشكل لا مثيل له في هذا الحدث. وأشار أيضا إلى أن هذه الحركة ليست حجا ولا كمب ميلا الهندوسية. هذه الحركة تعرف باسم "الأربعين" وهي أكثر التجمعات البشرية كثافة في العالم. لقد تناول هذا المقال أيضا وصف زيارة الأربعين، ولكنه لا يشاطر مقالتنا الحالية أي وجه تشابه من حيث الأهداف.

تسعى المقالة الحالية لسد الفجوة القائمة في الدراسات السابقة؛ فلم يتم تقديم كتابات محددة ومتخصصة بشأن مقارنة شعيرة مسيرة الأربعين ونهر الغانج من منظور المبادئ الأخلاقية الفضائلية حتى الآن. وعلى الرغم من أن بعض النصوص قد تناولت هذه المقارنة بشكل وصفي، إلا أن أيا منها لم يدرس المفاهيم الروحية والأخلاقية لهاتين الشعيرتين معا بشكل شامل وتحليلي. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل ومقارنة المكونات الروحية والأخلاقية في مسيرة الأربعين ونهر الغانج. وبوجه خاص، تبحث هذه الدراسة في مفاهيم مثل التسامح، والصمود، والمحبة في هاتين المراسمين، وتحلل دور كل من هذه المفاهيم في التجربة الروحية والأخلاقية للمشاركين. وهذا النهج المبتكر هو هدف لم يتم السعي إليه بشكل محدد في أي من الأبحاث السابقة.

مسيرة الأربعين والروحانية:

يعد الاهتمام بالتربية الإسلامية الاهتمام بالقضية الأكثر حيوية، والتوجه نحو التربية الصحيحة هو التفات إلى أكثر شؤون الإنسان ضرورة، وقد كانت رسالة جميع الأنبياء الإلهيين تربية الإنسان أيضا.

نظرا لأن مسيرة الأربعين في العراق تمثل رمزا لشعيرة دينية تحدث آثارا تربوية بالغة الأهمية، ونظرا لعدم وجود أبحاث كافية حول هذه التأثيرات، يسعى الباحث في هذه المقالة، باعتماد حضوره ومشاهداته الميدانية في حدث الأربعين العظيم واضطلاعه بدور الزائر الباحث، إلى دراسة الأبعاد التربوية لهذا الحدث الفريد على الفرد والأسرة والمجتمع. ذلك أن نتائج البحث، بالإضافة إلى كونها خطوة مفيدة وفعالة في فهم التأثيرات التربوية لمسيرة الأربعين، يمكن استخدامها في صياغة السياسات والخطط الثقافية والاجتماعية أيضا.

يعتمد فهم أحداث السياحة على الدراسات السياقية، خاصة عندما يكون الحدث المراد بحثه ذا طابع عقائدي وروحي. و(مسيرة الأربعين) الحسينية هي أحد الأحداث الإسلامية الخاصة والمتجذرة، التي حظيت باهتمام خاص من الباحثين في السنوات الأخيرة. لقد أنتج المشي وصعوبات الطريق للوصول إلى وجهة مشتركة مفاهيم معينة لا يمكن فهمها إلا بالتأمل والانخراط فيها.

الاندماج العاطفي، والشعور بالأمان في ظل الخطر، وكرم الضيافة الصادق، وتجربة العشق الطوعي، وأخيرا الحب المتبادل بين المضيفين والزوار لسيد الشهداء عليه السلام، كلها تشكل مكونات الإدراك الروحي للزوار. (مسيرة الأربعين) ظاهرة هولوغرافية تحمل في طياتها تجليات خاصة من الروحانية من أي زاوية ينظر إليها. يمكن اعتبار المنظر الروحي لهذه المسيرة مجموعة من الانطباعات والمشاعر التي تمثل مزيجا من بيئة المسيرة، والذكريات المروية عن الإمام الحسين عليه السلام، والدوافع الفردية للزوار، والأحداث الجارية على طول طريق المسيرة.

مسيرة الأربعين ليست هي المسيرة الدينية والروحية الوحيدة في العالم. فمنذ القدم، اشتهرت المسيرة إلى الأماكن الزيارية في مختلف الأديان والثقافات باعتبارها إحدى سبل العبادة والتوبة والتقرب إلى الله. ويعتبر المشي في المناسك الدينية ونحو الأماكن المقدسة اليوم عملا طوعيا يقوم به أتباع الأديان والمذاهب المختلفة، حيث تشارك كل عام مجموعات متنوعة من الناس من جميع أنحاء العالم وبأهداف مختلفة في هذه المسيرات الروحية.

مسيرة الأربعين، باعتبارها أحد أكبر التجمعات البشرية، تتجاوز كونها حدثا دينيا بحتا. لهذه الحركة العظيمة جذور في واقعة تاريخية، وتستقطب سنويا ملايين الأشخاص

من جميع أنحاء العالم. لكن، ما الذي يميز هذه المسيرة عن غيرها من التجمعات الدينية؟ في هذه المقالة، سيتم بحث الأبعاد الروحية والتاريخية لمسيرة الأربعين، ومقارنتها بواحدة من المسيرات الروحية الكبرى في العالم، وهي كمب ميلا في الهند.

تعرف مسيرة الأربعين بأنها أكبر تجمع سلمي سنوي في تاريخ البشرية. ففي اليوم العشرين من شهر صفر، وبعد مرور أربعين يوما على واقعة عاشوراء، يتوجه أكثر من ٢٣ مليون شخص من حوالي ٤٠ دولة حول العالم إلى العراق لبدء رحلة تبلغ ٨٠ كيلومترا من النجف إلى كربلاء. تذكر عاشوراء باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام والكثير من أنصاره وأهل بيته بعد امتناع الإمام الحسين عليه السلام عن مبايعة الخليفة الأموي، يزيد الأول، في عام ٦٨٠ للهجرة. ومسيرة الأربعين عند الشيعة هي إحياء لرسالة إمامهم الثالث منذ ١٤٠٠ عام، الذي لم يخضع رأسه لظلم الظالمين.

تناول مايكل فيشر، عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي، في أعماله دراسة مفهوم "بارادايم كربلاء". لقد استخدم هذا المصطلح للتمييز بين مراسم محرم الشيعة وغيرها من المناسك الدينية، وكذلك لتحليل الدور الاجتماعي والسياسي لهذه المراسم في المجتمعات الشيعية. وفقا لفيشر، كربلاء بمثابة نموذج للحياة وتفسير أحداثها. تميز كربلاء فهم الشيعة والسنة للإسلام. كربلاء هي تجل للمواجهة العاطفية مع الحياة الاجتماعية والسياسية. ويرى فيشر أن عاشوراء ليست مجرد حدث تاريخي أو عزاء سلبي، بل هي نموذج للحياة يبرز مجموعة قوية من المثل العليا كالعدالة الاجتماعية، والأخلاق، والحقيقة في مواجهة الفساد. كما يعرفه كحركة اجتماعية تتجاوز الالتزامات الفردية، وتتحول إلى نضال نشط من أجل قيم الإمام الحسين عليه السلام (فيشر، ١٩٨٠).

رسم فيشر في أعماله الأخرى قصة استشهاد الإمام الحسين ﷺ في معركة كربلاء باعتبارها القضية الأساسية للهوية الشيعية والنموذج الرئيسي للمأساة الشيعية في سياق الوجود، وبين أن الشر والظلم يعملان دائما في هذا العالم ضد الخير والعدل، وعلى المسلمين أن يكافحوا لتحقيق العدل. وقد اعتبر مسيرة الأربعين تجليا لـ"بارادايم كربلاء"، ويرى أن هذه الحركة العظيمة رمز للجهد في تطبيق رسالة الإمام الحسين ﷺ في الحياة اليومية. فالزوار في هذا المسار لا يظهرون حبهم وولاءهم فقط، بل يصلون إلى النمو الروحي بممارسة التضحية والفداء (فيشر، ١٩٩٣).

يرى مايكل فيشر أن إحياء عاشوراء ليس واجبا فرديا بل هو حركة اجتماعية. ومسيرة الأربعين رمز لـ"بارادايم كربلاء" يقوم بها أفراد يسعون إلى تحقيق رسالة الإمام الحسين ﷺ في حياتهم. يجتمع ملايين الأشخاص من جميع أنحاء العالم لهذا الحدث، ويقطعون مسافة تبلغ ٨٠ كيلومترا. الهدف الرئيسي من هذه الحركة هو التعبير عن الحب والولاء ودعم قيم الإمام الحسين ﷺ. وباستلهام من مقاومته ضد الظلم، يسير هؤلاء الأفراد تكريما وتبجيلا له. إضافة إلى ذلك، يمارس الزوار في هذا المسار التضحية والإيثار، ويسعون إلى النمو الروحي والسمو الشخصي. ويعتقدون أن التنوير والتقدم يتحققان خلال هذه الرحلة الروحية (بويافر، ١٤٠٠ ه.ش).

مسيرة الكومب ميلا والروحانية:

الكومب ميلا (Kumbh Mela) هو أحد أضخم وأقدس التجمعات الدينية في العالم الهندوسي، يقام مرة كل ثلاث سنوات في إحدى المدن الهندية الأربع المقدسة. يعرف هذا الحدث بأنه أكبر تجمع روحي في العالم، ويجذب كل ٣ سنوات ١٢٠ مليون هندوسي من جميع أنحاء العالم، يقطعون مسافة ٢٠ كيلومترا نحو نهر الغانج ليغتسلوا في مياهه المقدسة ويطهروا ذنوبهم (بويافر، ١٤٠٠).

ويعتمد مكان الغطس في المياه على أي من روافد الغانج يقام فيه الحدث. يقام الكومب ميلا مرة كل ١٢ عاما في الله أباد على ضفاف نهر "يامونا"، ومرة في هاريدوار (على ضفاف نهر الغانج)، ومرة في ناسيك (على ضفاف نهر غودافاري)، ومرة في أوجاين (على ضفاف نهر شيبرا) (حيدرنيا، ١٣٩٤).

تكمن جذور الكومب ميلا في الأساطير الهندوسية. وفقا للأساطير، أثناء المعركة بين الآلهة والشياطين على إكسير الخلود، سقطت قطرات من هذا السائل المقدس على أربعة أماكن على الأرض، وهي الآن مواقع إقامة هذا الاحتفال (بويافر، ١٤٠٠).

يعتقد الهندوس أن الاغتسال في نهر الغانج خلال هذه المراسم، لا يزيل الذنوب فحسب، بل يمكن أن يحررهم من دورة الولادة والموت المتكررة. بالإضافة إلى ذلك، يوفر الكومب ميلا فرصة لأتباع الفرق المختلفة الهندوسية لزيارة الأماكن المقدسة والمشاركة في المراسم الدينية (بويافر، ١٤٠٠).

الكومب ميلا، الذي يعني "مهرجان الكوز"، نشأ من أسطورة تحولت إلى أكثر المراسم اكتظاظا بالسكان في العالم. يشارك في هذا الحدث، الذي يستمر شهرين، ما بين ٤٠ إلى ١٥٠ مليون شخص. لذا، يمكن الادعاء بأنه أكبر تجمع ديني وغير ديني في العالم. يقام هذا الاحتفال في أربع مدن: حيدر أباد، الله أباد، ناشيك، ويوجين، وجميع هذه المدن تتصل بنهر الغانج. يقال إن الدم الأسطوري الذي نشأ منه هذا الاحتفال قد أريق في هذه المدن الأربع، ويقام الحدث بالتناوب كل ثلاث سنوات في إحداها. للأسف، بسبب الازدحام الشديد، يتسبب هذا الاحتفال أحيانا في وفيات وخسائر، ومعظم الضحايا من الفقراء (قنبري، ١٤٠٢).

يقدس الهندوس نهر الغانج ويعتقدون أنهم إذا دخلوا هذا النهر على مرحلتين، فإن ذنوبهم تغفر. المرحلة الأولى تكون في الحياة الدنيا، حيث تغفر الذنوب، ويعتقد أن تأثير ذلك يمكن أن يحررهم من دورة السامسارا:التناسخ وتجسد الروح في الطبقات الأربع:الكاست. الاعتقاد بالتناسخ يعني عودة أرواح البشر إلى هذا العالم في جسد آخر. في الواقع، المشاركة في الكومب ميلا تمكن من هم في طبقة الخدم أو المزارعين حاليا وليس لديهم وضع مالي واجتماعي جيد، من الحصول على مكانة أعلى في حياتهم التالية في هذا العالم ووضع أعلى في دورة السامسارا.

في المرحلة الثانية، يقوم الهندوس بهذا العمل مرة أخرى عند الوفاة، ويعتقدون أنه عندما يموت شخص ما، يجب أن يلقى رماده في نهر الغانج. بهذا العمل، إذا كان الشخص من البراهمة، فإنه يكمل المرحلة الأخيرة من التطور ويصل إلى "الموكشا" ويتحرر من دورة السامسارا، وإذا كان من الطبقات الدنيا، فإنه ينتقل إلى طبقات أعلى. في اليوم الأخير من تواجدهم في الكومب ميلا، يقيم الهندوس مراسم تسمى "الاحتفال بشيفا" ويعبدون مظاهر الذكورة والأنوثة الجنسية .

النقطة المهمة التي يجب ذكرها حول هذا الاحتفال هي أن معظم المشاركين في الكومب ميلا هم من الفقراء. ومع ذلك، يجب أن ندرك أن فقراء الهندوس ليسوا كفقراء المسلمين، والكثير منهم لا يرغبون في الخروج من حالة الفقر بالطرق الدنيوية. حتى المساعدات التي تقدمها الحكومة الهندية لتنظيم هذا الاحتفال وتوفير المرافق الصحية وتوزيع الطعام، لا تلقى قبولا كبيرا من جانبهم. في الواقع، يعتقدون أنه لا ينبغي عليهم أن يصبحوا أصحاب منازل أو أثرياء من خلال مساعدة الحكومة، بل يجب أن يصبحوا أثرياء ويصلوا إلى مكانة أعلى من خلال أعمالهم الدينية وصعودهم في دورة السامسارا.

يجب أن يتم الوصول إلى مكان الاحتفال وجانب نهر الغانج سيرا على الأقدام من نقطة معينة، بسبب قداسة المكان وتجنبا لمشكلة الازدحام ونقص مواقف السيارات. ومع ذلك، ليست المسيرة ضمن أهداف الاحتفال، بل هي ضرورية بسبب الكثافة السكانية. من الطقوس الأخرى لهذا الاحتفال: الغطس في مياه نهر الغانج، التوبة، ودراسة كتاب "الرامايانا".

يعزو البعض تاريخ هذا الاحتفال إلى سنوات بعيدة جدا، بينما يعزوه آخرون إلى القرن الثامن وفيلسوف وعارف بارز يدعى شانكارا، الذي أسسه لمنع الهندوس من الانجذاب إلى البوذية، وخاصة الدين الإسلامي. الاعتقاد الأسطوري للهندوس، المأخوذ من "البورانات"، هو أن نهر الغانج في أوج لحظاته يتحول إلى إكسير الخلود، ويجب على الزوار الدخول إلى النهر في هذا الوقت ليتم تطهيرهم.

الهندوسية هي واحدة من أكثر الديانات روحانية في العالم. صحيح أنها تؤدي هذه الأعمال بناء على أسطورة، ولكن هذه المعتقدات مقبولة بشدة من قبل الهندوس. على سبيل المثال، أحد أهم معتقداتهم هو التناسخ الذي لا أساس عقلي أو علمي له، ولكنه مقبول بشدة لديهم. من المثير للاهتمام أنه عندما تخطط الحكومة الهندية لتوفير السكن للمشردين، لا يلقى ذلك ترحيبا. يعيش العديد من الهندوس في الهند على جوانب الشوارع، ويولد أطفالهم هناك ويمكثون حتى يموتوا. أي أنهم أساسا لا يسعون لامتلاك منزل، ويعيش الكثير منهم على السفن وعلى جوانب الشوارع. ولذلك، فإن العديد منهم يقومون بهذه الأعمال للوصول إلى الروحانية وغفران الذنوب والوصول إلى "الموكشا". في الهندوسية، لدينا كتب تسمى "الأوبانيشاد" التي تطرح ذروة العرفان ووحدة الوجود، وهي وحدة وجود صرف، وليست وحدة وجود يمكن التمييز فيها بين الله والإنسان.

تحليل تطبيقي لطقس الأربعين بـ "كومب ميلا" (دراسة تحليلية للاختلافات الهيكلية والمفاهيمية).

تمتاز هاتان المناسبتان، على الرغم من تشابههما الظاهر في الحجم والأهمية الدينية، باختلافات جوهرية في الهيكل والمفهوم والوظيفة الاجتماعية.

طبيعة المنشأ والخلفية:

"كومب ميلا" مهرجان هندوسي له جذور أسطورية، في حين أن مسيرة الأربعين تستند إلى حدث تاريخي موثق. يؤثر هذا الفارق في المنشأ تأثيرا عميقا على طبيعة ووظيفة كلتا الفعاليتين. فالأربعين، بصفتها حركة رمزية إحياء لذكرى واقعة كربلاء، تتسم بجانب واقعي، بينما تعتمد "كومب ميلا" أكثر على الجوانب الأسطورية والمثالية.

الهدف والوظيفة الاجتماعية:

في "كومب ميلا"، يتمحور التركيز الرئيس على تحرر الفرد من الذنوب وبلوغ الخلاص. يتناقض هذا النهج الفرداني مع الطبيعة الجماعية والاجتماعية لمسيرة الأربعين. فالأربعين، بالإضافة إلى جوانبها الروحية، تعد حركة اجتماعية في مواجهة الظلم والعدالة. يؤدي هذا التفاوت في الهدف إلى اختلافات ملحوظة في كيفية مشاركة المشاركين وتفاعلهم.

التنوع الديني والثقافي:

تقتصر "كومب ميلا" بشكل أساسي على متبعي الديانة الهندوسية، بينما مسيرة الأربعين، على الرغم من جذورها الشيعية، تجذب مشاركين من مختلف الأديان والثقافات. يدل الانتشار الواسع للأربعين على قدرتها على التحول إلى حدث يتجاوز الحدود الدينية.

دور الحكومة والجوانب الاقتصادية:

في "كومب ميلا"، تلعب الحكومة الهندية دورا بارزا في التخطيط والتنفيذ، ويولى اهتمام بالجوانب الاقتصادية والسياحية لهذا الحدث. في المقابل، تنظم مسيرة الأربعين بشكل أساسي من قبل الناس وبأقل تدخل حكومي، وحتى الآن، لم يول اهتمام كاف للجوانب الاقتصادية والسياحية فيها.

الهيكل الاجتماعي والمساواة:

يتمثل أحد الاختلافات الجوهرية في وجود تميزات طبقية في "كومب ميلا" مقابل المساواة النسبية في مسيرة الأربعين. يعكس هذا الفارق الهياكل الاجتماعية المختلفة في المجتمعات المضيفة لهذه الأحداث.

بشكل عام، تظهر دراسة التأثيرات الروحية للحدثين الدينيين الكبيرين، وهما "كومب ميلا" ومسيرة الأربعين، اختلافات ملحوظة في أهدافهما ونتائجهما الروحية. على الرغم من عدم وجود معيار محدد ودقيق لقياس الروحانية، إلا أن سلوك وأخلاق الأفراد بعد مشاركتهم في هذه المراسم يمكن أن يكون مؤشرا لتقييم التأثيرات الروحية. فـ"كومب ميلا"، بتركيزها على العلاقة الفردية مع الله وهدف التحرر من الذنوب وبلوغ الموكشا (الخلاص)، تركز على النمو الروحي الفردي. يتناول هذا المراسم بشكل مباشر الجوانب الفردانية للروحانية ويشجع المشاركين على التأمل في علاقتهم بالله. من هذا المنطلق، يتوقع أن يكون تأثيره الروحي أكثر على الجوانب الشخصية.

في المقابل، تهدف مسيرة الأربعين، بالإضافة إلى جوانبها الروحية، إلى تعزيز العلاقات الاجتماعية ومقاومة الظلم. يشجع هذا المراسم الرمزي المشاركين على التفاعل مع الآخرين ونقل رسالة الإمام الحسين عليه السلام في طلب العدالة. لذلك، تظهر التأثيرات الروحية للأربعين أكثر في المجالات الاجتماعية والأخلاقية. كذلك، يوفر الاعتقاد بالإمام الحسين عليه السلام كإنسان كامل، فرصة لنمو الفضائل الأخلاقية والروحية للمشاركين.

نهاية، يمكن القول إن كلتا المراسم تتمتع بقدرة عالية على تعزيز الروحانية؛ إلا أن نوع تأثيرهما مختلف. يتمركز "كومب ميلا" بشكل أكبر على العلاقة بين الفرد والخالق والخلاص الشخصي، في حين يؤكد الأربعين، بالإضافة إلى الجوانب الفردية، على النمو الاجتماعي والأخلاقي. تعد هذه الفروقات انعكاسا للمنهجين الثقافي والديني للمجتمعات التي تقيم هذه المراسم. ومن المتوقع أن يشهد المشاركون في كلتا المراسم تغيرات إيجابية في سلوكهم وأخلاقهم؛ إلا أن نوع التغيرات سيختلف بحسب أهداف المراسم.

فضائل العطاء، والصبر، والحب الثلاثة:

في مسيرة الأربعين، يعد الشعور بالاعتبار الأخلاقي والروحي من قبل المزور، أي الإمام الحسين بن علي عليه السلام، أحد الهموم الأساسية للزوار. هذا يعني أن الزوار يدركون أنهم إن لم يراعوا المبادئ الأخلاقية والروحية الأولية، فلن يكونوا موضع دعوة حقيقية من قبل الأئمة المعصومين. وبما أنهم يعتقدون بأن الأئمة المعصومين، بفضل طهارتهم الحياتية واتزانهم الشخصي، أحياء وفعالون حتى بعد الموت، فهم يتفاعلون بطبيعة الحال بشكل يمكنهم من نيل نظر أولياء الله. إضافة إلى ذلك، تضفي طبيعة رحلة الأربعين شمولية أخلاقية بحيث أن الفرد، حتى لو لم يكن مؤمنا بتأييد نظر المزور، لا يستطيع اتخاذ موقف معارض لنفسه لكون هذا المهرجان يعج بأناس ذوي توجهات روحية ودينية. لهذا السبب، في طقوس الأربعين، تعد أحد الضرورات الأساسية للسفر الفعال والمثمر بالسكينة، هي التفاعل على أساس الفضائل الأخلاقية. وهذا المنظور لا يملك ضرورة تحقق في مسيرة نهر الغانج، فالمهم هناك هو الوصول إلى ذلك الموقع فقط. لذلك، تتشكل مكونات تربوية أكثر جدية في مسيرة الأربعين، وسنشير في هذه المقالة إلى ثلاثة أمور محورية وأساسية منها.

العطاء:

في نظرة دين الإسلام ومذهب التشيع، تتجلى هذه الفكرة بأن المعطي يستفيد من عطائه أكثر من المعطى له؛ ذلك لأن المعطي يكتسب المعنى، بينما يكتسب المعطى له الشكل. المعطي يحصل على البقاء، والمعطى له ينال الانقطاع. وفي الحقيقة، يبلغ المعطي نضجا وقدرة على التحمل وقوة داخلية تؤثر بشكل كبير في تعزيز الذكاء الروحي والسلامة المعنوية والتنمية الشخصية.

وبما أن معظم الزوار الحسينيين مسلمون وشيعة، فينبغي النظر في بعض الآيات والروايات المتعلقة بموضوع العطاء، لتتضح الهندسة الفكرية للزوار أكثر.

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة: ١٠٩).

الترجمة: "فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير."

الشرح: في هذه الآية، "الأمر" لا يعني المراد به "الفرمان" في سياق الأوامر والنواهي، بل هو مقام ومكانة في عالم المجردات، وهو ما يدل على "كن فيكون". لذا، فإن الذين يكونون من أهل العطاء يفتحون طريقهم إلى عالم المعنى والملكوت.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

الترجمة:"لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين."

الشرح: يشير الله تعالى في هذه الآيات الشريفة إلى أن عفو العباد ومسامحتهم يتمحور حول تقدمهم هم أنفسهم. أي أن الإنسان يجب أن يتجه نحو العفو والمسامحة لا لأمر من الله ولا بداعي رضاه فقط، بل بسبب لذته ومنفعته الشخصية. ويضيف القرآن في الآية نفسها أن الله يغفر لكم، فيجب عليكم تبعا أن تغفروا للآخرين. وهذه نقطة مهمة، فإذا كان الإنسان يتوقع المغفرة، فعليه أن يغفر هو أيضا.

في ساحة الحياة الاجتماعية، يمتلك جميع الأفراد عيوبا وزلات. فكون الإنسان ينغمس بشكل مستمر في صراع بين الغرائز الحيوانية والميول الإنسانية العالية، فإن كل فعل يصدر عنه هو نتيجة هذا الصراع بين القوتين. لذلك، بطبيعة الحال، لا يمكن توقع أن تكون جميع أفعال الشخص صحيحة ومقبولة. والأضرار الناتجة عن هذه الزلات لا تقتصر على الفرد نفسه، بل تمتد في بعض الحالات لتطال أفرادا آخرين وتعرض مصالحهم للخطر. لو كان المقرر هو معاقبة جميع المخطئين بغض النظر عن ظروفهم، ولو قام كل شخص بالانتقام من كل إذى يلحق به، لتحولت ساحة الحياة البشرية إلى جحيم محرق من الغضب والكراهية والبغضاء. هنا تأتي الفضائل الأخلاقية والإنسانية العالية، والعفو والتجاوز هو واحد من هذه المكارم السامية وتاج يزينها جميعا.

بتدقيق المصادر الإسلامية، ندرك أن "الغفران" من المبادئ الأساسية في التعامل مع زلات الأفراد. حتى في الآيات التي يشرح فيها القرآن الكريم العقوبة والجزاء للمجرمين ويحذر المؤمنين من الخطر، يعبر عن التجاوز والعفو عن الخطأ كقيمة أعلى. يمدح القرآن الكريم في الآية ٥٤ من سورة القصص العفو في مواجهة عنف الفقراء الذين قد يفيض كيل صبرهم بسبب كثرة المشاق، فيتفوهون بكلام حاد وعنيف، فيقول: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني

حليم﴾ (القصص:٥٤). "قول معروف (في مواجهة المحتاجين) وعفو (وتجاوز عن عنفهم) خير من صدقة يتبعها أذى، والله غني حليم." من الواضح أن تحمل عنف هؤلاء الأفراد والتجاوز عن تعاملاتهم المسيئة يقلل من غضبهم ويعطيهم السكينة.

ويقول القرآن الكريم في الآية ٢٢ من سورة النور، بعد بيان كيفية تنفيذ حكم القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (النور:٢٢). فمن عفي له من قبل أخيه (في الدين) عن شيء (وتم التنازل عن قصاصه)، فينبغي له أن يتبع الطريق المرضي، ويدفع (الدية) بإحسان لمن عفا عنه. الملاحظة المهمة المستخلصة من تفسير ﴿من أخيه﴾ في هذه الآية هي أن القرآن يبقي على عقد الأخوة بين المسلمين حتى بعد سفك الدم بغير حق، ولتحريك المشاعر، يعرف ولي الدم بأنه أخو القاتل، وبذلك يدعوهم إلى العفو والتجاوز.

وفي آية أخرى، يوصي القرآن الكريم المؤمنين بأن يتجاوزوا حتى عن زلات الكافرين ومنكري يوم القيامة (إن لم يكن فيها مفسدة)، وأن يفوضوا أمرهم إلى الله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ (الجاثية:١٤). ﴿قل للذين آمنوا: ليغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾(الأخيرة)، اعفوا عنهم."

ويطلب الله في آية أخرى من نبيه ﷺ أن يتجاوز عن عقوبة المجرم بطريقة حسنة: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ (الحجر:٨٥). "تجاوز تجاوزا جميلا."

كان قادة دين الإسلام في سيرتهم العملية أشخاصا متسامحين وكراما. يقول الإمام الصادق ﷺ: "نحن أهل بيت منتنا على من ظلمنا." ومن جانب آخر، يدعو أئمة الدين أتباعهم إلى العفو، كما أشار الإمام أمير المؤمنين علي ﷺ في عهده لمالك الأشتر في التعليم الخامس إلى مسألة في غاية الأهمية تظهر سماحة وعظمة القوانين

الإسلامية: ﴿فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه﴾. "فلتشملهم بعفوك وصفحك كما تحب أن يشملك الله بعفوه وصفحه." ومن البديهي أنه لا يوجد إنسان (غير المعصومين) لا تصدر منه الأخطاء. الصغير والكبير، العالم والجاهل، كل منهم يقع في زلات بحسب حاله، ولا يمكن لأحد أن يدعي البراءة. حتى في حالات بعض الأنبياء الإلهيين، قد تلاحظ "ترك الأولى" أحيانا، وإن لم يكن ذنبا، إلا أنه لا يليق بمقامهم، وكما قال الشاعر:

حيث ضرب برق العصيان آدم الصفي كيف يليق بنا ادعاء البراءة؟!

كما أن الإنسان قد يفقد حالته الطبيعية أحيانا بسبب المشاق الجسدية والروحية، الفشل في الحياة، فقدان الأحباب وأمثال ذلك، وفي هذه الحالة يقع في زلات. يوصي الإمام عليه السلام مالك الأشتر، الذي سيحكم على جمع غفير من الناس، أي سكان مصر، بالعفو عن الأخطاء (بقدر الإمكان)، ولتعزيز هذا الدافع فيه، يلفت نظره إلى أخطائه أمام الله، فيقول: "ألا تريد أن يتجاوز الله عن أخطائك؟ إذا تجاوز أنت أيضا عن أخطاء رعيتك ولا تشدد عليهم." بطبيعة الحال، هذا العفو والتجاوز يكون ما لم يسبب فوضى أو إضاعة لحقوق المظلومين (مكارم شيرازي، ١٣٧٥).

كتحليل لفضيلة العطاء في زيارة الأربعين ومسيرة "كومب ميلا"، يمكن بحث جوانب متعددة، لكل منها عمق وأهمية خاصة.

غفران ذنوب الزوار:

زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين، وفقا للروايات المعتبرة، توجب مغفرة الذنوب. يشير هذا الأمر إلى الرحمة الإلهية الواسعة التي تجري من خلال التوسل بأهل البيت عليهم السلام. وقد قال الإمام الصادق عليه السلام في حديث: "ما من خطوة يخطوها

الزائر إلى حرم الإمام الحسين ﷺ إلا ومحا الله عنه خطيئة وكتب له حسنة." توفر هذه العملية التطهيرية الروحية فرصة استثنائية لتنقية روح الزوار ونفسهم. في مسيرة الأربعين، يشدد على غفران ذنوب الزوار الماضية والمستقبلية. يعتبر هذا الأمر واحدا من أهم فضائل هذه الزيارة. في المقابل، في "كومب ميلا"، الهدف الرئيسي هو التحرر من دورة التناسخ والتوصل إلى الخلاص، لكن لا يشار مباشرة إلى غفران الذنوب.

التقدم الروحي ونقاء الروح والجسد:

زيارة الأربعين، بالإضافة إلى غفران الذنوب، تسبب تزكية النفس وتنقية داخلية للزوار. هذه التجربة الروحية تعد فرصة لتربية النفس وتهذيبها. يتوصل الزوار على طول المسيرة وفي حرم الإمام الحسين ﷺ، من خلال التفكر في فلسفة ثورة عاشوراء والقيم الإنسانية السامية، إلى نوع من التنقية الداخلية التي يمكن أن تؤدي إلى تحول روحي وأخلاقي. في الواقع، يشدد كلا الحدثين على التقدم الروحي. في الأربعين، يتم ذلك من خلال تقوية الإيمان وتزكية النفس. وفي "كومب ميلا" أيضا، الهدف الرئيسي هو النمو الروحي، لكنه يركز أكثر على التجارب الفردية والتأمل.

بداية جديدة:

بناء على الروايات المأثورة، في مسيرة الأربعين بعد الزيارة، يبشر الزوار بأن ذنوبهم الماضية قد غفرت، وبإمكانهم فتح صفحة جديدة في حياتهم. يعد مفهوم "البداية الجديدة" واحدا من أجمل تجليات الغفران في الأربعين. يجد الزوار، بشعورهم بالخفة والتحرر من أعباء الذنوب الماضية، دافعا وقوة أكبر لمواصلة مسيرة الحياة بنهج إيجابي وبناء. وفي "كومب ميلا" أيضا يوجد مفهوم البداية الجديدة. يسعى الحجاج الهندوس، من خلال الاغتسال في "النهر المقدس"، إلى غسل ذنوبهم "لبدء حياة جديدة". يتشابه هذا المفهوم مع فكرة البداية الجديدة في زيارة الأربعين.

الغفران الإلهي:

ورد في الروايات أن الله سبحانه وتعالى يسلم ذنوب الزوار إلى الملائكة الموكلين بقبر الإمام الحسين ﷺ لكي يمحوها. تظهر هذه الصورة الجميلة للغفران الإلهي أهمية ومكانة زيارة الأربعين العالية. هذا الاعتقاد، بالإضافة إلى غرس الأمل والطمأنينة في قلوب الزوار، يدفعهم نحو حياة أكثر نقاء وروحانية. في "كومب ميلا"، لا يسلم الغفران الإلهي مباشرة إلى الملائكة. بدلا من ذلك، يسعى المؤمنون إلى التطهر من الذنوب بالاغتسال في النهر المقدس. وتعد عبارة "ألق ذنبك في الماء" ذات أهمية في هذا السياق.

الشفاعة:

بناء على العديد من الروايات، فإن إحدى البركات الخاصة بزيارة الأربعين هي إمكانية الشفاعة لـ ١٠٠ شخص يوم القيامة. يشير هذا الأمر إلى أن الغفران في زيارة الأربعين يتجاوز الجانب الفردي ليكتسب أبعادا اجتماعية. فالزوار، بهذا الفعل، لا يشملهم رحمة الله فقط، بل يمكن أن يكونوا وسيطا للغفران والرحمة للآخرين أيضا. يعزز هذا الجانب من الزيارة روح الإيثار والمسؤولية الاجتماعية بين الزوار. لكن، في المعلومات المتوفرة حول "كومب ميلا"، لم تذكر الشفاعة للآخرين بشكل مباشر. يبدو أن هذا الجانب خاص بزيارة الأربعين ومختص بزوار سيد الشهداء ﷺ.

مع ذلك، تضمن "كومب ميلا" جوانب أخرى من الروحانية والغفران:

- حضور "القادة الدينيين" و"السادوها" الذين يمكن أن يعملوا كوسطاء روحيين.
- فرصة لتعلم التعاليم الدينية التي يمكن أن تؤدي إلى النمو الروحي والأخلاقي.
- التأكيد على "السلام" و"التوازن" الذي يمكن أن يرتبط بشكل ما بمفهوم الغفران والتوافق الاجتماعي.

بالإجمال، وإن وجد مفهوم الغفران في "كومب ميلا"، إلا أن شكله وتركيزه يختلف عن زيارة الأربعين. تركز "كومب ميلا" أكثر على التطهير الفردي والبداية الجديدة، بينما تشمل زيارة الأربعين جوانب أعمق من الغفران الإلهي والشفاعة. تظهر هذه الجوانب المتعددة للغفران في زيارة الأربعين أن هذا المراسم العظيم، يتجاوز كونه حدثا دينيا بحتا، ليصبح فرصة لتزكية النفس، وإعادة البناء الروحي، وتقوية الروابط الإنسانية. ويمكن للزوار، بفهمهم لهذه الأبعاد، الاستفادة من هذه التجربة الروحية لتعزيز حياتهم الفردية والاجتماعية.

الصبر والتحمل (التاب آوري):

إحدى القيم الأخلاقية الأخرى التي تتجلى في مسيرة الأربعين هي قضية الصبر والبردباري. وذلك لأن التحديات المتنوعة، بما في ذلك الإرهاق، والتوتر، والازدحام، والعطش، وقلة النوم، وغيرها، تؤدي إلى فقدان الإنسان بعض سيطرته على انفعالاته. وإن لم تكن هناك محفزات ونظرات وتوجهات روحية، فإن الإنسان سيفقد توازنه الشخصي، وبالتالي لن يعتبر سلوكه مرضيا ومقبولا لدى المزور، أي الإمام أبي عبد الله عليه السلام. لهذا السبب، يزيد الأفراد من سيطرتهم على أنفسهم بشكل كبير؛ حفاظا على أحوالهم الروحية واستفادة من عنايات سيد الشهداء عليه السلام.

يأمر القرآن بشكل محدد وقاطع المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:٢٠٠). في الآية الكريمة السابقة، استعمل الصبر والبردباري بصورتين: الأولى الصبر الفردي والأحادي "اصبروا"، والأخرى الصبر في مواجهة العدو "صابروا". الصبر الفردي في المصائب والمشقات الأحادية مثل الثبات في العلم والوصول إلى الحقائق والواقعيات المتعلقة بالأصول والفروع، وتحمل الرد على اعتراضات المعارضين، والصبر على أداء الواجبات

والمستحبات، والصبر على الامتناع عن المحرمات والمنهيات، والصبر على الشدائد والصعاب في الدنيا مثل الفقر والقحط والخوف و أما "صابروا" من المصابرة على باب المفاعلة فتعني تحمل المشقات الثنائية بين الإنسان والآخرين مثل تحمل أخلاق العائلة، والجيران، والأقارب، وترك الانتقام والإعراض عن الجاهل، والإيثار على النفس، والعفو والتجاوز، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحمل مصائب الحرب والجهاد والشهادة. و"رابطوا" يعني أن الإنسان، بغض النظر عن تحمل المشقات والصبر والاستقامة، يحتاج بشكل ملح وكثير إلى مراقبة دائمة للعدو الداخلي مثل النفس الأمارة بالسوء والأعداء الخارجيين، لئلا يفاجئوه ويهجموا عليه (طباطبائي، ٤: ١٤٣).

لقد أوصى الله الأنبياء بالصبر للحفاظ على توازن دوافعهم في سياق أداء الرسالة الإلهية. وفي آيات كثيرة، يذكر القرآن النبي ﷺ بألا يتخلى عن الناس في مواجهة المقاومة التي تنشأ، وألا يتجه نحو الأغنياء. يقدم القرآن هذا التذكير بتحذير: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف:٢٨). يخاطب القرآن النبي بأن يصبر مع المؤمنين المخلصين الذين لهم علاقة وطيدة بالله، وقد سلموا قلوبهم لله، ويطلبون القيم الإلهية. ويحذره من صرف بصره عنهم والالتفات إلى الآخرين، كأنه يبغي زينة الحياة الدنيا (لأن الالتفات إلى الأغنياء هو نوع من طلب زينة الدنيا). وينهاه عن طاعة من أغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه، وكان أمره إسرافا. يشير تعبير "واصبر نفسك" إلى حقيقة أن النبي ﷺ كان تحت ضغط من قبل المعارضين وأشراف المشركين لإبعاد المؤمنين الفقراء عنه. لذلك، يؤمر النبي بألا ينظر إلى المستكبرين بعين الرغبة في زينات الدنيا، لأنهم غافلون عن ذكر الله، أما المؤمنون المعدمون فلهم

قلوب مملوءة بالحب الإلهي. وخلال فترة الفقر وعدم إظهار العجز والعوز في وقت الشدة والضنك، يحتاج المؤمنون المحتاجون إلى الصبر لئلا يقعوا في المعصية. من جانب آخر، تؤدي الاستقامة على طريق الإسلام إلى سعة الرزق، كما يقول القرآن: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ (الجن:١٦). "ولو أنهم استقاموا على طريق الهداية لسقيناهم ماء كثيرا وعذبا."

المقصود بـ "الطريقة" هي طريقة الإسلام، والاستقامة على الطريقة تعني الملازمة والثبات على الأعمال والأخلاق التي يقتضيها الإيمان بالله وبآياته. و"ماء غدقا" تعني ماء كثيرا. وليس بعيدا أن يستنتج من سياقهما أن جملة ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ هي مثل يرمي إلى بيان سعة الرزق. بعبارة أخرى، إن المداومة والثبات في الدين وحكم الحق تسبب سبلا أكثر للهداية ونعما مادية ومعنوية وافرة. والإنسان المؤمن يحتاج إلى الصبر في نطاق أدائه الشخصي وفي نطاق نشاطه الاجتماعي. وعلى المسلمين أن ينهضوا للمكافحة بصبر منظم مستند إلى الإيمان والتقوى عند مواجهة خطر جاد في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية وغيرها، وكذلك في مجال جهاد النفس (طباطبائي، ٢٠؛ ٧١).

أما الصبر والتحمل (التاب‌آوري) في مسيرة "كومب ميلا" فيمكن بحثه كقيمة أخلاقية أيضا، من خلال مواجهة الزوار لتحديات متعددة وسعيهم للحفاظ على الهدوء والتوازن في الظروف الصعبة. تعد "كومب ميلا" واحدة من أكبر التجمعات البشرية في العالم، حيث يجتمع الملايين في مكان واحد. يسبب هذا الجمع الغفير مشاكل مثل الازدحام، ونقص الإمكانات، ومحدودية الوصول. يحتاج الزوار إلى صبر نفسي واجتماعي لتحمل هذه الظروف والحفاظ على الهدوء. يشارك الزوار في هذا المراسم بهدف التطهر من الذنوب والتوصل إلى الخلاص (موكشا). يساعدهم هذا الاعتقاد الروحي على تحمل المصائب وقبول التحديات كجزء من مسيرتهم الروحية. ويلعب التركيز على الهدف الأكبر، مثل التحرر من دورة "سمسارا"، دورا مهما في تعزيز صبرهم.

يتطلب الحضور في "كومب ميلا" الالتزام بالنظام والانضباط؛ بما في ذلك إدارة الإرهاق، وقلة النوم، والظروف الجسدية الصعبة. يجب على الزوار التخطيط بدقة للمشاركة في المراسم الدينية والاغتسال في النهر المقدس، وهذا يتطلب سيطرة على الانفعالات وقدرة على التكيف مع الظروف المتغيرة. وعلى الرغم من أن "كومب ميلا" تركز أكثر على التجربة الفردية، إلا أن الحضور في الجمع الغفير يتطلب تفاعلا اجتماعيا إيجابيا. يجب على الزوار التعامل باحترام مع الآخرين والسعي للحفاظ على التوافق الاجتماعي، وهذا بذاته نوع من التدريب على الصبر الاجتماعي. ينخرط العديد من الزوار في التأمل والدعاء والعبادة خلال المراسم، وتساعدهم هذه الأنشطة على تهدئة عقولهم وتعزيز قدرتهم على الصبر النفسي. ويلعب الارتباط بالقيم الروحية الأكبر، مثل الاتحاد بالله أو الطبيعة، دورا مهما في تقوية قدرتهم على تحمل المشقات. في الثقافة الهندوسية، يقبل تحمل المصائب كجزء من مسيرة النمو الروحي. ويعتبر زوار "كومب ميلا" أيضا صعاب الرحلة فرصة لتزكية النفس وتقوية إرادتهم (قنبري، ١٤٠٢).

في مسيرة الأربعين، يعتبر الصبر والتحمل (التاب‌آوري) واحدا من القيم الأخلاقية البارزة. يتعرض الزوار في هذه المسيرة لتحديات مثل الإرهاق، ونقص الإمكانات، وازدحام الجموع، والعطش، وقلة النوم، والظروف الجوية. لكن ما يعزز صبرهم هو الدوافع الروحية العميقة والارتباط برسالة عاشوراء. فالزوار، بوعيهم بهدف الزيارة، أي إحياء رسالة الإمام الحسين عليه السلام ومكافحة الظلم، يسعون للسيطرة على سلوكهم والحفاظ على توازنهم الشخصي. هذا الصبر، بالإضافة إلى جانبه الفردي، له بعد اجتماعي أيضا؛ ذلك لأن الزوار في تفاعلهم مع الآخرين يجب عليهم إظهار مزيد من الصبر والبردباري للحفاظ على جو التعاطف والوحدة.

في المقابل، يتخذ الصبر والتحمل (التاب‌آوري) في "كومب ميلا" جانبا فرديا أكثر. يواجه الزوار الهندوس، للمشاركة في هذا المراسم، مشاكل مشابهة مثل ازدحام الجموع، ونقص الإمكانات، وظروف الرحلة الصعبة. لكن دافعهم الرئيسي هو التحرر من دورة "سمسارا" (التناسخ) والوصول إلى "موكشا" (الخلاص النهائي). يساعدهم هذا الاعتقاد الروحي على تحمل المشقات واعتبارها جزءا من مسيرتهم الروحية. بخلاف الأربعين حيث يرتبط الصبر أيضا بالتفاعلات الاجتماعية، في "كومب ميلا" يتمركز التركيز أكثر على التجربة الشخصية وعلاقة الفرد بالله أو القوى الإلهية.

فرق آخر مهم هو أن الصبر والتحمل في الأربعين يرتبط بشدة بقيم مثل السعي إلى العدالة، ومكافحة الظلم، والتكافل الإنساني. أما في "كومب ميلا"، فيعتبر الصبر والتحمل أكثر كأداة للتطهير الفردي وتعزيز المكانة الروحية في دورة التناسخ. كما أن في الأربعين، هناك تأكيد على المساواة بين الزوار، فيتحرك جميع الأفراد دون النظر إلى طبقتهم أو مكانتهم الاجتماعية جنبا إلى جنب. أما في "كومب ميلا" فلا تزال هياكل الطبقات قائمة، وقد تؤثر حتى على مقدار صبر الأفراد.

بالإجمال، يمكن القول إن الصبر والتحمل (التاب‌آوري) في مسيرة الأربعين و"كومب ميلا"، بالرغم من التشابه الظاهري في مواجهة التحديات، لهما فروقات جوهرية في المفهوم والأهداف، والتي تنتج عن الخلفيات الثقافية، والدينية، والاجتماعية لهذين الشكلين من المراسم. يتواجد الصبر والتحمل في كلا الحدثين؛ لكن في الأربعين يركز أكثر على الجوانب الاجتماعية والأخلاقية، بينما في "كومب ميلا" ينصب هذا المفهوم أكثر على النمو الفردي والخلاص الروحي. هذه الفروقات تعد انعكاسا للفروقات الجوهرية في الفلسفة الدينية والثقافية فيهما.

المحبة: الرأفة (المهرورزي):

في مسيرة الأربعين، وبما أن الإنسان، بفضل تعريف الإمام الحسين ﷺ للإنسان، لا يرى كمال ذاته في الأنانية المادية والفردية والسطحية، بل يجد الانبساط والرضا في تفانيه للآخرين، فإنه يسعى في كل مواجهة إلى كسب القلوب.

تعبر الكلمة الفارسية "مهر" عن عناصر من الحرارة، والإشراق، والنور، والضياء. و"المهربان" هو من يحفظ هذه العناصر القيمة؛ لأن الحياة بلا دفء وإشراق لا معنى لها. الشخص المحب، بمحبته، يجذب الجميع إليه كشمعة مضيئة، فيزيل الظلمة ويجلب النور ويمنح الحياة الدفء.

في التعاليم القرآنية، يعبر عن هذا المعنى بكلمات تحمل كل واحدة منها دلالة معنوية خاصة وتوضح مرتبة من مراتب هذا الحب والشعور الداخلي. المحبة، المودة، الشفقة، الرأفة، العطف، والرحمة، هي مجرد بعض هذه الكلمات المستخدمة في القرآن.

من وجهة نظر الله تعالى، تحتل المحبة والرأفة مكانة مهمة لا يمكن وضع شيء آخر بمستواها؛ لأن الوجود قام على الحب والمحبة، والعدل والإحسان ليسا إلا علامات للرحمة الإلهية الأزلية والأبدية في حق المخلوقات؛ لأن كل الخلق قد اكتسب واقعه وتحقق حقيقة على رحمة الله الرحمانية.

بناء على تعاليم القرآن، قلب الإنسان هو حقيقته الإنسانية. لهذا السبب، اعتبره مركزا للعواطف والمشاعر، والإدراك والمعرفة، وشدد على حماية القلب كأهم جوهر من الجوانب الإنسانية، ونهى عن تدميره وإضعافه بعوامل داخلية وخارجية (البقرة، آيات ٧، ١٠، ٧٤، ٨٨، ٩٨، ١١٨).

الرحمة الإلهية، التي هي مصدر لطف البشر وإحسانهم (آل عمران: ١٥٩؛ مريم: ١٣؛ الروم: ٢١؛ الحديد: ٢٧)، جعلت قلب الإنسان مركز المحبة والرأفة وموضع الإدراك ومعرفة الحق والباطل ومركز الإنسانية. هناك يجتمع العقل والحب في مركز واحد يسمى القلب، فيبلغ الإنسان به الكمال التام.

الرحمة الإلهية، في تجليها الإنساني، لم ترد للعقل فقط أن يكون حاكما على نفس الإنسان؛ لذا، وضعت الحب فيه ليصل الإنسان إلى كمال جدير ولائق به ليكون خليفة لله ومظهرا لربوبية الله.

إذا كانت الرحمة الإلهية هي محور الخلق الإلهي، وكان الخلق يدور حول الرحمة، فإن الحب الإلهي، بجانب العقل في مرآة قلب الإنسان، يصبح مظهرا لتلك الرحمة. بهذا الشكل، يعكس قلب الإنسان جوهر الإنسانية والتأله.

إن قيمة ومكانة القلب في الإنسان مهمة وأساسية لدرجة أن الله في آيات عديدة، منها الآية ٢٧ من سورة الحديد، يصف نفسه بأنه المدبر والمتصرف في قلوب البشر الذي يجذبها نحو الرأفة والمحبة.

بناء على ما تقدم، يمكن إدراك قيمة وأهمية المحبة والرأفة في تعاليم القرآن. وإضافة إلى ذلك، يمكن استنباط القيمة العالية للمحبة والرأفة من تشجيع الله وترغيبه فيهما وبيان آثارهما ووظائفهما.

يعتبر الله في القرآن المحبة والرأفة من آياته الإلهية (الروم: ٢١)، ويعتبر قيمة الإنسان في تمتعه بروح الرأفة والعطف (التوبة: ١٢٨؛ مريم: ١٣).

لذا، يمكن القول إن قيمة الإنسان، وفقا لتعاليم القرآن، تقوم على تمتعه بالرأفة والرحمانية والرحيمية. بهذا المعنى، كلما كان الإنسان مظهرا لرحمة الله الرحيم، بقدر ما زادت قيمته؛ لأن الإنسان الكامل هو من يبلغ الكمال في تجلي أسماء الله وتحققها فيه.

يشدد الله في آيات كثيرة على محورية الرحمانية التي يتجلى انعكاسها في الإنسان بأشكال من المحبة، المودة، الشفقة، حسن الوجه، حسن الخلق، وما شابه ذلك. بهذا المعنى، كلما كان الإنسان أحسن خلقا وأطيب سجية، أظهر تجليا كاملا لله وأصبح مرآة لكمال الله. لذا، يوصي الله المؤمنين الذين يطمحون إلى أن يكونوا ربانيين بأن يظهروا ذلك من خلال حسن الخلق وحسن المعاملة والشفقة (آل عمران: ١٥٩؛ البلد: ١٧).

للمهرورزي (المحبة:الرأفة) في سياق مسيرة الأربعين و"كومب ميلا"، باعتبارهما حدثين دينيين كبيرين، تجليات مختلفة تنبع من اختلاف الثقافتين والتعاليم الدينية لهذين الطقسين.

في مسيرة الأربعين، تتجلى المحبة بشكل بارز. هذا الحدث رمز للوحدة، والإيمان، والإنسانية التي تعمل فوق حدود الطوائف. يشارك الشيعة والسنة معا في هذه الزيارة، مما يظهر روح الوحدة والأخوة في الإسلام. يمثل زوار الأربعين نموذجا حيا للتضحية، حيث يقدمون الطعام، والماء، والمساعدات الطبية لرفاق دربهم، مرسلين رسالة عالمية للسلام والشفقة.

في المقابل، تظهر "كومب ميلا" أيضا تجليات خاصة للمحبة. يعد هذا الحدث، باعتباره لقاء دينيا عظيما، عرضا للتنوع الثقافي في الهند الذي يجمع أفرادا من خلفيات مختلفة. في "كومب ميلا"، تعزز روح الإحسان وخدمة المجتمع من خلال المطابخ المجانية "لنغر" التي تديرها منظمات مختلفة وتقدم الطعام لملايين الزوار بغض النظر عن وضعهم الاجتماعي.

الفرق الملحوظ في المحبة بين هذين الحدثين يتمثل في جوانبهما الاجتماعية. في الأربعين، يتجلى التفاعل الاجتماعي والمساعدة المتبادلة بين الزوار بشكل بارز جدا.

يساعد الزوار بعضهم بعضا في مجالات متنوعة مثل توزيع الماء والطعام، وتوفير الراحة للمشي إلى كربلاء، وتقديم الرعاية الصحية. يعكس هذا التفاعل الرائع قوة التكافل والمشاركة الاجتماعية.

في "كومب ميلا"، على الرغم من وجود روح الخدمة والمحبة، إلا أن جانبها الفردي أكثر. يركز الزوار أكثر على التجربة الشخصية والاتصال بالإلهية. ومع ذلك، في أوقات الأزمات، مثل حادثة الازدحام في "مها كومب"، شوهدت أمثلة رائعة للمحبة بين الأديان. على سبيل المثال، لجأ أكثر من ١٠٠٠ عائلة هندوسية إلى المساجد ومؤسسات الأقليات في برایاجراج.

بالإجمال، كلا الحدثين يمثلان قوة المحبة والتعاطف الإنساني، لكن شكل ظهورهما مختلف. في الأربعين، تتجلى المحبة بشكل جماعي وفي إطار خدمة الزوار، بينما في "كومب ميلا"، تظهر المحبة أكثر في شكل الاحترام المتبادل والتعايش السلمي بين أتباع المذاهب المختلفة.

بالإجمال، يمكن مناقشة الفروقات في المحبة بين "كومب ميلا" والأربعين في عدة محاور رئيسية. في الأربعين، المحبة جزء لا يتجزأ من فلسفة الحدث وهدفه الأصلي. تحدث هذه المحبة بهدف إحياء رسالة الإمام الحسين عليه السلام القائمة على السعي إلى العدالة والتضحية. في المقابل، في "كومب ميلا"، تعد المحبة قيمة ثقافية وأخلاقية عامة أكثر، وليست بالضرورة جزءا رئيسيا من الطقس الديني.

في الأربعين، تتجلى المحبة في شكل تقديم الخدمات الواسعة والمنظمة للزوار. فالمواكب ومحطات الخدمة على طول المسير هي نماذج بارزة لهذه المحبة. في "كومب ميلا"، تظهر المحبة أكثر في شكل الاحترام المتبادل والتعايش السلمي بين أتباع المذاهب المختلفة.

تتجاوز المحبة في الأربعين الحدود الدينية والوطنية وتشمل جميع الزوار، حتى غير المسلمين. في "كومب ميلا"، على الرغم من وجود المحبة، إلا أنها تلاحظ أكثر داخل المجتمع الهندوسي وبين المجموعات المختلفة لهذا الطقس. في الأربعين، للمحبة جانب جماعي قوي، حيث يشارك الأفراد جماعيا في تقديم الخدمات. في "كومب ميلا"، المحبة ذات جانب فردي أكثر، ويركز كل فرد على التجربة الشخصية والاتصال بالإلهية.

كما أن المحبة في الأربعين قد تحولت إلى ثقافة مستدامة تستمر على مدار العام وتتعمم على جوانب أخرى من الحياة الاجتماعية. في "كومب ميلا"، المحبة مقيدة أكثر بوقت إقامة المراسم ولا تمتد بالضرورة إلى جوانب أخرى من الحياة اليومية. كذلك، ترتبط المحبة في الأربعين مباشرة بالتعاليم الإسلامية وسيرة الإمام الحسين عليه السلام، بينما في "كومب ميلا"، تجد المحبة جذورها أكثر في التقاليد الثقافية الهندية والتعاليم العامة للهندوسية (https:::muslimmirror.com).

تظهر هذه الفروقات أن المحبة، وإن وجدت في كلا الحدثين، إلا أن شكلها، وهدفها، ونطاقها مختلف.

الخلاصة

تكشف الدراسة المقارنة لمسيرة الأربعين و"كومب ميلا"، وهما حدثان دينيان عالميان عظيمان، مع التركيز على ثلاثة مكونات: الغفران، والصبر والتحمل (التاب‌آوري)، والمحبة والرأفة (المهرورزي)، عن اختلافات كبيرة في طبيعة وأهداف ووظائف هذين الشكلين من المراسم الاجتماعية. يظهر هذا التحليل أن كل واحد من هذه المراسم، بالنظر إلى خلفياته الثقافية والتاريخية والدينية المختلفة، يقدم تجليات فريدة للقيم الأخلاقية.

في سياق الغفران، تقوم زيارة الأربعين على حدث تاريخي موثق ولها جانب واقعي. ترتبط هذه المراسم بالتعاليم الإسلامية وسيرة الإمام الحسين ﷺ، ويتجاوز مفهوم الغفران فيها الجانب الفردي ليكتسب أبعادا اجتماعية. لا يرى الزوار أنفسهم مشمولين بالرحمة الإلهية فقط، بل يمكنهم أيضا الشفاعة للآخرين، مما يشير إلى العلاقة العميقة بين الغفران والمسؤولية الاجتماعية. في المقابل، تجد "كومب ميلا" جذورها في الأساطير الهندوسية، وينصب الغفران فيها بشكل أساسي على التطهر الفردي من الذنوب والتحرر من دورة التناسخ (سمسارا). يظهر هذا الاختلاف مقاربات متباينة لمفهوم الغفران في الطقسين الدينيين؛ أحدهما يتمحور حول السعي إلى العدالة والتكافل الاجتماعي، والآخر يركز على الخلاص الشخصي.

يتجلى الصبر والتحمل (التاب‌آوري) أيضا بشكل بارز في كلا الحدثين، لكن بطبيعة مختلفة. في مسيرة الأربعين، يواجه الزوار تحديات مثل الإرهاق، ونقص الإمكانات، وازدحام الجموع، والعطش، وقلة النوم، والظروف الجوية. ما يعزز صبرهم وتحملهم هو الدوافع الروحية العميقة النابعة من رسالة عاشوراء. يبذل الزوار، بوعيهم بهدف الزيارة، أي إحياء رسالة الإمام الحسين ﷺ القائمة على مكافحة الظلم والتضحية، جهودا للسيطرة على سلوكهم والحفاظ على توازنهم

الشخصي. هذا الصبر، بالإضافة إلى جانبه الفردي، له بعد اجتماعي أقوى؛ لأن الزوار في تفاعلهم مع الآخرين يجب عليهم إظهار مزيد من الصبر والبرديباري للحفاظ على جو التعاطف والوحدة. كما يشير وجود المواكب والخدمة الواسعة للزوار إلى تعزيز الصبر الجماعي الذي يساعد على خلق ثقافة مستدامة من التكافل.

في المقابل، يتخذ الصبر والتحمل (التاب‌آوري) في "كومب ميلا" جانبا فرديا أكثر. يواجه الزوار الهندوس، للمشاركة في هذا المراسم، مشاكل مشابهة مثل ازدحام الجموع، ونقص الإمكانات، وظروف الرحلة الصعبة، لكن دافعهم الرئيسي هو الوصول إلى الخلاص النهائي ("موكشا"). يساعدهم الاعتقاد بالتطهر من الذنوب من خلال الاغتسال في نهر الغانج المقدس أو غيره من الأنهار المقدسة على تحمل المشقات واعتبارها جزءا من مسيرتهم الروحية. بخلاف الأربعين حيث يرتبط الصبر بالتفاعلات الاجتماعية أيضا، في "كومب ميلا" يتمركز التركيز أكثر على التجربة الشخصية وعلاقة الفرد بالقوى الإلهية. كما أن هياكل الطبقات الموجودة في "كومب ميلا" قد تؤثر على مقدار صبر الأفراد؛ لأن أفراد الطبقات المختلفة يتعرضون لتحديات متباينة.

أما المحبة والرأفة (المهرورزي) فلها تجليات مختلفة في هذين الحدثين. في الأربعين، تتجلى المحبة في شكل تقديم الخدمات الواسعة والمنظمة للزوار. فالمواكب ومحطات الخدمة نماذج بارزة لهذه المحبة التي تعمل فوق الحدود الدينية وتشمل جميع الزوار، حتى غير المسلمين. هذه التفاعلات الإنسانية لا تعزز روح الإيثار فقط، بل تنقل رسالة الإمام الحسين عليه السلام العالمية في السلام والشفقة. في المقابل، للمحبة في "كومب ميلا" جانب فردي أكثر، لكن لا تزال تلاحظ تجليات للاحترام المتبادل بين أتباع المذاهب المختلفة. فالمطابخ المجانية "لنغر" التي تديرها منظمات مختلفة هي نموذج للمحبة الجماعية، لكن هذه المحبة مقيدة أساسا بالمجتمع الهندوسي وأقل عالمية.

بالإجمال، يمثل كلا الحدثين قوة القيم الأخلاقية مثل الغفران، والصبر والتحمل، والمحبة والرأفة، لكن شكل ظهورها مختلف. تركز زيارة الأربعين أكثر على الجوانب الاجتماعية والتاريخية والأخلاقية؛ حيث يلعب التكافل الإنساني دورا مهما. في المقابل، تتمركز "كومب ميلا0 أكثر على التجارب الفردية التي تجد جذورها في التعاليم الروحية الهندوسية. تعد هذه الفروقات انعكاسا للخلفيات الثقافية والدينية المتباينة لهذين المراسمين، وتظهر دور الأحداث الدينية في صياغة الهويات الاجتماعية والروحية للمجتمعات المختلفة.

المصادر

القرآن الكريم

١. پويافر، محمدرضا، رضايى، مهشيد (١٤٠٠)، زيارت‌هاى پياده در جهان معاصر؛ نگاهى جامعه‌شناختى (الزيارات سيرا على الأقدام في العالم المعاصر؛ نظرة سوسيولوجية)، انتشارات دانشگاه امام صادق عليه السلام (منشورات جامعة الإمام الصادق عليه السلام).

٢. طباطبائي، محمد حسين (١٣٧٤)، الميزان فى تفسسير القرآن (الميزان في تفسير القرآن)، قم: دفتر انتشارات اسلامي وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم (مكتب النشر الإسلامي التابع لجامعة مدرسي الحوزة العلمية بقم).

٣. قنبرى، بخشعلى (١٤٠٢)، بررسى تفاوت‌هاى پياده روى اربعين با يک مراسم مذهبى در دنيا (دراسة الفروقات بين مسيرة الأربعين ومراسم دينية أخرى في العالم).

٤. مكارم شيرازى، ناصر (١٣٧٥)، پيام امام امير المؤمنين عليه السلام (رسالة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام)، تهران: دار الكتب الاسلاميه (دار الكتب الإسلامية).

5. Fischer, Michael. & Mehdi, Abedi. (1990). Debating Muslims: Cultural Dialogues Between Tradition and Postmodernity. University of Wisconsin Press.

6. Fischer, Michael. (1980) Becoming Mullah: Reflections on Iranian Clerics in a Revolutionary Age." Iranian Studies. 13(1117-83 :(4-.

7. Fischer, Michael. (1980) Iran: From Religious Dispute to Revolution. Harvard University Press.

8. KUMBH MELA 201516- NASHIK CITY TENDER DOCUMENT FOR SUPPLY OF ANALOG CENTRALIZED AND STANDALONE PUBLIC ADDRESS SYSTEMS ON RENTAL BASIS.

9. https:::khedmatgozaran.com:mag:290838:the-reward-of-arbaeen-

10. https:::fa.icro.ir:News-New-kabul:%D985%%D982%%D8%A7%D984%%D987-%

11. https:::www.dinonline.com:4494:%D8%B*

12. https:::msp.sbmu.ac.ir

13. https:::imamhussain.org:persian:12691#:~:text

14. https:::38713521.khabarban.com:#:~:text

15. https:::makarem.ir:news:fa:News:Details:418844#:~:text

16. https:::sobhezagros.ir

17. https:::zaerane.com:reward-of-visiting-arbaeen

18. https:::kayhan.ir:fa:news:248113

19. https:::muslimmirror.com:arbaeen-a-symbol-of-unity-faith-and-humanity:

فن البانوراما وتوثيق الحدث الديني لزيارة الاربعينية (مقترحاً جمالياً)

م.وعد عدنان محمود
كلية التربية للعلوم الإنسانية-ابن رشد
as@nhm.uobaghdad.edu.iq

م.م.احمد رزاق يونس
كلية التربية للعلوم الإنسانية-ابن رشد
ahmed.r@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص

يهتم الباحث الحالي بدراسة فن البانوراما وتوثيق الحدث الديني بصرياً (الزيارة الاربعينية) مقترحاً جمالياً لذلك قسم الباحث البحث إلى أربعة فصول.

الفصل الأول يتم فيه دراسة التحولات فن البانوراما المميزات والخصائص وقد قسمه إلى مبحثين هما المبحث الأول (آليات الاشتغال في فن البانوراما) والمبحث الثاني (استعمال المواد المختلفة في فن البانوراما).

الفصل الثاني: فن البانوراما والحدث الاجتماعي وطرائق التنفيذ وقد قسمه إلى مبحثين حملا عنوان (الحدث الاجتماعي ومقترحات الفن) في حين الثاني (الفن والممارسات الدينية (كيفيات الحوار ونسق الارتباط الجمالي) بعدها قدم الباحث مجسمات وتشكيلات بصرية تم تأليفها وانشاؤها من خلال جملة من الصور الفوتوغرافية وإعادة بنائها من خلال اظهار تكوينات وموضوعات.

بينما في الفصل الرابع قدم النتائج والاستنتاجات ومنها ان فن البانوراما (الزيارة الاربعينية مقترحاً جمالياً) حالة مدركة حسياً عبر تأليف الصور الفوتوغرافية وإعادة تمثيلها بتكوينات مجسمة وفق موضوع يتخذ بعداً بانورامياً شاملاً.

بعدها قدم المقترحات والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: فن البانوراما ،الزيارة الاربعينية، التوثيق البصري،الجمالية الدينية، المجسمات الفوتوغرافية

The Art of the Panorama and Documenting the Religious Event of the Arbaeen Pilgrimage (An Aesthetic Proposal)

Lect.Waad Adnan Mahmoud
University of Baghdad, College of Education for Human Sciences / Ibn Rushd
Asst.Lect.Ahmed Younis Razzaq
University of Baghdad, College of Education for Human Sciences / Ibn Rushd

Abstract:

The current researcher is interested in studying the art of panorama and visually documenting the religious event of the Arba'een pilgrimage، proposing an aesthetic approach. Therefore، the researcher divided the research into four chapters. The first chapter examines the transformations in panorama art، its features، and characteristics. It is divided into two sections: the first deals with the mechanisms of working in panorama art، and the second with the use of different materials in panorama art.

The second chapter، "The Art of the Panorama، the Social Event، and Methods of Implementation،" was divided into two sections، one titled "The Social Event" and "Artistic Proposals،" and the other titled "Art and Religious Practices: Methods of Dialogue and the System of Aesthetic Connection." The researcher then presented visual models and formations composed and created from a series of photographs and reconstructed them by displaying compositions and themes. In the fourth chapter، the researcher presented the results and conclusions، including that the art of the panorama (the Arbaeen pilgrimage) is an aesthetically perceived state through the composition of photographs and their re-presentation in three-dimensional formations according to a theme that takes on a comprehensive panoramic dimension. He then presented the proposals and recommendations.

keywords:PanoramaArt-ArbaeenPilgrimage-Visual Documentation-Religious Aesthetics-Photographic Installations

الفصل الأول

المبحث الأول - فن البانوراما والحدث الاجتماعي وطرائق التنفيذ

أن فن البانوراما هو حالة تشكيل مجمعات واشكال حسية ملحوظة تتفاعل مع الصوت أو الحركة الجسدية للمشاهد وتأخذ في عمرانها أسطوانة كبيرة الحجم يوجد بداخلها مكان للمشاهدين وتجري احداثها داخل مكان الفضاءات المكانية وتشكيل مشهداً حيوياً من خلال جملة من المفردات والمواد المجسمة بقصد الإبلاغ عن الحدث التاريخي أو الديني أو حتى المحاربة الاجتماعية أو توثيق الانتصارات في الحروب أو التركيز على هوية المكان، ومن هذا فأن استعمال فن البانوراما في توثيق الحدث الديني وخصوصاً الزيارة الاربعينية كونها تضم مختلف النشاطات في المسير نحو (الامام الحسين) من تقديم الطعام للزائرين أو احداث اجتماعية مثل التكافل الاجتماعي أو تقديم المساعدات أو احتفالات لها طابع ديني أو قراءة القرآن، كلها معطيات تبين أهمية عقد نسق علاقة بين الحدث الديني أو الاجتماعي وفن البانوراما.

(شكل ١)

(شكل ٢)

ان فن البانوراما يتطلب من الفنان ان يتمتع بخبرة في تأثيث معمارية الحدث سواء في معطياته الدينية (معركة أو الطقوس أو ممارسة الشعائر الدينية) أو معطيات اقتصادية أو حدث سياسي (الهوية الوطنية أو مواجهة قوة عسكرية) أو بانوراما عن التعليم والمعلم، فكلها معطيات تبين مدى أهمية فن البانوراما في توثيق الحدث) باختلاف مرجعيته، كونها الصورة البصرية هي لفتة اتصال وتواصل بطبيعتها الرمزية ومحاولاتها المعرفية، والثقافية (عبد الحسين , ٢٠١٨,ص١١).

(اشكال ١،٢،٣) في البانوراما يعمل اللون والضوء بوصفه عنصر أساسي في بنية التصميم بقصد أثارة انتباه المشاهد وبما يخلق فكرة التباين ولعبة الانسجام بين المفردات والاشكال وبما ينتج عن ذلك حالة الشد البصري(اشكال ٤،٥،٦) (الربيعي , ١٩٩٩,ص٢٠).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع , السنة الرابعة , الملحق (٣)

(شكل ٣)

(شكل ٤)

(شكل ٥)

(شكل ٦)

المبحـــــث الثاني
استعمال المواد المختلفة في فن البانوراما

تعمل البانوراما على استيعاب التعديد والتنوع للمواد المختلفة ضمن فضائها الشكلي وجسدها التقني، بما ينتج عن ذلك حالة من الموائمة بين حقل الرسم (الجدارية) وفضاء البحث والضوء وحالة التجميع وحتى فنون التجهيز في الفراغ وهذا ما يلاحظه في الكثير في البانوراما (شكل ٩،٨،٧) وبهذا تعمل البانوراما على توثيق الحدث والعمل على تعزيز معطياته البصرية وتأثيثه بالأشكال والمجسمات والمفردات.

تسعى البانوراما، بأشكالها المتنوعة، إلى خلق تجربة غامرة بنقل الزوار إلى فضاء آخر. فهي تُخلّد أحداثًا أو تُحتفي بمناظر طبيعية لا تُنسى. ومن خلال تركيباتها في أنظمة بيئية مُصممة خصيصًا وآلياتها المُصممة خصيصًا للوهم، تُخلّد البانوراما ذكريات لا تُنسى. ويمكن تقييم الدور الرائد للبانوراما، كأول وسيلة غامرة في القرن التاسع عشر، في ضوء التطورات التكنولوجية، بدءًا من التناظرية الميكانيكية آنذاك وصولًا إلى الرقمية بمساعدة الحاسوب اليوم. ومن خلال استكشاف البانوراما المرسومة من منظور علم آثار الوسائط، نكتسب فهمًا أعمق للمسارات التاريخية لتقنيات الوسائط، والجماليات، والممارسات الثقافية، التي لا يزال الكثير منها يؤثر على مشهدنا الإعلامي اليوم.

(شكل ٧)

(شكل ٨)

(شكل ٩)

الفصل الثاني

المبحث الأول - الحدث الاجتماعي وتقدمات الفن

اما الفن فيعمل على تأثيث معطيات الحدث الاجتماعي وإعادة بنائه واخضاعه الى عتبة الفن بكل متغيراته وتحولاته وبما يعمل على بناء جسر الاتصال والتواصل مع ذهن المتلقي، وذلك ان الفن يرتبط ارتباطا وثيق الصلة بالمهارات المعرفية وآليات التفكير والكيفيات التقنية باستعمالها لتأثيث عالم الصورة التي تعتمدها مهارة اتصال مرئي من خلال الحركة والضوء والشكل المجسم وبما يستدعي ذلك خبرة تقنية بمواجهة العالم الخارجي) (ستولينز , ٢٠٠٧, ص٣٢٧.)(شكل ١٢،١١،١٠) كون الفن يستدعي الحدث الاجتماعي.

(شكل ١٠)

(شكل ١١)

(شكل ١٢)

بتنوع واختلاف المرجعيات والمؤثرات سواء أكانت دينية أو ثقافية أو لها بعد سياسي بقصد تأسيس عالم متصل يفارق الواقع في نقاط محددة ويلتقي معه في نقطة اتصال لها تصور تخيلي في الوعي اللاشعوري حيث يمتزج الحلم المتصل بالواقع المدرك بصرياً وحسياً (مازن عصفور، (٤٦), ص١٩-٢٠, ص٣٣٩)

وذلك ما نراه في البانوراما (شكل ١٤،١٣) ليعتبر الفنان فاعلا مؤثرا في توثيق الحدث الاجتماعي والتحولات الحاصلة في المعترك السياسي والثورات للشعوب أو حتى الممارسات الدينية او الاحداث تمثل استعارتها في الفن حالة من انفتاح الفن نحو فضاءات ثقافية صغيرة باستمرار (شكل ١٧،١٦،١٥).

(شكل ١٣)

(شكل ١٤)

(شكل ١٥)

(شكل ١٦)

(شكل ١٧)

الفصل الثالث

المبحث الأول - الزيارة الأربعينية: مشاهد مقترحة للتنفيذ (فن البانوراما والديوراما)

تمثل الزيارة الاربعينية احياء ذكرى مرور أربعين يوماً على استشهاد الامام الحسين بن علي ﷺ في كربلاء وتتجلى قيم انسانية وثقافية وتقديم واجب العزاء والمسير مشياً على الاقدام إلى ضريح الامام الحسين ﷺ وما يرافق ذلك من احداث وصور بالغة الأهمية في التسامح والاخاء وتقديم الطعام والشراب مجاناً وخيم الاستراحة وجلسات قراءة القرآن كذلك مشاهدة الأشخاص يحملون رايات الولاء للحسين والثبات على الموقف.

تعمل فنون البانوراما على انشاء بيئة مكانية وزمانية متحركة من خلال جملة من القواعد والقوانين التي يتم توظيفها لبناء مقترح جمالي لزيارة الأربعين منها جمع عدد كبير من الصور الفوتوغرافية عن الزيارة مثل صور نساء يحملن اعلام خضراء وحمراء إشارة واضحة إلى الزيارة وهن يرتدين الثياب السوداء رمزية واضحة عن الحزن على الامام الحسين ﷺ (شكل ٢٠، ١٩، ١٨) وذلك ان فنون البانوراما تعمل على طاقة الرمز وبلاغته في التوصيل، ضِفْ إلى ذلك مسيرات الحزن التي تجري في الشوارع وعلى جانبيه خيام الاستراحة وترافقها أصوات واناشيد حسينية يتم وضعها بشكل يمنح البانوراما بلاغة الصوت التعبيري الذي يبلغ عن رمزية الحدث.

(شكل ١٨)

(شكل ١٩)

(شكل ٢٠)

ان طرائق العرض البصري لفن البانوراما يمنح الإحساس بمدى أهمية توظيف الحدث أو الصورة وتحويلها إلى مجسم ضمن خزانة ليكون ديوراما أو جمع صور ويكون منها انشاء تصويري بالغ الأهمية، كون ان حالة ربط فن البانوراما في توظيف الحدث الاجتماعي ومنها الزيارة الأربعينية يمنح بعداً توصيلياً ولزيادة الثقافة والوعي في عرض الاعمال النفسية التي تقدم الحدث الديني بصورة اكثر اتصالاً مع العالم الخارجي وعدم الانغلاق على طريقة تعبير واحدة وبهذا فأن البانوراما (الزيارة الأربعينية) حدث يميز بناءه من خلال عرض بصري متعدد المكان والانتقال والمسير مشياً وصولاً إلى نهاية المسير وهو ظهور قبة الامام الحسين من بعيد لتقترب لمشاهد اكثر فأكثر حتى تنطلق أصوات واناشيد تبين مقتل الامام وهي عملية تتمثل برسم صورة رمزية للمشهد من الممكن الإشارة في (بانوراما الزيارة الاربعينية) إلى حالة تتلاقى بيئات ثقافية واجتماعية

في أماكن مختلفة وجنسيات متنوعة يشترك فيها الشرقي والغربي، الإنسان في كل بقاع الأرض يأتي ليحضر المشهد كلها تسير في حركة تواصلية تخترق الحشود وتجتمع معها مكونة كتلة جسد به واحدة بمواجهة الظلم التاريخي ليزيد على مر الزمان، (حشود الحسين بمواجهة الظلم في كل مكان)، (حشود الحسين بمواجهة جيوش الظلام).

ان(بانوراما الزيارة الاربعينية) المقترح أنشاؤها من خلال لوحة تضم مختلف البيئات المكانية وتحتفل بكونها تحتوي على حشود من جميع الأمكنة بالعالم تأتي (تحت قبة الأمام الحسين عليه السلام) تلك الرمزية الكبيرة في وحدة الكلمة باختلاف النوع والجنس واللون والثقافة والبيئة والعادات والطبقة الاجتماعية كلها تسير نحو جهة واحدة هي كربلاء. اما البانوراما والديوراما اجناس واشكال إبداعية تم توظيفها في مجمل الجوانب الثقافية والإخراج السينمائي والتلفزيوني وحتى الأفلام القصيرة. ان الضوء والحركة وطريقة ترتيب وتنظيم المجسمات تعلن عن تقديم الحدث الديني (الزيارة الاربعينية) بما يمنح ذلك الحدث صورته الجمالية وطاقتها البلاغية عن اجتماع الحشود الإنسانية بذلك التواصل البصري عبر المثيرات الذهنية والحسية والمرئية والاشكال المجسمة التي تشترك في أثارة الموضوع واعلان مدى أهمية حضوره في دائرة الفن، وبذلك فأن البانوراما شكل ابداعي غني وواسع الثراء يسمح بدخول موضوعات شاسعة في المؤتمر الاجتماعي والبيئي وجملة التحولات الثقافية الحاصلة في بيئة المجتمع.

شكل(١)

شكل(٢)

شكل (٣)

شكل (٤)

الفصل الرابع
النتائج والاستنتاجات

١. ان فن البانوراما (الزيارة الاربعينية مقترحاً جمالياً) امتثل حالة في اعلان الحوار مع الحدث الاجتماعي بصورته المدركة حسياً ويتم ذلك عبر الصور الفوتوغرافية وإعادة بنائها بشكل مجسم وتمثيلها بالرسم أو اعلان طاقة الضوء والهيليوغرام في بناء تصوراتها وأدراك مدى خصائصها والواقع ان حالة الابداع تتمثل في تشكيل بيئة مكانية تعلن عن التأمل والمشاركة وتكوين صورة ذهنية تحضر من عالم المخيلة والواقع.

٢. ان الفنان في (فن البانوراما) انما يهتم بصياغة عالم ابداعي وتشكيل صوري يقدم للمتلقي طاقة انفعال وتأمل الذات المؤمنة بذلك العالم (الشهادة والزيارة الأربعينية) كل تلك المعطيات انما تتحرك بدافع الخطة وأدراك الصورة المتخيلة والمحولات الثقافية عنها.

٣. سيحمل فن البانوراما صفة التمايز والاختلاف من خلال فضاء يجمع بين الرسم والنحت والفن الجداري والفنون السينوغرافيا ويتم اخضاع تلك المعطيات باتجاه تمثيل المشهد والحدث بكل ذلك التنوع في المسير إلى خيم الاستراحة وفضاءات العروض البصرية.

٤. يخضع الابداع والتفكير الإبداعي في فن البانوراما إلى حالة التفاعل الحدسي مع حدث (الزيارة الاربعينية) فالرؤية الجمالية تتمثل عبر العدة والأدوات ومنظومة اشكال ومفردات تعقد لها وظيفة الإبلاغ ومستويات فاعلة في التواصل البصري.

المقترحات والتوصيات

يوصي الباحث بتأسيس مركز دراسات يهتم بإعلان التفاعل بين الفن وممارسته الاجتماعية والثقافية وإعادة الصلة والارتباط بين الفنون بتنوعها واختلافها نحو البيئة الاجتماعية والفضاءات المكانية، واقامة جسر اتصال مع المكان من خلال إقامة عروض مسرح الشارع أو عروض بصرية في الساحات العامة، وإعلان عن مجموعة من الممارسات التشكيلية في الرسم والنحت في الشارع أو مع جموع الزائرين للتعبير عن الحدث الديني أو الاجتماعي ولذلك يقترح الباحث الاهتمام أكثر بعقد الصلة بين الفنون ومقترح البانوراما والمجسمات في فضاءات عرض مغايرة ومختلفة عن قاعات العرض المغلقة، فالفنان المعاصر يتفاعل مع الممارسة الاجتماعية ويعيد تمثيلها بما يتناسب مع جعل الفن يخص مع دائرة التحويلات السياسية والثقافية.

التوصيات

١. انشاء مركز دراسات يهتم بالفن ضمن دائرة التحولات الاجتماعية.

٢. انشاء مركز دراسات يهتم بممارسة الفن ضمن الفضاءات العامة.

٣. ادخال منهج الفن ضمن الصفوف الدراسية في الجامعات.

المصادر

١. جيروم ستولينز، النقد الفني، ترجمة زكريا إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧، ص٣٢٧.

٢. زين جميل عبد الحسين، صورة البطل المقدس، رسالة ماجستير، جمهورية العراق، جامعة القادسية، كلية الفنون الجميلة، ٢٠١٨، ص١١.

٣. عباس جاسم الربيعي، الشكل والحركة العلاقات الناتجة في العمليات التصميمية ثنائية الابعاد، اطروجة دكتوراه، جامعة بغداد، قسم التصميم العراق، ١٩٩٩، ص٢٠.

٤. مازن عصفور، انعكاسات العلم على الفن، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد (٤٦)، ع(١)، الجامعة الأردنية، كلية الفنون الجميلة الأردن، ص١٩-٢٠، ص٣٣٩.

5. https://denhaag.com/en/museum-panorama-mesdag.

6. https://www.touristplaces.net.in/thanesar-hr/panorama-museum/#google_vignette.

7. https://www.epfl.ch/labs/emplus/events/panoramas-as-memory-of-the-world/.

عملية التسامي الروحي
على أرضية مسيرة الأربعين العالمية

م.م.مريم چلمقاني
مُدرسة، باحثة وخريجة المستوى الرابع في الحوزة العلمية، المركز التخصصي
فاطمة الزهراء سلام الله عليها – أصفهان
Maryamcholmaghani@yahoo.com

الملخص

لقد حظيت ظاهرة مسيرة الأربعين الحديثة، باعتبارها أحد أكبر التجمعات الدينية في العالم خلال العقود الأخيرة، باهتمام متزايد من قبل الباحثين والمفكرين في مختلف حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية. لقد أصبحت هذه الحركة الشعبية التلقائية، ليس فقط كشعيرة دينية، بل كتجربة حياتية ذات مغزى وأرضية محتملة للتحول الفردي والاجتماعي، في بؤرة اهتمام الباحثين خلال العقود القليلة الماضية. يهدف البحث الحالي، بدافع تحليل عميق لعملية التسامي الروحي في هذه الأرضية الفريدة، إلى دراسة أبعاد ومراحل وآليات هذا التحول الجذري. تسعى هذه الدراسة للإجابة على السؤال الأساسي: "كيف يمكن لمسيرة الأربعين أن تكون أرضية مناسبة لتحقيق التسامي الروحي؟" يسعى هذا البحث إلى تحديد وتفسير وتحليل دقيق للمكونات المحورية لهذه العملية، من منظور نظري وتجريبي. تعتمد منهجية البحث في هذه الدراسة على وصف وتحليل النصوص والوثائق المتعلقة بالموضوع في مجال العلوم الإنسانية والدراسات الدينية. الهدف الأسمى للبحث هو تقديم إطار نظري متماسك لفهم أفضل لعملية التسامي الروحي في هذه الأرضية الخاصة. تشير النتائج الأولية إلى أهمية مكونات مثل "التأملات العميقة والتفكير النقدي"، و"تعزيز الإرادة والعزيمة الراسخة"، و"تجربة التعاطف والتضامن"، و"التمسك بالمعتقدات الدينية والإيمانية"، و"إقامة علاقات ذات مغزى وتفاعلات بين شخصية" في هذه العملية. في النهاية، سيساهم البحث الحالي، من خلال تقديم تحليل شامل وموثق ومتعدد التخصصات لأبعاد التسامي الروحي المختلفة في مسيرة الأربعين، في تعميق فهم هذه الظاهرة وتقديم إطار نظري للأبحاث المستقبلية والتطبيقية في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: التسامي الروحي، مسيرة الأربعين، عملية، تجربة حياتية، دراسات دينية، تنمية فردية، نمو روحي، زيارة.

The Process of Spiritual Transcendence on the Basis of the Global Arbaeen March"

Maryam Cholmaghani

Teacher, Researcher, and Fourth-Level Graduate of the Seminary (Hawza), Fatima al-Zahraa (peace be upon her) Specialized Center – Isfahan

Abstract

In recent decades, the phenomenon of the modern Arbaeen March—considered one of the largest religious gatherings in the world—has increasingly attracted the attention of researchers and thinkers across the fields of humanities and social sciences. This spontaneous popular movement has come to be regarded not only as a religious ritual, but also as a meaningful life experience and a potential ground for individual and social transformation. Over the past few decades, it has become a focal point for scholarly inquiry.

Motivated by a deep analysis of the process of spiritual transcendence within this unique context, the present study seeks to investigate the dimensions, stages, and mechanisms of this profound transformation. It aims to address the central question: How can the Arbaeen March serve as a suitable ground for achieving spiritual transcendence? The research aspires to identify, interpret, and carefully analyze the key components of this process from both theoretical and empirical perspectives.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
w w w . a r b n j . c o m
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ، آذار - ٢٠٢٦م

The study employs a methodology based on the description and analysis of relevant texts and documents within the fields of humanities and religious studies. Its ultimate goal is to present a coherent theoretical framework for a better understanding of the process of spiritual transcendence in this particular context.

Preliminary findings highlight the significance of components such as deep reflection and critical thinking, strengthening willpower and firm determination, experiencing empathy and solidarity, commitment to faith and religious beliefs, and establishing meaningful relationships and interpersonal interactions in shaping this process.

In conclusion, by providing a comprehensive, well-documented, and multidisciplinary analysis of the various dimensions of spiritual transcendence in the Arbaeen March, this research contributes to deepening the understanding of this phenomenon and offers a theoretical framework for future scholarly and practical studies in the field.

Keywords: Spiritual Transcendence , Arbaeen March , Process,Life Experience , Religious Studies , Personal Development , Spiritual Growth ,Ziyarat.

مقدمة

لقد استقطبت مسيرة الأربعين، باعتبارها حدثًا اجتماعيًا ضخمًا في العالم الشيعي، اهتمامًا متزايدًا في السنوات الأخيرة ضمن مختلف حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية. هذا الحدث العظيم الذي يجمع ملايين الأفراد سنويًا من جميع أنحاء العالم، ليس مجرد شعيرة دينية، بل هو ظاهرة اجتماعية-ثقافية ذات أبعاد واسعة يمكن أن توفر أرضية للدراسات العميقة في مجالات متنوعة بما في ذلك علم النفس وعلم الاجتماع والدراسات الدينية (رمضاني تميجاني، ٢٠٢٠م). الأربعين مقدمة كشعار ورمز خاص بالشيعة لا يختص إلا بالإمام الحسين ﷺ، والزيارة والعزاء في هذا اليوم علامة على الإيمان والالتزام الديني للزائرين. هذه الرمزية القوية تعزز الهوية الدينية والروحية للزائرين وتدفعهم نحو النمو والارتقاء الروحي (حسینی‌الطهرانی، ٢٠١٦م).

من بين الجوانب المتعددة لهذه الظاهرة، يمكن لعملية التسامي الروحي للزوار أن تكون محل بحث وتأمل، باعتبارها أحد جوانبها الخاصة. التسامي الروحي (Self-actualization)، وهو مفهوم طرحه أبراهام ماسلو في نظرية تدرج الاحتياجات، يُعرف بأنه أعلى مستوى من النمو والتطور الإنساني، وفي السياق الروحي، يرتبط هذا المفهوم بالتجارب الروحانية العميقة وإدراك معنى الحياة.

توفر مسيرة الأربعين، بخصائصها الفريدة، بيئة يمكن أن تمهد الطريق لتحولات داخلية وروحية عميقة لدى الأفراد. تخلق هذه البيئة، بمزيج من العناصر المادية (مثل المسير الطويل والتحديات الجسدية) والروحية (مثل الأجواء الروحانية والشعور بالمشاركة مع الزوار الآخرين)، أرضية فريدة للتجارب التحويلية (درودیان، ٢٠١٨م).

بيان المشكلة

في المشهد المليء بالتحديات للعالم المعاصر، الذي يواجه أزمات المعنى، التصدعات الاجتماعية، والفردية المفرطة، أصبح البحث عن نماذج جديدة للتسامي الفردي والروحي أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى (Frankl, 2006; Bauman, 2000). وفي غضون ذلك، حظيت التجارب الروحية العميقة والطقوس الجماعية، كأرضيات محتملة للتحول والتسامي الروحي، باهتمام متزايد من قبل الباحثين في مختلف حقول العلوم الإنسانية (Turner, 1969; Geertz, 1973). تعرض ظاهرة مسيرة الأربعين، بخصائصها الفريدة، بما في ذلك الحضور المليوني للزوار من مختلف الثقافات والجنسيات، أبعادًا واسعة من الروحانية والتسامي الذاتي (Momeni, 2018; Pakatchi, 2020). يمكن دراسة هذه الظاهرة، ليس فقط كطقس ديني تقليدي، بل كتجربة حياتية عميقة وعملية تحويلية، ضمن إطار أرضية مناسبة للتسامي الروحي على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

التسامي الروحي، كعملية ديناميكية ومتعددة الأبعاد، يعني السعي الواعي والمستمر للفرد لاكتشاف وتحقيق إمكاناته الروحية الكامنة، بهدف الوصول إلى الكمال والرضا الداخلي (Maslow, 1968; Emmons, 2000). توفر مسيرة الأربعين، من خلال دمج المعاناة والروحانية، وخلق أجواء مليئة بالتضامن والتعاطف، أرضية لا مثيل لها للمواجهة الذاتية، واكتشاف المعنى العميق للحياة، وتجربة الشعور بالاتصال بما وراء المادة. ومع ذلك، على الرغم من الإمكانات الكامنة لمسيرة الأربعين لتحقيق التسامي الروحي، فإن العملية والآليات الدقيقة لهذا التحول لا تزال مجهولة ومعقدة، وتحتاج إلى أبحاث أعمق وأكثر منهجية.

على الرغم من أن الدراسات السابقة حول مسيرة الأربعين قد تناولت جوانبها المختلفة، بما في ذلك الجوانب السوسيولوجية والنفسية والثقافية (حسيني، ٢٠١٨م؛ أميني وزملاؤه، ٢٠٢١م؛ حيدرى، ٢٠١٩م)، إلا أن الدراسة الدقيقة والمنهجية لعملية التسامي الروحي، وتوضيح كيفية تأثير هذه الظاهرة على النمو والتطور الروحي للزوار، لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة. على وجه الخصوص، يبدو أن غياب الأبحاث النوعية التي تركز على التجارب الحياتية للزوار والتحليل العميق لآليات هذه العملية، يمثل فجوة خطيرة في الأدبيات البحثية. لذلك، يهدف البحث الحالي، بدافع تحليل هذه الظاهرة، إلى دراسة أبعاد ومراحل وآليات عملية التسامي الروحي في سياق مسيرة الأربعين.

تسعى هذه الدراسة للإجابة على السؤال الأساسي: "كيف يمكن لمسيرة الأربعين أن تكون أرضية مناسبة لتحقيق التسامي الروحي؟" الهدف الرئيس لهذا البحث هو تقديم إطار نظري متماسك وموثوق لتوضيح عملية التسامي الروحي في سياق مسيرة الأربعين، وكذلك الدراسة المنهجية والعميقة للتجارب الحياتية للزوار من هذا المنظور. يعتمد هذا البحث نهجًا نوعيًا، وباستخدام المنهج الفينومينولوجي (الظاهراتي)، يسعى إلى اكتشاف وتفسير التجارب العميقة للزوار من أجل تحقيق فهم أدق وأعمق لهذه الظاهرة. هذا البحث ليس فقط مهمًا في توسيع المعرفة النظرية في مجال الدراسات الدينية وعلم نفس الروحانية؛ بل يمكن أن يكون له تطبيقات عملية مهمة في مجالات مثل الاستشارة الروحية، والتخطيط الثقافي، وحتى السياسات المتعلقة بالسياحة الدينية. في الختام، يسعى هذا المقال، من خلال تقديم نتائج مبنية على الأدلة والحجج المنطقية، إلى المساعدة في فهم أفضل لظاهرة التسامي الروحي في سياق مسيرة الأربعين، وكذلك تقديم مقترحات للأبحاث المستقبلية في هذا المجال. لذلك، يُصاغ هيكل البحث على النحو التالي:

السؤال الرئيسي:

كيف يُشكّل مسار مشي الأربعين كتجربة روحية واجتماعية، أرضية لتحقيق الذات الفردية والجماعية لدى الزائرين؟

الأسئلة الفرعية:

١. ما هي القيم والخصائص الروحية والاجتماعية التي تعزز خلال مسار مشي الأربعين؟

٢. ما دور التفاعلات الجماعية ومشاركة الزائرين في مسار مشي الأربعين في تحقيق عملية تحقيق الذات؟

٣. ما هي الآليات والعوامل الثقافية والتربوية التي تسهم في نمو وارتقاء الروحاني لدى الزائرين خلال مسار مشي الأربعين؟

٤. كيف يمكن لمسار مشي الأربعين أن يعمل كـ"مدرسة تربوية" في عملية التحول والنمو الروحي للإنسان؟

خلفية البحث

بشكل عام، يمكن تقسيم الدراسات التي أجريت حول الأربعين إلى عدة فئات. الفئة الأولى تتمحور حول الروايات والتفاسير المتعلقة بواقعة كربلاء وعاشوراء والأربعين، وينصب تركيزها بشكل أكبر على الجوانب الروائية الدينية والسياسية (شيرازي، ٢٠١٤م؛ أباذري، ٢٠١٤م؛ كلي زواره، ٢٠١٤م). أما الفئة الثانية فقد تناولت القضايا الاجتماعية والثقافية والدروس التي ينبغي استخلاصها من عاشوراء والأربعين (حسيني جلالي، ٢٠١٤م). الفئة الثالثة من الدراسات اقتصرت على مجال السياحة الدينية، الذي يتمتع به المجتمع الإيراني بحكم طبيعته

ووجود الإمكانيات الثقافية والدينية (خوشخو وبد، ٢٠١٦م؛ مافي وسقائي، ٢٠٠٩م). إن تعدد هذه الحالات يمنع من ذكر ومراجعة موجزة لنتائجها جميعًا. بالإضافة إلى ذلك، فإن عددًا محدودًا منها فقط يتشابه ويتداخل مع موضوع الدراسة الحالية، ويمكن الاستشهاد بها واستخدامها كخلفية للمقالة الراهنة.

في مقالها "دراسة أبعاد ومكونات المشاركة الجماعية الذهنية في مسيرة الأربعين" (٢٠٢٠م)، ركزت صديقة رمضاني تميجاني على ميدان المشاركة الجماعية في مسيرة الأربعين، وقامت بتقسيم هذا الميدان إلى ثلاث طبقات: ظاهرة، وشبه ظاهرة، وخفية. وصفت الكاتبة الخصائص المميزة والفريدة للأبعاد والمكونات الخفية لهذا الميدان الاجتماعي، أو بعبارة أخرى، العالم الذهني للمشارك. وخلصت إلى أن العالم الذهني للمشارك في الأربعين ينبع من ناحية من رؤية مبنية على الوحي للكون، ومن ناحية أخرى يتضمن تصورات وتصديقات تتعلق بمتطلبات الزمان والمكان في عالم الإسلام اليوم. إن أنماط التفكير مثل الإيجابية والشمولية، وكذلك النظرة العالمية والتاريخية للأمور، والنظام القيمي المختلف للمشاركين في الأربعين، متجذرة في الفهم الشمولي للعالم المحيط ونوع من فلسفة التاريخ ونظام أخلاقي خاص.

كما تناولت رمضاني تميجاني في مقال آخر بعنوان "تقديم نموذج المشاركة الجماعية لظاهرة مسيرة الأربعين" (٢٠٢٠م) دراسة نموذج المشاركة الجماعية، وخلصت إلى أنه في الطبقة الخفية، يعتمد على الحكمة، وفي الطبقة شبه الخفية، يعتمد على الفطرة السليمة والمجتمع، وفي الطبقة الظاهرة، يتمحور حول الروحانية. تُبنى كل طبقة وتتشكل على أساس الطبقة التي تحتها، وبما أن الحكمة الجارية والسارية في الطبقة الخفية، إلى جانب العقل والحس، تستفيد من الوحي، فإن النموذج بأكمله يتخذ طابعًا دينيًا وصبغة دينية.

في دراسة بعنوان "فينومينولوجيا تجربة مسيرة الأربعين" (٢٠١٧م)، قام فرهادي بإجراء بحث نوعي ميداني، وحلل ظاهراتيًا أحد أهم التطورات في الشعائر الدينية؛ إذ أصبحت التجارب المعيشة للزوار الإيرانيين في مسيرة الأربعين الحسيني (عام ١٣٩٦ - العراق) نقطة محورية للبحوث في مجال سوسيولوجيا الدين. شملت نتائج تحليل المقابلات في هذا المقال فئات مثل نوع الزوار الطالبين للحاجات، والزوار السياح، والزوار التقليديين (الأتقياء)، والزوار المثاليين، والزوار المهتمين بالطقوس، والزوار المهتمين بالمصلحة، والزوار المهتمين بالمساحة. وهكذا، فإن هذا البحث هو محاولة لقراءة وتفسير علمي لمسيرة الأربعين، وقد تم إنجازه من خلال عمليات تحليلية ونظريات مكملة.

وفي مقال "دراسة إمكانات وأرضيات المناسك الزيارية بناءً على فهم النظام المعنوي للمشاركين في مسيرة الأربعين" (٢٠٢٣م)، أشار رضا دوست وشهرياري إلى الجوانب الروحية والتسامي الذاتي في مسيرة الأربعين. الفئة المحورية في البحث هي "مسيرة الأربعين تجسيد لعالم الحياة المنافس للحداثة وإعادة بناء الذات". واستنادًا إلى نتائج البحث، يرى المشاركون أن مسيرة الأربعين هي فرصة للتسامي الذاتي لا يمكن تفسيرها بنظام تناسب الأهداف والوسائل في إطار العقلانية الأداتية المعتادة. وفي خضم هذه الظاهرة الدينية، يسعى الزوار من خلال الأدعية والذكر إلى تزكية أنفسهم، ويعتقدون أنهم يمكنهم استغلال هذه الفرصة للتسامي الروحي.

تطرقت أفشاني، خرمبور وممبيني في مقال بعنوان "دراسة العلاقة بين التدين والتسامي الروحي (دراسة حالة طلاب جامعة يزد)" (٢٠١٤م) إلى التبيان النظري والتجريبي للعلاقة بين التسامي الروحي والتدين، وذكروا التأثير المباشر والمعنوي للتدين على التسامي الروحي؛ لكنهم لم يشيروا إلى مسيرة الأربعين كرمز ديني.

في مقال "مسيرة الأربعين ودلالة فعل زيارة الزوار الشباب" (٢٠٢٠م)، قام غلامرضا تاجبخش، باستخدام منهج أخذ العينات النظري والهادف، وبعد تحليل البيانات النوعية، بتحديد خمسة محاور رئيسة:

١. السفر الجسدي.
٢. الجانب المعرفي، الاعتقادي.
٣. التجريبي، الشعوري.
٤. نمط الحياة الأربعيني.
٥. الهوية الأربعينية.

تشير النتائج العامة للبحث إلى أن مسيرة الأربعين تُعد عاملاً مكونًا للهوية وتلعب دورًا أساسيًا في راحة ونشاط وحيوية الشباب الروحية والجسدية والنفسية. كما أن تفوق النية الروحية والأخروية للزوار على النوايا المدنية والمادية والدنيوية هو من النتائج الأخرى لهذا البحث. يستخدم هذا المقال المنهج الظاهراتي لدراسة مسيرة الأربعين، لكن تركيزه ينصب على التجارب الروحية وليس على التسامي الروحي.

كما أشار محمدجواد درودیان في مقاله بعنوان "المنظور الروحي لحدث مسيرة الأربعين الحسيني" (٢٠١٨م) إلى أن التعاطف، والشعور بالأمان رغم انعدام الأمن، وكرم الضيافة الصادق، وتجربة الحب الطوعي، وأخيرًا الحب المتبادل بين المضيف والضيف لسيد الشهداء عليه السلام، هي المكونات التي تشكل فهم الزوار الروحي، وهذه الحالات هي مظاهر خاصة للروحانية في الأربعين.

بحث آخر بعنوان "مسيرة الأربعين وبناء الذات الفردية والاجتماعية" (٢٠٢٣م) من تأليف الدكتور رضا غلامي. في هذه المقالة، يتناول الكاتب مسيرة

الأربعين كفرصة فريدة لبناء الذات على المستويين الفردي والاجتماعي. ومن أهم خصائص هذا الطريق، الصمت والتأمل الذاتي، مما يمهد لظهور الذات الحقيقية. كما أن هذه المسيرة تُعد فرصة لممارسة الصبر، وتحمل المشاق، وإعادة تعريف الهوية الدينية والاجتماعية للحجاج. وقد كُتبت المقالة استنادًا إلى التجربة الحياتية والمشاهدات الميدانية، وتغطي الجوانب النظرية والتطبيقية للتربية الإسلامية.

مقالة "نظرة على الأبعاد الفردية والاجتماعية للمشاركة في الرحلة الروحية لمسيرة الأربعين" (٢٠٢٢م) بقلم حجة الإسلام نوايي، تتناول الإنجازات الأخلاقية والتربوية لمسيرة الأربعين على الصعيد الفردي. من أهم نتائج هذه الرحلة الروحية: بناء الذات وتهذيب النفس، السكينة الروحية، العزة، رفعة الشخصية، والصبر والمقاومة. إن تحمل مشاق الطريق يُعد فرصةً لممارسة الصبر والتحمل، كما أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام تهيئ أرضيةً للتزكية والتطهير الداخلي للزوّار الاربعين.

في مقالته "مسيرة الأربعين وأبعادها التربوية" (٢٠٢٠م)، قام غلامرضا تاجبخش بدراسة نوعية استنادًا إلى المقابلات والملاحظة بالمشاركة مع زوار الأربعين، حيث تناول الأبعاد التربوية لهذه المسيرة على ثلاثة مستويات: الفردي، الأسري والاجتماعي. تظهر النتائج أن مسيرة الأربعين تساهم في زيادة البصيرة، وعزة النفس، وبناء الذات الروحية، والتقارب بين الأجيال، وتصحيح نمط الاستهلاك، والهوية الدينية، والصحة النفسية، والثقة الاجتماعية. وتؤكد هذه المقالة أن للأربعين دورًا أساسيًا في التربية الإسلامية للمجتمع.

في مقال "دراسة التأثيرات الروحية والاجتماعية لمسيرة الأربعين على الزوار" (٢٠٢٤م)، تم الإشارة إلى الثواب والفضائل الروحية لمسيرة الأربعين. من بينها تقوية الإيمان، وبناء الذات وتزكية النفس، وزيادة الصبر وتحمل المشاق، والمعرفة الأعمق بالإمام الحسين عليه السلام والارتباط الروحي به. ويؤكد المقال أن هذه الزيارة تُعد أرضيةً للنمو الروحي وتعزيز المعتقدات الدينية.

لقد تناولت الدراسات المذكورة أبعادًا روحية واجتماعية وفردية لمسيرة الأربعين من زوايا مختلفة. على الرغم من عدم العثور على مقال مباشر بعنوان "التسامي الروحي وزيارة الأربعين" تحديدًا، إلا أن المصادر المذكورة تناولت جوانب مختلفة من العلاقة بين الروحانية والتدين والتسامي الروحي، والتي يمكن أن تكون مفيدة وقابلة للاستشهاد بها في دراسة موضوع التسامي الروحي في سياق زيارة الأربعين.

تُظهر مراجعة خلفية البحث أنه على الرغم من وجود دراسات متعددة في مجال مسيرة الأربعين بأبعادها الاجتماعية والثقافية، لا توجد دراسة شاملة ومنهجية حول "عملية التسامي الروحي على أرضية مسيرة الأربعين". يهدف البحث الحالي، بهدف سد هذه الفجوة البحثية، إلى دراسة هذا الموضوع بدقة وعمق، وسيساهم من خلال تقديم إطار نظري متماسك وموثق بأدلة تجريبية في تطوير المعرفة في هذا المجال.

اولا / التسامي الروحي في النظريات النفسية (self-actualization):

التسامي الروحي هو مصطلح في علم النفس الإنساني ويعني تحقيق الفرد لأقصى إمكاناته الكامنة بنفسه. لقد طُرح هذا المفهوم لأول مرة بواسطة غولدشتاين بمعنى تحقيق جميع جوانب الفرد وقدراته الداخلية (إسماعيل‌خاني، ٢٠٠١م: ٣)، ثم اعتبره ماسلو ضمن هرم تدرج الحاجات كواحدة من الاحتياجات الإنسانية الأساسية. كان ماسلو يؤمن بأن تحقيق السعادة والصحة والأداء الأمثل للإنسان مرهون بعملية التسامي الروحي (هايليگن، ١٩٩٢م). ومن وجهة نظر ماسلو، فإن التسامي الروحي هو عملية مستمرة تؤدي إلى تحسين الصحة النفسية للفرد (ماسلو، ١٩٧٠م).

اعتقد روجرز أن الميل الأساسي لكل كائن حي هو السعي نحو التطور والبقاء وتعزيز تجاربه من أجل إزهار مواهبه الكامنة. كما أكد على أهمية التفاعلات الاجتماعية في عملية التسامي الروحي (راجرز، ١٩٥١م). وربط فرانكل التسامي الروحي بالقدرة على إدراك الجوانب ذات المعنى والإيجابية في أحداث الحياة (بتري، ١٩٩٦م).

بشكل عام، يمكن اعتبار التسامي الروحي عملية تطور القدرات الكامنة للفرد إلى أقصى حد. والفرد المتسامي روحيًا هو من حقق حياته بالكامل وهي أكثر ثراءً من حياة الفرد العادي (داهى، ١٩٨٣م). بشكل عام، يعني التسامي الروحي الاستفادة الكاملة من المواهب والقدرات والإمكانات الكامنة للفرد وتنميتها.

التسامي الروحي في نظرية ماسلو هو أعلى مستوى في هرم الحاجات الإنسانية. وضع ماسلو الحاجات الأساسية للإنسان في هرم من خمس طبقات. في هذا الهرم، توجد الحاجات الأبسط والأكثر حيوية في الأسفل، والحاجات الأكثر تعقيدًا في

الأعلى. تُعالج حاجات المستويات العليا عندما يتم تلبية حاجات المستويات الدنيا.

تشمل الطبقات الأربع الأولى من هرم ماسلو الحاجات الأساسية التي يؤدي عدم توفيرها إلى القلق والتوتر (غرين،٢٠٠٠م: ١٤). هذه الحاجات هي:

- الحاجات الفسيولوجية: تشمل الماء، والغذاء، والهواء، والنوم، والعلاقة الجنسية.
- حاجات الأمان: تشمل الأمن، والاستقرار، والدعم، والتحرر من الخوف والقلق.
- حاجات الانتماء والمحبة: تشمل العلاقات الوثيقة مع الآخرين.
- حاجات التقدير: تشمل احترام الذات والاحترام من قبل الآخرين.

الطبقة الخامسة، التسامي الروحي، هي أعلى الحاجات وتتضمن تحقيق الإمكانات الكامنة ومعرفة العالم المحيط (شولتس، ٢٠١١م: ٧٢-٩٢).

من منظور ماسلو، يتمتع الأفراد المتسامون روحيًا بخصائص مشتركة. فهم يتقبلون الحقائق، ولديهم فهم أوضح للعالم، ويظهرون اهتمامًا بحل مشاكلهم ومشاكل الآخرين. كما يقيم هؤلاء الأفراد علاقات عميقة ومحبة مع الآخرين (غرين، ٢٠٠٠م).

ماسلو، الذي يُعرف بأبي علم النفس الإنساني، وجد أنه عندما يتم تلبية الحاجات الأساسية للأفراد، فإنهم يصبحون قادرين على تطوير قدراتهم لحياة صحية وناضجة. وقد سمى هذه القدرة بـ التسامي الروحي ووصفها بأنها الاستخدام الكامل للمواهب والإمكانات (جتاسبا، ٢٠٠٤م).

في الختام، يعني التسامي الروحي السعي للوصول إلى الكمال الذي يمتلك الفرد القدرة على تحقيقه. وفقًا لماسلو، يمتلك جميع الأفراد إمكانية التسامي الروحي

ويجب أن يصبحوا ما يمكنهم أن يصبحوا. يشير التسامي الروحي إلى الميل الأساسي لكل فرد نحو تفعيل وإزهار أقصى إمكاناته وقدراته الداخلية (بور حسن، ٢٠٠٤م: ١٢). بعبارة أخرى، التسامي الروحي هو عملية يسعى من خلالها الشخص إلى تحقيق إمكاناته الكامنة بشكل كامل والتحول إلى أفضل نسخة من نفسه.

بناءً على نظرية ماسلو، يتطلب تحقيق التسامي الروحي تلبية الحاجات الأساسية للإنسان. يجب أولاً تلبية حاجات المستوى الأدنى حتى يتمكن الفرد من الوصول إلى أعلى مستوى من الحاجات، وهو التسامي الروحي. يرتبط التسامي الروحي ارتباطًا وثيقًا بالصحة النفسية؛ فالأفراد الذين يتمتعون بصحة نفسية أعلى لديهم إمكانات أكبر للتسامي الروحي (شولتس، ٢٠١١م: ٧٢-٩٢).

بما أن معظم الأديان تهدف إلى وصول الإنسان إلى الكمال والسعادة وتعتبر هذا حاجة داخلية وروحية، فيمكن القول إن التسامي الروحي من منظور ماسلو هو أيضًا حاجة داخلية وروحية. هذه الحاجة تؤدي إلى زيادة الثقة بالنفس، ومعنى الحياة، والشعور بالأمان والرضا عن الذات، وهو ما يتوافق مع المبادئ المطروحة في الأديان.

ثانيا/التسامي الروحي في التعاليم الإسلامية(Self-realization in Islamic teachings):

التسامي الروحي في المنظومة الفكرية الإسلامية هو عملية وجودية وتصاعدية تبدأ بمعرفة النفس كمرآة للجمال الإلهي. يقوم هذا المفهوم على أساس الحديث النبوي الشريف: "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ" (بحار الأنوار، ج٢، ص٣٢)، الذي يجعل معرفة الذات الخطوة الأولى لمعرفة الله، مما يدل على الارتباط الوجودي بين معرفة الذات والتوحيد. يدعو القرآن الكريم الإنسان إلى التأمل في بنيته الوجودية بالإشارة

إلى الآيات الأنفسية في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات/ ٢١)، ويؤكد على التزكية الباطنية في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس/ ٩)، رابطًا مسار التسامي الروحي بتطهير النفس من الرذائل وترسيخ الفضائل الأخلاقية. يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره لآية "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" إن المقصود من "أنفسكم" جميع أبعاد وجود الإنسان، سواء الجسد وأعضاؤه، أو الروح وقواه الإدراكية، والنظام العجيب في بناء البدن، والاحتياجات الجسدية والنفسية، والغَرائز، والمشاعر، وقوة التفكير والتعقل. ويؤكد أن الإنسان إذا نظر بدقة إلى نفسه، سيدرك كيف تحوّل من نطفة لا قيمة لها إلى كائن معقد يمتلك العقل والشعور، وهذا بحد ذاته من أعظم دلائل قدرة الله وحكمته. ويخلص الطباطبائي إلى أن كل إنسان، إذا تأمل في تركيبه الجسدي والروحي وفي قواه واستعداداته، سيجد علامات واضحة على قدرة الله وحكمته، وهذه الآية تدعو الإنسان إلى التأمل والبصيرة في وجوده نفسه (الطباطبائي، ١٩٩٥م، ج ١٨: ٥٦٠).

في شرح هذه العلاقة، يعتبر الإمام علي ﷺ معرفة الذات مقدمة "الجهاد الأكبر": "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ جَاهَدَهَا" (ميزان الحكمة، ج٨، ص٣٥٦٧)، مما يدل على ضرورة مجاهدة الرغبات النفسية بعد المعرفة العميقة للذات. في هذا المسار، تسير النفس الإنسانية في مراحل تطورية هي: "أمارة" و"لوّامة" و"ملهمة" و"مطمئنة" و"راضية" و"مرضية"، وكل منها يعكس التفاعل بين الغرائز المادية والجاذبيات الروحية (أنصاريان، ٢٠٠٧م). ويصف الإمام علي ﷺ هذه الرحلة الداخلية بقوله: "النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا" (نهج البلاغة، حكمة ١٤٧)، مما يشير إلى ضرورة اليقظة الروحية قبل حلول الموت.

يعتمد العرفان الإسلامي، بالاستناد إلى السلوك العملي الذي يشمل المجاهدات النفسية والرياضات الشرعية والتفكر في الآيات التكوينية، على تفسير التسامي الروحي

ليس كهدف دنيوي، بل كتجلٍ لـ "الفناء في الله". هذه العملية، من خلال عبور مراحل "التزكية" و"التهذيب" و"التحلية"، توصل الإنسان إلى مقام تختفي فيه الإرادة الفردية في المشيئة الإلهية. وتشمل مكونات هذا المسار العبادة الواعية، والأخلاق الفاضلة، والعقلانية التوحيدية، التي يؤكد عليها القرآن في قوله تعالى: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد/ ٢٨) و "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ" (النساء/ ٨٢). في النهاية، يتجاوز التسامي الروحي الإسلامي المحورية الذاتية الماسلوية، ويرتقي بالإنسان بتحويل "الذات" إلى "مرآة للحق" إلى مقام "العبد المخلص" (مريجى، ٢٠٢٤م).

يرسم القرآن الكريم مسار التسامي الروحي بتقسيم مراحل تطور النفس إلى "أمّارة"، "لوّامة"، "ملهمة"، "مطمئنة"، "راضية" و"مرضية". وتؤكد الآية الكريمة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس/ ٧-٨) على الاستعداد المزدوج للإنسان للضلالة والتقوى، بينما تُعرف الآية: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر/ ٢٧-٢٨) غاية هذا المسار بـ "الرضا الإلهي". وفي تفسير هذه العملية، يرى الإمام الباقر عليه السلام أن التسامي الروحي هو نتيجة "المجاهدة العلمية-العملية": "الْعِلْمُ مُقَارِنٌ لِلْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ" (بحار الأنوار، ج٢، ص٣٢).

في الروايات، تُعدّ معرفة الذات محور الأخلاق الإسلامية. يقول الإمام الصادق عليه السلام: "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ كَانَ لله عَابِدًا" (أصول الكافي، ج٢، ص٤٥)، مما يدل على تحول الوعي الذاتي إلى عبادة خالصة. ويعد القرآن أيضًا في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس/ ٩) تزكية النفس شرطًا للفلاح. يقول فخر الرازي إن آية "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها" يمكن تفسيرها بطريقتين: إما أن المقصود هو أن الإنسان ينجح بتطهير نفسه من الذنوب وأداء الطاعات، أو أن الله عز وجل هو الذي زكى النفس. ولكن الرأي الأول، وهو أن الإنسان بنفسه يحقق النجاح من خلال تزكية النفس،

هو الأقرب والأصح منطقيًا. كما يؤكد الكاتب أن تغيير الحكم الإلهي مستحيل، وأن رجوع الضمير إلى "النفس" هو الأقرب والأصح. وفي النهاية، تدعو هذه الآية الإنسان إلى تزكية النفس وطلب التقوى من الله ﷻ (الرازى، ج٣١، ص١٧٧). ويوضح الإمام علي ﷺ العلاقة بين معرفة الذات والمسؤولية الاجتماعية على النحو التالي: "مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ" (نهج البلاغة، حكمة ٤٤٩)، مما يدل على تأثير الوعي الذاتي في كبح الشهوات.

يعتمد العرفان الإسلامي، بالاستناد إلى السير والسلوك العملي، على أن التسامي الروحي مرهون بـ "الفناء في الله". ويشير مولانا جلال الدين الرومي في المثنوي، استنادًا إلى الآية الكريمة: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ" (الرحمن/ ٢٦-٢٧)، إلى أن الموت النفسي هو مقدمة للحياة الحقيقية. في هذا المسار، تم التأكيد على "المراقبة" و"محاسبة النفس" كأدوات عملية. يقول رسول الله ﷺ): "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا" (كنز العمال، حديث ٧٠٨٧)، مما يذكّر بضرورة التقييم الذاتي اليومي (كلبايكاني، ٢٠١١م).

بشكل عام، يبدو أن التعاليم الإسلامية، من خلال التركيز على معرفة الذات، وتزكية النفس، والسلوك الروحي، تقدم نموذجًا شاملاً وهادفًا لتحقيق التسامي الروحي الحقيقي للإنسان؛ نموذجًا يجد فيه التسامي الفردي معناه في الارتباط بالعبودية الإلهية، والمسؤولية الاجتماعية، والفناء في الله، ويرشد الإنسان إلى مقام العبد المخلص ومرآة الجمال الحق. هذا النهج لا يغطي فقط الأبعاد النفسية والأخلاقية لنمو الإنسان، بل يرسم أيضًا مسار الكمال والخلاص في سياق الحياة الفردية والاجتماعية، بالاعتماد على المصادر القرآنية والروائية.

نتائج البحث والتحليل

مكونات التسامي الروحي على أرضية مسيرة الأربعين

تُعدّ مسيرة الأربعين، كظاهرة هولوغرافية، أرضية لظهور مكونات التسامي الروحي التي تتشكل في تفاعل ديناميكي فردي-اجتماعي وعرفاني-اعتقادي. هذه المكونات لا تتداخل فقط مع نظريات علم النفس الروحي الغربي، بل ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتعاليم الإسلامية النقية وسيرة الإمام الحسين عليه السلام. يمكن تقسيم هذه المكونات إلى فئتين رئيسيتين:

اولا / المكونات الداخلية (الفردية) (Internal Aspects (Individual :

تشير المكونات الداخلية للتسامي الروحي في مسيرة الأربعين إلى الأبعاد الروحية والنفسية العميقة المرتبطة بالنمو والتطور الفردي للزائر. توفر هذه الرحلة الروحية فرصة فريدة لتجربة ذروة الروحانية والشعور بالارتباط العميق بالأمر المتعالي، وتساعد الزائر على إضفاء معنى على الآلام والمصاعب في الطريق، وفي ضوء هذا المعنى، يحقق السلام والرضا الداخلي. إن مسيرة الأربعين، من خلال تعزيز الإيمان والاعتقاد بالله والمعارف الإسلامية، تمهد الطريق لتزكية النفس، والصبر، والألفة والتعرف على الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، وإعادة اكتشاف وتعزيز الهوية الدينية للزائر. تُحدث تجربة هذه الرحلة تحولات عميقة في مشاعر الإنسان وروحه وقلبه؛ بما في ذلك الشعور بالحضور في محضر المعصوم، والشوق، والسكينة، والأمل، والشعور بالقيمة والكرامة الذاتية. وهكذا، تلعب المكونات الداخلية لرحلة الأربعين دورًا مهمًا في مسار النمو والتطور النفسي والروحي للأفراد، وتدفع الزائر نحو التسامي الذاتي والكمال الأخلاقي (جوادي آملي، ٢٠٠٨م). وفي هذا السياق، سيتم مناقشة وبحث عدد من هذه المكونات كأمثلة.

١. التأملات العميقة والتفكير النقدي (Deep Reflection and Critical Thinking):

يتجلى هذا المكون، الذي يتوافق مع "التفكير الوجودي النقدي" في نظرية كينغ (King, 2008)، في زيارة الأربعين على شكل إعادة تفكير في مفاهيم مثل الشهادة، والعدالة، والمقاومة، ومعنى الحياة والموت، وفلسفة ثورة عاشوراء. يؤكد القرآن الكريم بعبارة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (النساء/ ٨٢) على ضرورة التعمق في العلامات الإلهية. يقوم الزوار، أثناء زيارة الإمام الحسين ﷺ، بإعادة قراءة فلسفة ثورة عاشوراء، مما يخلق نوعًا من "الوعي التاريخي بالذات" (درودیان، ٢٠١٨م). ويقول الإمام الصادق ﷺ في تفسير هذه العملية: "الْعِلْمُ مُقَارِنٌ لِلْعَمَلِ" (بحار الأنوار، ج٢، ص٣٢)، مما يشير إلى الارتباط بين التفكير العميق والفعل الواعي. إن أربعين الإمام الحسين ﷺ هي مدرسة الأخلاق القرآنية والعرفانية، التي يمكن استخلاص مكونات الأخلاق العرفانية ودلالاتها التربوية للوصول إلى الكمال البشري المنشود منها، ونتيجتها هي إزالة الجهل العلمي والجهالة العملية من المجتمع، وهذان الهدفان مدرجان في نص زيارة الأربعين؛ فسبب وحشية أعداء النبوة كان حب الدنيا والافتتان بزخرفها (جوادي آملي، ٢٠٢١م). إن التوصل إلى هذا الفكر ممكن في ظل التأمل والتعقل، وسينتج عنه نوع من "الوعي الذاتي الداخلي-التحليلي" للزائر. تُعدّ مسيرة الأربعين من النجف إلى كربلاء واحدة من أهم الفرص للتأمل والتسامي الروحي؛ وهو مسار لا يوفر فقط أرضية لتزكية الروح من الشوائب، بل يتيح أيضًا فرصة للمناجاة مع الله، والتوبة عن الأخطاء، والعزم على إصلاح الأفكار والسلوكيات الفردية. توفر هذه الرحلة الروحية أرضية لتطهير الروح والعقل والجسد واستبدال الطهر بالشوائب الداخلية (تاجبخش، ٢٠٢٠م).

٢. تقوية الإرادة والعزيمة الراسخة (Strengthening Willpower and Firm Determination):

الإرادة هي أحد أهم المكونات الروحية والتسامي الروحي في مسار مسيرة الأربعين، والتي تتعزز من خلال قطع الكيلومترات سيرًا على الأقدام وتحمل المشقات الجسدية والروحية. إن زوار الأربعين، من خلال تجاوز صعوبات الطريق، لا يختبرون عزيمتهم وإرادتهم عمليًا فحسب، بل يحققون نوعًا من "التسامي الذاتي والترقي الروحي". إن تحمل صعوبات الطريق، والمثابرة، والمجاهدة في سبيل الهدف الروحي، يساعد الزائر على إيجاد معنى شخصي أعمق لحياته. تتوافق هذه التجربة مع مفهوم "تقديم المعنى الشخصي" (Personal Meaning) في النظريات المتمحورة حول الروحانية. ووفقًا لكينغ، فإن إيجاد المعنى في التجارب الصعبة يلعب دورًا رئيسيًا في النمو الروحي للأفراد (King, 2008).

في التعاليم الإسلامية، يعني التسامي الروحي تفعيل الإمكانات الإلهية للإنسان والوصول إلى الكمال والخلاص. يتطلب هذا المسار الصبر، والمثابرة، والجهد الداخلي؛ فكما يرى القرآن الكريم، الصبر والاستقامة شرط للوصول إلى القمم الروحية والتسامي الروحي. يجاهد زائر الأربعين في سبيل الله، ويتجاوز حدود الراحة، ويحقق مراتب أعلى من الروحانية والتسامي الذاتي من خلال تجربة الألم المقدس (أبيار وطباطبائي، ٢٠٢٣م). يقول القرآن الكريم في الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت/ ٦٩) إن السعي والمجاهدة في سبيل الله هي مقدمة للنمو والهداية. كما يحقق زوار الأربعين، من خلال المجاهدة والصبر في هذا المسار، ومن خلال تجربة الألم والمشقة، بما في ذلك مواجهة الصعوبات الجسدية،

وتحمل الإرهاق، والتخلي عن وسائل الراحة في الحياة العادية، وتجاوز القيود المادية، والتقرب الروحي إلى الحضرة القدسية (فتحيان ونوروزي، ٢٠٢٢م)، تجربة عميقة من التسامي الروحي يمكن تسميتها "الوعي الإرادي-الروحي" بمعنى الثبات على الهدف الروحي والالتزام العملي بالقيم الدينية.

٣. التمسك بالمعتقدات الدينية (Reliance on Religious Beliefs):

زيارة الأربعين، التي وُصفت في روايات المعصومين ﷺ بفضيلة تعادل مائة حجة مع النبي ﷺ (كامل الزيارات، ١٦٢)؛ هي رمز بارز لـ "التوسل الفاعل" في الفكر الشيعي. يؤسس القرآن الكريم لهذا النهج كجسر بين العبد والحقيقة الإلهية، من خلال أمره: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة/ ٣٥). في هذا النموذج، تُشكّل عناصر مثل التوكل، والاعتماد على الإرادة الإلهية إلى جانب العمل، والحوار الوجودي مع المعبود، والزيارة كتجلٍّ عيني للارتباط بأولياء الله، آليات التسامي الروحي. يدخل الزائر، بقطعه مسير كربلاء وتكرار مناسك زيارة الأربعين، في عملية ثلاثية الأبعاد: الاستسلام القلبي (قبول ولاية أهل البيت)، والتطهير الوجودي (تحمل المشقات الجسدية كعبادة)، وإعادة تشكيل الهوية (إعادة تعريف الذات في ضوء مُثُل عاشوراء). هذا السلوك الجماعي، بالاعتماد على تعاليم مثل "التوفيق" و"البركة" في الخطاب الشيعي، يحرر الفرد من سجن الأنا، ويغمُره في شبكة من المعاني الميتافيزيقية، والنتيجة النهائية هي إزهار المواهب الروحية في ضوء الاتصال بالمصادر القدسية (برنامج، ٢٠٢٤م)، والتي يمكن تفسيرها على أنها "وعي دعائي" بمعنى تجربة الذات في ضوء المناسك العبادية مثل الدعاء والزيارة. في تفسير آية "وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ" في تفسير مجمع البيان لفضل بن حسن الطبرسي، يُذكر أن الله تعالى يأمر المؤمنين بأن يطلبوا الوسيلة التي تقربهم إليه، وهذه الوسيلة تعني في الغالب الأعمال والطاعات

التي تُرضي الله وتقرّب العبد من بارئه. وقد ذكر كبار المفسرين مثل الحسن، مجاهد، عطاء، والصدّي أن المقصود بالوسيلة هي الطاعات والعبادات التي تقرب الإنسان إلى الله. كما ورد في حديث عن النبي ﷺ: "اسألوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد، وأرجو أن أكون ذلك العبد". وأشار العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان إلى أن الوسيلة هي الطريق إلى التقرب من الله، وأن الطاعة والالتزام بأوامره من أبرز مظاهرها.كما اعتبر بعض الأئمة أن الإمام علي ﷺ هو "وسيلة الله"، بمعنى أن طاعته والاقتداء به طريق للتقرب إلى الله. وبالتالي، فإن "ابتغاء إليه الوسيلة" يعني طلب كل ما يُقرّب العبد إلى الله من إيمان، وطاعة، وجهاد، وعبادات، واتباع الأئمة المعصومين (الطبرسي، ١٤٠٨ق، ج٣، ص ٣٣٧).

تشير الآية ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ إلى البحث عن الوسائل والأدوات التي تقرب الإنسان إلى الله ﷻ. ووفقًا لتفسير مجمع البيان، فإن هذه الوسيلة تشمل الطاعات والعبادات والطاعة واتباع الهداة الإلهيين، مما يؤدي إلى التقرب من الله والنمو الروحي. في سياق مسيرة الأربعين، يكون الزائرون من خلال أداء العبادات، وتحمل المشقات، والحضور في جماعة المؤمنين، واتباع تعاليم الإمام الحسين ﷺ، في حالة "ابتغاء إليه الوسيلة"؛ أي يسعون إلى وسيلة تقربهم إلى الله وتحقق لهم تحقيق الذات الروحي. لذا، فإن هذه الآية وتفسيرها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بموضوع المقال، حيث:

- تعتبر مسيرة الأربعين وسيلة لتزكية النفس والنمو الروحي.
- يسعى الزائرون عبر السير في الطريق، وأداء العبادات، وتحمل المشقات، إلى وسيلة للارتقاء بأنفسهم وتحقيق الكمال الإنساني.
- عملية تحقيق الذات في هذا المسار تمثل تجسيدًا عمليًا لـ "ابتغاء إليه الوسيلة" التي أمر بها القرآن الكريم.

هذا الارتباط يوضح أن مسيرة الأربعين ليست مجرد حركة جسدية، بل هي عملية روحية وتربوية تمهد لتحقيق الذات والتقرب إلى الله (برنامج، ٢٠٢٤م).

٤. التواصل بين الأفراد ذو المعنى (Meaningful Interpersonal Communication):

إن تفاعلات الزوار في مسير كربلاء هي أرضية لـ "الحكمة العملية للتواصلات العرفانية"، حيث تسهل الأفعال الجماعية والعلاقات الإنسانية عملية التسامي الذاتي والتطور الروحي. فكما قال الإمام علي ﷺ: "مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ" (نهج البلاغة/ حكمة ٤٤٩)، وهذا يعني أن ارتقاء المكانة الإنسانية للفرد يجعل الميول المادية تحت سيطرة القيم الإلهية. تتجلى هذه التعاليم في مسيرة الأربعين على شكل تناغم جماعي، حيث يتجاوز الزوار حدود الفردية من خلال المشاركة في مناسك مثل توفير الخدمات (المواكب)، وخدمة الآخرين، والدعوات الجماعية، ويستبدلون التبادل المادي بالمشاركة الروحية.

تظهر الأبحاث أن "التعاطف الوجداني" في هذا المسار، من خلال خلق شعور بالانتماء العابر للمكان، يرتقي بالعلاقات الإنسانية من مستوى التفاعلات الأداتية إلى العلاقات الوجودية (أبيار وطباطبائي، ٢٠٢٣م). تعتمد هذه العملية على السلوك العرفاني الجماعي، حيث يعيد الزوار، مستلهمين من المنظومة الفكرية لأهل البيت ﷺ الارتباط بين العقلانية الأخلاقية والتجربة الدينية، تعريف هويتهم في ضوء قيم عاشوراء (درودیان، ٢٠١٨م). تؤكد التعاليم الدينية على وحدة الظاهر والباطن، وهو مفهوم يتجلى في تفاعلات زوار الأربعين على شكل تناغم بين الطقوس الظاهرية (مثل المشي) والتجليات الباطنية (مثل الصلوات الجماعية). يوضح هذا النمط من التواصل، بالاعتماد على الحكمة العملية المستنبطة من سيرة

أهل البيت ﷺ، كيف يمكن للعلاقات الإنسانية القائمة على الإيثار أن تعزز "الوعي الروحي-العرفاني". في هذا المسار، لا يُفسر خدمة الآخرين كفعل اجتماعي، بل كعبادة وجودية ترشد الزائر إلى مراتب عالية من معرفة الذات. يعكس هذا النهج العرفان الشيعي الملتزم، حيث تُعد العلاقات الإنسانية محلاً لتجلي الحب الإلهي والقرب الوجودي (رودگر، ٢٠١٨م).

٥. التقييم الذاتي وتزكية النفس (Self-evaluation and Self-purification):

المراقبة ومحاسبة النفس والسعي لتزكية الأخلاق والسلوك هي من أهم التوصيات القرآنية-الروائية. يؤكد الحديث الشريف "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا" (كنز العمال، حديث ٧٠٨٧) وكذلك الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (المائدة/ ١٠٥) على أهمية تهذيب النفس. توفر مسيرة الأربعين، كأرضية متعددة الأبعاد، فرصة استثنائية لـ "التقييم الوجودي للذات". في هذا المسار، يخلق تزامن المشقة الجسدية الناتجة عن المسير الطويل مع الأجواء العرفانية للمناسبة، بيئة لـ "المراقبة السائلة" والنظرة النقدية للنفس (تاج‌بخش، ٢٠٢٠م).

يُعيد المشاركون، من خلال محاسبة النفس والمراقبة الجماعية في مواجهة أنماط السلوك المتنوعة للزوار، قراءة هويتهم الأخلاقية. إن طول مسير كربلاء وتكرار الحركات الجسدية، يخلق حالة شبيهة بـ "المراقبة الديناميكية"، حيث يصبح الإرهاق الجسدي حافزًا لكسر الحجب النفسية. هذه الخاصية ترتقي بالأربعين من مجرد رحلة دينية إلى مختبر حي للتسامي الوجودي (درودیان، ٢٠١٨م). إن الاتصال المستمر بمعاناة الآخرين على طول الطريق، مثل مساعدة الزوار المتضررين أو تقاسم الموارد المحدودة، هو اختبار عملي لقياس مدى التخلي عن "الأنانية" وترسيخ "الإيثار

الأخلاقي". هذه التفاعلات تنقل "الوعي الرقابي" المذكور في الآيات والروايات من نطاق النظر إلى مجال العمل.

ثانيا / المكونات الخارجية (الاجتماعية-التواصلية) External (Social-Communicative) Aspects:

تُعدّ مسيرة الأربعين، باعتبارها أحد أكبر التجمعات الدينية والاجتماعية في العالم، مثالًا فريدًا للتفاعلات الجماعية والظواهر الاجتماعية التي يمكن ملاحظة أبعادها المختلفة وتحليلها بوضوح. يوفر هذا الحدث، بوجود ملايين الزوار من مختلف الأعراق والثقافات والجنسيات، أرضية فريدة لظهور وتعزيز مكونات مثل المرونة الاجتماعية، والدعم الاجتماعي، والتعاون التلقائي، والانسجام والتضامن الاجتماعي، والتفاهم المتبادل والتواصل بين الثقافات، وترويج القيم الأخلاقية والروحية الجماعية (عربي، ٢٠١٩م). لا يساعد تحليل هذه المكونات على فهم أعمق للديناميكيات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات الدينية فحسب، بل يمكن أن يكون نموذجًا لتعزيز رأس المال الاجتماعي والانسجام الجماعي في المجتمعات المختلفة (Putnam, 2000; Durkheim, 1912م).

زيارة الأربعين، وفقًا للتحليلات المقدمة في كتاب "زيارة الأربعين..دلالات وآفاق" للمؤلف محمد عبد الرضا الساعدي، تتجاوز كونها مناسبة دينية بحتة، إذ تُعتبر ظاهرة اجتماعية وتربوية واسعة النطاق تلعب دورًا مهمًا في إعادة بناء الهوية الفردية والاجتماعية. تخلق هذه الزيارة فضاءً روحيًا ومعنويًا يعزز القيم الأخلاقية مثل الإيثار، والتعاطف، والتعاون، والتضامن الاجتماعي، كما تجمع ملايين الزائرين من مذاهب وقوميات مختلفة، مما يوفر فرصة فريدة لتجربة التعايش السلمي والتفاعل

الثقافي. بالإضافة إلى ذلك، تسهم المشاركة الجماعية في هذه الحركة الروحية في تنمية روح المسؤولية، والتضحية، ونمو الشخصية الفردية. من هذا المنظور، تُعد زيارة الأربعين تجربة روحية واجتماعية تعزز الهوية الدينية وتعيد تعريف مكانة الفرد في المجتمع، وتسهم في تشكيل شخصية واعية وملتزمة. ولذلك، تعمل هذه الزيارة كـ"مدرسة تربوية" تشكل بيئة مناسبة لعملية تحقيق الذات الروحي والاجتماعي، ومسارًا للنمو والارتقاء الروحي للإنسان (الساعدى، ٢٠١٥م).

١. المرونة الاجتماعية (Social Resilience):

تشير المرونة الاجتماعية إلى قدرة المجتمع على تحمل الضغوط والأزمات والعودة إلى الوضع المرغوب بعد مواجهة التحديات. في مسيرة الأربعين، يواجه الزوار العديد من التحديات الجسدية والنفسية والاجتماعية التي تتطلب التكيف والتعاون الجماعي. يعزز هذا الحدث، من خلال إنشاء شبكات الدعم وتعزيز الروح الجماعية، المرونة الاجتماعية عمليًا في المجتمع. تشير الأبحاث إلى أن التجربة المشتركة للصعوبات والتعاطف في هذا المسار تؤدي إلى زيادة القدرات الجماعية وتقليل نقاط الضعف الاجتماعية (عربي،٢٠١٩م؛ أبيار، ٢٠٢٣م).

في التعاليم الإسلامية، تُطرح الاهتمام بالابتلاءات وتحمل المصائب كاختبار إلهي وسبيل لتعزيز الإيمان والروح الجماعية. يؤكد الله تعالى في آيات متعددة، منها قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (آل عمران/ ٢٠٠)؛ وقوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ (الأعراف/ ١٢٨)، على "الصبر والاستعانة بالله"، و"الرضا والتسليم"، و"التعاون في أعمال الخير"، مشيرًا إلى تعزيز المرونة الاجتماعية والروحية في المجتمع (نور الهدى، ٢٠٢١م). في التعاليم الدينية، لا يعتبر تحمل

الصعوبات والتعاطف في مواجهة المصائب فضيلة فردية فحسب، بل عاملًا لتعزيز الوحدة والانسجام الاجتماعي. وتُمهد زيارة الأربعين، من خلال التركيز على التعاطف والتعاون والدعم الجماعي، لتعزيز روح الصبر والمقاومة في مواجهة الصعاب. تُعلّم هذه التعاليم، في نص زيارة الأربعين، الزوار، من خلال تذكر مظلومية ومقاومة الإمام الحسين عليه السلام ورفاقه، كيفية التغلب على الصعوبات بالتعاطف والتعاون، والتحول إلى مجتمع متماسك ومرن (أبيار وطباطبائي، ٢٠٢٣م). يمكن تسمية هذه العملية بـ "الوعي الاجتماعي-العرفاني". يشير هذا النوع من الوعي إلى قدرة الفرد على فهم وإدارة والتكيف مع التحديات والضغوط الاجتماعية، ويتعزز من خلال التفاعل مع الآخرين، والتعاطف، والمشاركة الجماعية، وتحمل الظروف الصعبة. توفر مسيرة الأربعين، من خلال توفير الظروف لممارسة الصبر والتعاون والإيثار، أرضية لنمو وتعزيز المرونة الاجتماعية والوعي الاجتماعي(https://www.migna.ir/news/62714).

٢. الدعم الاجتماعي (Social Support):

يشير الدعم الاجتماعي إلى مجموعة التفاعلات والعلاقات التي يتلقى فيها الأفراد دعمًا عاطفيًا وماديًا من بعضهم البعض. في مسيرة الأربعين، يتجلى الدعم الاجتماعي بأشكال مختلفة مثل تقديم الطعام، والإيواء، والعلاج، والدعم العاطفي. لا تساعد هذه الشبكات الداعمة على تقليل التوتر وزيادة الشعور بالأمان لدى الزوار فحسب، بل تؤدي أيضًا إلى تعزيز رأس المال الاجتماعي والثقة العامة. لقد أظهرت الدراسات أن وجود مثل هذه الشبكات في الأحداث الجماعية له تأثير إيجابي على الصحة النفسية والرضا الاجتماعي (Putnam, 2000). في تعاليم الإسلام، هناك تأكيد كبير على التعاطف، والمواساة، وتقديم المساعدة للآخرين. يدعو القرآن

الكريم المؤمنين إلى التعاون في أعمال الخير والامتناع عن التعاون في الإثم والعدوان: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة/ ٢). وتؤكد روايات الأئمة الأطهار عليهم السلام أيضًا على أهمية تلبية احتياجات الآخرين والإيثار في سبيل الله. قال أمير المؤمنين عليه السلام: "إِيَّاكُمْ وَالنِّفَاقَ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ وَالتَّفَرُّقَ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" (مجلسي، ج٤٢، ص٢٤٨). تُجسّد زيارة الأربعين، كرمز حي لنمط الحياة الإسلامي، هذه التعاليم عمليًا، وتوفر، من خلال إنشاء شبكات دعم واسعة، بيئة آمنة قائمة على الثقة والتعاطف للزوار. في هذا الحدث، تظهر قيم مثل المواساة، والإنفاق، وتقديم المساعدة كضرورات سلوكية لكل فرد مؤمن، وتساهم في تعزيز الروح الجماعية والشعور بالمسؤولية الاجتماعية. لا تؤدي هذه السلوكيات إلى تقليل المشاكل وزيادة الشعور بالأمان لدى الزوار فحسب، بل تعمل كنموذج لتحقيق الحياة الطيبة الدينية في المجتمع (جوادي آملي، ٢٠٢١م).

في ثقافة الأربعين، الدعم الاجتماعي ليس سلوكًا عشوائيًا، بل ينبع من التعاليم الإسلامية الأصيلة التي تؤكد على المسؤولية الجماعية، والإيثار، والتضحية. يوفر هذا الحدث، من خلال تعزيز روح الخدمة والإنفاق، أرضية لتحقيق قيم مثل التعاطف، والمواساة، والعدالة الاجتماعية. في هذا المسار، يحقق الزوار، من خلال التجربة المباشرة للدعم والمرافقة، وعيًا دينيًا وشعورًا بالانتماء إلى الأمة الإسلامية الواحدة (إمامي وغياثي، ٢٠١٧م). هذا النموذج من الدعم، لا يساهم في تعزيز رأس المال الاجتماعي فحسب، بل يعمل كأحد مكونات التسامي الروحي، ويوفر أرضية لتحقيق الأهداف الإسلامية والنمو الأخلاقي للمجتمع، والذي يمكن تصنيفه ضمن "الوعي في العلاقات والتفاعلات الاجتماعية". يشير هذا النوع من الوعي إلى فهم الفرد لدوره في المجتمع، وتفاعله مع الآخرين، وقبوله للتوقعات

والمعايير الاجتماعية. عادةً ما يقيم الأفراد المتسامون روحيًا علاقات عميقة مع الآخرين، ولديهم تعاطف ومشاركة اجتماعية، ويسعون لتحسين وضع المجتمع، وكل هذا جزء من الوعي الاجتماعي (https://blog.faradars.org).

٣. التعاون التلقائي (Voluntary Cooperation)

المواكب الحسينية ليست فقط لخدمة الزائرين، بل هي مدرسة لتربية القيم النبيلة مثل التضحية والمسؤولية، حيث يشارك الجميع في بناء مجتمع متكافل (الساعدي، ٢٠١٥م). أثناء مسيرة الأربعين، يُعدّ التعاون التلقائي بين أعضاء المواكب والهيئات العزائية أحد أبرز مظاهر التسامي الروحي الاجتماعي. في هذا الهيكل، يتم تقسيم العمل الاجتماعي بشكل تطوعي ومنسق تمامًا؛ بحيث يتولى كل فرد، بغض النظر عن العمر أو الجنس أو المكانة الاجتماعية، مسؤولية محددة، ويؤدي واجبه بأفضل شكل ممكن بحماس ودوافع روحية. فمن الإدارة والتخطيط إلى الضيافة، والتموين، والخدمات الطبية، والدعم، وحتى المهام الأبسط للأطفال، يشارك جميع الأفراد بفعالية وتأثير في تسيير الأمور. وتُمهد هذه المشاركة الشاملة لنمو الفرد، وتنمية المسؤولية، وقبول المعايير لدى الأعضاء (عربي، ٢٠١٩م). والنقطة الجديرة بالذكر هي أن هذا التعاون التلقائي لا ينشأ بأمر أو إلزام خارجي، بل يتشكل بناءً على دوافع داخلية، وحب الإمام الحسين عليه السلام، وروح الإيثار والخدمة (طالبي، ٢٠٢١م). وتلعب النساء أيضًا دورًا مهمًا في تعزيز الروح الجماعية وتشجيع الرجال من خلال المشاركة في أقسام التموين، وجمع التبرعات، وإدارة المراسم. هذا النموذج من تقسيم العمل والتعاون، بالإضافة إلى زيادة الكفاءة والنظام في تقديم الخدمات لملايين الزوار، يؤدي إلى ترسيخ قيم مثل التعاطف، والمشاركة الاجتماعية، والمسؤولية في الأجيال المختلفة، وخاصة الأطفال والمراهقين (الساعدي، ٢٠١٥م).

في الختام، لا يلبي هذا التعاون التطوعي والشعبي احتياجات الزوار بأفضل شكل فحسب، بل يُشكّل، كأرضية للتسامي الفردي والاجتماعي، رأس مال اجتماعيًا هائلاً خلال فترة الأربعين القصيرة، ويقدم نموذجًا ناجحًا للإدارة والتضامن الشعبي، والذي يمكن تسميته "الوعي المسؤول". يشير هذا النوع من الوعي إلى قدرة الفرد على فهم الأدوار، والواجبات، وتأثير سلوكه على الآخرين والمجتمع، والتفاعل الفعال مع الآخرين، والمشاركة النشطة في الأنشطة الجماعية. وكلما كان الفرد أكثر وعيًا بمشاعره واحتياجاته واحتياجات الآخرين، زادت قدرته على التعاون وتقديم المساعدة للآخرين، ويشعر بالمسؤولية تجاه عواقب أفعاله ويتصرف بمسؤولية تجاه الآخرين (https://www.roshdana.com/). تجمع الملايين من الزائرين من مختلف القوميات والمذاهب يعكس وحدة الأمة الإسلامية ويخلق فضاءً للتعاون والتعاطف، مما يسهم في تعزيز الروح الاجتماعية والتلاحم بين الأفراد (الساعدي، ٢٠١٥م).

٤. الانسجام والتضامن الاجتماعي (Social Cohesion):

أحد أبرز وظائف مسيرة الأربعين هو تعزيز الوحدة والتضامن بين الزوار والمسلمين في جميع أنحاء العالم. هذه الوحدة لا تقتصر على الشيعة فحسب، بل يشارك فيها أهل السنة وحتى أتباع الديانات الأخرى، ويقدمون، بالتعاطف والتعاون، مثالاً فريدًا للانسجام الإنساني والديني. في هذه المراسم، يجتمع ملايين الأشخاص من جنسيات وثقافات ومذاهب مختلفة، بغض النظر عن أي فروق أو حدود، وفي جو مليء بالحب، والإيثار، والخدمة، يسعون لتحقيق هدف مشترك وهو إحياء نهضة الإمام الحسين عليه السلام (الساعدى، ٢٠١٥م). في مسير الأربعين، يضحي الخدم والزوار بتضحيات مثالية من مالهم، ووقتهم، وراحتهم لخدمة الآخرين، وقد

أثارت روح الإيثار والإخلاص هذه إعجاب العالم وذهوله. لا يعزز هذا الحدث العظيم الوحدة بين الشيعة فحسب، بل يمهد الطريق للتعاطف بين المسلمين وحتى غير المسلمين؛ بحيث تتجاوز المحبة وتقديم الخدمات في المواكب ومحطات الضيافة الحدود الدينية والعرقية وتقرب الجميع من بعضهم البعض (عربي، ٢٠١٩م).

يعكس هذا التضامن والوحدة تعاليم القرآن الكريم؛ ففي الآية الشريفة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ (آل عمران/ ٦٤) نجد دعوة إلى التجمع حول المشتركات والابتعاد عن الفرقة والتعالي. تُعدّ مسيرة الأربعين مثالاً حيًا لهذه الرسالة الإلهية، حيث يرسل ملايين الأشخاص، بشعارات وسلوكيات موحدة، رسالة التعايش السلمي والاتحاد إلى العالم. تُقدم هذه المراسم نموذجًا فريدًا للتعاطف والأخوة الإنسانية لا مثيل له في أي طقس أو دين آخر، ويمكن أن يكون مصدر إلهام للمجتمعات لتحقيق السلام، والتعايش، والتقارب (حسینی‌الطهرانی، ٢٠١٦م).

يمكن تسمية الانسجام والتضامن الاجتماعي بـ "الوعي الشبكي"، لأن هذا النوع من الوعي يؤكد على فهم مكانة الفرد في شبكة العلاقات الاجتماعية ودوره في تعزيز الروابط والتعاون الجماعي. الفرد ذو الوعي الشبكي يدرك جيدًا أهمية الانسجام والتضامن في استدامة وصحة الشبكات الاجتماعية، ويسعى للحفاظ على ذلك (https://faracoach.com/self-). يشكل الانسجام الاجتماعي، من خلال خلق الروابط، والثقة، والشعور بالقدر المشترك بين الأفراد، شبكة من العلاقات والتفاعلات التي توعي الفرد بمكانته ودوره في هذه الشبكة. بعبارة أخرى، كلما زاد الانسجام والتضامن الاجتماعي، زاد فهم الفرد للعلاقات ومكانته في الشبكة الاجتماعية، وتعزز لديه الوعي الشبكي (طالبی، ٢٠٢١م).

٥. التفاهم المتبادل والتواصل بين الثقافات (Intercultural Understanding):

توفر مسيرة الأربعين، بحضور ملايين الزوار من مختلف الثقافات، والجنسيات، والمذاهب، أرضية فريدة للتفاعل وتعزيز التفاهم المتبادل بين الثقافات. يُعدّ هذا الحدث العظيم، أبعد من كونه طقسًا دينيًا، مساحة بين ثقافية تُختبر فيها احترام الاختلافات، ومعرفة وقبول عادات وتقاليد الآخرين، وتعزيز السلام الاجتماعي عمليًا. يتعرف الزوار على طول المسار على ثقافات وتقاليد متنوعة، ومن خلال التواصل وجهًا لوجه، يعززون مهاراتهم التواصلية والتسامح الاجتماعي (أحمدي، ٢٠١٨م).

تُمهد هذه التجربة المشتركة، إلى جانب تقليل التحيزات والتعصبات العرق ية والدينية، للتعايش السلمي والتعاطف بين الشعوب. تُظهر الأبحاث أن مثل هذه التفاعلات تزيد من رأس المال الثقافي والاجتماعي للمجتمع وتساهم في تشكيل هوية جماعية مبنية على الأخوة الإيمانية؛ هوية تتلاشى فيها العرق، واللغة، والجنسية، وتتشكل العلاقات الاجتماعية فيها على أساس المحبة، والاحترام، والهدف الروحي المشترك (شريفي، ٢٠٢٢م).

كما أن استمرار التواصلات التي تتشكل في الأربعين، سواء من خلال الزيارات المتبادلة أو في الفضاء الافتراضي، يؤدي إلى تعميق العلاقات الثقافية والإنسانية بين الشعوب، ويحول الأربعين إلى مصدر غني للقوة الناعمة ورابط بين الأمم (غفاري، ٢٠١٨م). بشكل عام، تُقدم مسيرة الأربعين نموذجًا ناجحًا للتفاعل بين الثقافات وتعزيز القيم الإنسانية والأخلاقية في العالم المعاصر، والتي يمكن تسميتها بـ "الوعي الثقافي-الاجتماعي" بمعنى معرفة واحترام الاختلافات الثقافية، وفهم قيم ومعتقدات الآخرين، والقدرة على التواصل الفعال مع أفراد من ثقافات مختلفة.

يساعد هذا الوعي الفرد على أن يكون حساسًا ومهارًا في التفاعلات الاجتماعية متعددة الثقافات، ويمنع سوء الفهم. يمكن اعتبار زيارة الأربعين مدرسة تربوية حقيقية، حيث يتعلم الزائرون القيم الأخلاقية والاجتماعية من خلال التجربة العملية والتفاعل الجماعي(الساعدي، ٢٠١٥م).

٦. ترويج القيم الأخلاقية والروحية الجماعية (Collective Moral Advocacy):

تُعدّ مسيرة الأربعين مثالًا بارزًا لترويج القيم الأخلاقية والروحية الجماعية التي تُجسد تعاليم مدرسة الإمام الحسين ﷺ عمليًا. لا تذكر هذه المراسم العظيمة مقاومة الظلم، والتحرر، ودعم المظلومين فحسب، بل توفر أرضية لإحياء فضائل مثل الصبر، والإيثار، والتعاطف، وطلب العزة، والكرامة الإنسانية. يمارس المشاركون عمليًا الصبر والمثابرة من خلال تحمل مشقات المسير والمشاركة في حركة جماعية، ويعززون روح التضحية والمسؤولية لديهم (طالبى، ٢٠٢١م).

في هذا التجمع المليوني، تتلاشى الحدود العرقية، والمذهبية، واللغوية، ويتحقق الجميع، بالتركيز على محبة الإمام الحسين ﷺ وأهدافه السامية، التعاطف والاتحاد. لا يؤدي هذا التقارب إلى الارتقاء بالأخلاق الفردية والاجتماعية فحسب، بل يرسخ قيمًا مثل التسامح، واللطف، وتقديم الخدمات، واحترام الآخرين في السلوك الجماعي. ويحافظ الزوار، بعد عودتهم، على هذه الإنجازات الأخلاقية والروحية في حياتهم اليومية ويعملون على ترويجها في المجتمع (مجموعة من الكتاب، ٢٠١٥م).

كتاب "علم الاجتماع لظاهرة الأربعين" للمؤلف شمس الله مرجي، من خلال تحليله الاجتماعي لزيارة الأربعين، يبيّن أن هذه الظاهرة تتجاوز كونها مجرد طقس

ديني لتصبح أسلوب حياة روحي واجتماعي يعزز في الزائرين قيمًا مثل الإيثار، والتعاطف، والتواضع، والتقوى. هذه التجربة الجماعية والروحية تمثل أرضية لإعادة تعريف الهوية الفردية والاجتماعية للزائرين، ويمكن اعتبارها بيئة فعالة لعملية تحقيق الذات الروحي والاجتماعي خلال مسيرة الأربعين. لذلك، فإن المشي في الأربعين ليس مجرد حركة جسدية، بل هو عملية تربوية وتحولية تسهم في نمو الإنسان الروحي وارتقائه، وتتوافق مع تحقيق الأهداف السامية للزيارة (مريجى، ٢٠٢٤م).

وهكذا، تُعدّ مسيرة الأربعين، بالإضافة إلى إحياء ذكرى ورسالة عاشوراء، مدرسة عملية، وتمهيدًا للنمو الأخلاقي والروحي، وتعزيز الهوية الدينية، وترويج القيم الإنسانية والإلهية على المستويين الفردي والجماعي، والتي يمكن تسميتها بـ "الوعي الأخلاقي-الروحي" أو "الوعي الروحي-الاجتماعي". يشمل هذا النوع من الوعي معرفة القيم الأخلاقية والروحية والالتزام بها في السلوك الفردي والجماعي، ويجعل الفرد واعيًا بتأثير أفعاله على المجتمع ومسؤوليته في ترويج هذه القيم.

مكونات التسامي الروحي على أرضية مسيرة الأربعين: تحليل وعي الزائر

المستوى	المكون	نوع الوعي الذاتي	الوصف النظري	التجلّي العملي في الأربعين
داخلي (فردي وروحي)	تأملات عميقة وتفكير نقدي Deep Reflection) and Critical (Thinking	وعي ذاتي داخلي-تحليلي	قدرة الفرد على التفكير بعمق في معتقداته وقيمه وسلوكياته، ونقدها ومراجعتها بهدف النمو والتطور الفردي.	الزائر في مسار الأربعين يعيد النظر في معتقداته ودوافعه من خلال التأمل في أهداف وفلسفة هذه الحركة
	تقوية الإرادة والعزيمة الراسخة Strengthening) Willpower and Firm (Determination	وعي ذاتي إرادي-روحي	معرفة القدرات الداخلية وتعزيز الإرادة للتغلب على العقبات والمثابرة في مسار الأهداف الروحية.	يقطع الزائر مسار المشي الطويل بإرادة وعزيمة راسخة على الرغم من الصعوبات والإرهاق.
	التمسك بالمعتقدات الدينية (Reliance on Religious (Beliefs	وعي ذاتي دعائي	الاعتماد على المعتقدات الدينية والقيم الإلهية لتوجيه السلوك واتخاذ القرارات في مختلف ظروف الحياة.	يتحمل الزائر الصعاب ويعزز دافعه الروحي بالتوكل والتوسل بأهل البيت عليهم السلام.
	تواصلات بين الأفراد ذات معنى Meaningful) Interpersonal (Communication	وعي ذاتي روحي-عرفاني	الوعي بأهمية وجودة العلاقات الإنسانية والسعي لإقامة علاقات عميقة وذات معنى مع الآخرين.	يعزز الزوار روابطهم الإنسانية من خلال التعاطف والمساعدة المتبادلة والحوارات الصادقة على طول المسار.

المستوى	المكون	نوع الوعي الذاتي	الوصف النظري	التجلّي العملي في الأربعين
	التقييم الذاتي وتزكية النفس (Self-evaluation and Self-purification)	وعي ذاتي رقابي	المراجعة المستمرة للسلوك والدوافع، وتحديد نقاط الضعف، والسعي لتصحيح وتطوير النفس.	يقوم الزوار، على طول المسار وخلال الزيارة، بمحاسبة النفس وتزكية أخلاقهم وسلوكهم.
بين الأفراد (اجتماعي وتواصلي)	المرونة الاجتماعية (Social Resilience)	وعي ذاتي اجتماعي - عرفاني	قدرة الفرد على التكيف ومواجهة التحديات والضغوط الاجتماعية من خلال الدعم المتبادل والمشاركة الجماعية.	يعزز الزوار مرونتهم الاجتماعية في ظروف المسار الصعبة من خلال الصبر والمساعدة المتبادلة وتحمل الضغوط الجماعية
	الدعم الاجتماعي (Social Support)	وعي في العلاقات والتفاعلات الاجتماعية	الوعي بدور الدعم والمساندة المتبادلة في المجتمع وأهميته في تعزيز الصحة النفسية والاجتماعية.	ينشئ الزوار شبكة دعم قوية من خلال تقاسم الموارد، والتعاطف، وتقديم المساعدة لبعضهم البعض
	التعاون التلقائي (Voluntary Cooperation)	وعي ذاتي مسؤول	فهم أهمية التعاون التطوعي والمشاركة الفعالة في الأنشطة الجماعية لتحقيق الأهداف المشتركة.	يعزز الزوار روح التعاون والمساعدة المتبادلة من خلال التعاون التطوعي في الخدمات والأمور المتعلقة بالراحة.
	الانسجام والتضامن الاجتماعي (Social Cohesion)	وعي ذاتي شبكي - اجتماعي	الوعي بدور الفرد في شبكة العلاقات الاجتماعية وأهمية الحفاظ على الروابط والتضامن لاستدامة المجتمع.	يختبر الزوار الانسجام والتضامن الاجتماعي في مجتمع الأربعين من خلال تحقيق الوحدة، والتعاطف، والمشاركة.

المستوى	المكون	نوع الوعي الذاتي	الوصف النظري	التجلّي العملي في الأربعين
	التفاهم المتبادل والتواصل بين الثقافات Intercultural) (Understanding	وعي ذاتي ثقافي - اجتماعي	القدرة على معرفة، واحترام، والتفاعل الفعال مع أفراد من ثقافات وجنسيات مختلفة، وقبول الاختلافات.	يعزز الزوار مهاراتهم بين الثقافات والتسامح الاجتماعي من خلال التفاعل مع الزوار من الدول الأخرى.
	ترويج القيم الأخلاقية والروحية الجماعية Collective Moral) (Advocacy	وعي ذاتي روحي - اجتماعي	معرفة القيم الأخلاقية والروحية والالتزام بها في السلوك الفردي والجماعي، والسعي لترويجها في المجتمع.	يصبح الزوار، بسلوكياتهم الأخلاقية، وإيثارهم، ومراعاتهم للقيم الروحية، نموذجًا عمليًا لترويج هذه القيم في مجتمع الأربعين.

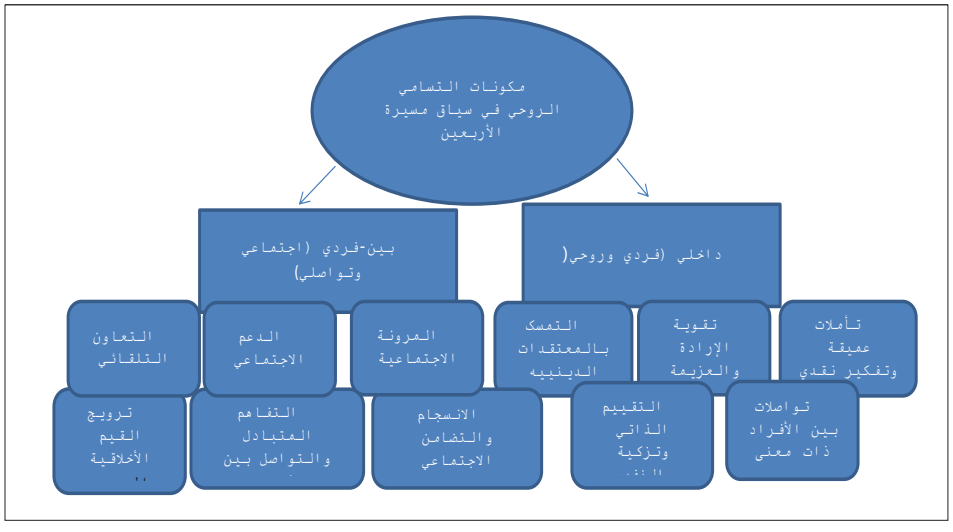

النتائج

إن ظاهرة مسيرة الأربعين العالمية الحديثة، تتجاوز كونها مجرد طقس ديني، فهي تحمل في طياتها قدرات ثقافية، اجتماعية، وسياسية متعددة. أحد أبرز قدراتها الفريدة في البعد الاجتماعي والثقافي يتمثل في عملية التسامي الروحي في مختلف الأبعاد الوجودية للإنسان. يوفر هذا الحدث، من خلال عناصره الرمزية، وأرضياته التفاعلية، وتجاربه العرفانية، ظروفًا لا مثيل لها لتفعيل وتعميق أنواع مختلفة من الوعي الذاتي؛ بدءًا من الوعي الذاتي التأملي والتحليلي وصولًا إلى الوعي الذاتي الاجتماعي، والثقافي، والروحي. بعبارة أخرى، يمكن اعتبار الأربعين بيئة يعيد فيها الفرد تعريف ذاته في ارتباطه بالمقدس، والمجتمع، والآخر.

على المستوى الفردي، تشير النتائج إلى أن الزوار، في مواجهة المحفزات الروحية، وصعوبة المسار، والتأملات الفردية، والعيش في أجواء الزيارة، يرتقون بقدراتهم على التفكير النقدي، وتزكية النفس، وتقوية الإرادة، وإعادة بناء معتقداتهم الأساسية. هذه العملية، التي يمكن اعتبارها نوعًا من "إعادة تعريف الهوية الشخصية الروحية"، تتوافق مع مناهج علم النفس الوجودي والعلاج الروحي. فمن خلال التأمل في ماهية، وأسباب، ومعنى حركته، ينتقل الزائر من مستوى الوعي اليومي إلى وعي ذاتي متعالٍ وإرادي؛ وهو نوع من الارتقاء يمكن تفسيره على أنه "الانتقال من الذات المشتتة إلى الذات المتكاملة الباحثة عن المعنى".

على المستوى التفاعلي والاجتماعي، تخلق مسيرة الأربعين بيئة تفاعلية ومتضامنة تُفعّل فيها رؤوس الأموال الاجتماعية والأخلاقية. يعيد الزوار، من خلال أدوارهم التطوعية، ومشاركتهم في الأنشطة المساعدة، والتفاعل بين الثقافات، تعريف مكانتهم في شبكة العلاقات الاجتماعية والثقافية. هذه العلاقات، في سياق الطقوس

الجماعية، تحمل وظائف **مرنة، وإصلاحية، وملهمة**، مما يؤدي إلى تشكيل نوع من "الوعي الأخلاقي-الاجتماعي الجماعي". كذلك، يوفر الحضور متعدد الثقافات للزوار من مختلف الأمم والثقافات الفرعية، فرصة لمواجهة الآخر وقبول التنوع، ويُمهد لتعزيز القدرة على التفاهم المتبادل، والتسامح الثقافي، والوحدة في التنوع.

بشكل عام، يمكن الاستنتاج أن مسيرة الأربعين، كتجربة روحية-اجتماعية عميقة، تمتلك قدرات فريدة لدفع عملية **التسامي الروحي للإنسان المعاصر**؛ وهي عملية لا يحقق فيها الفرد "ارتقاء وعيه الفردي ونموه الداخلي" فحسب، بل يقترب أيضًا من تحقيق "هوية روحية-اجتماعية ناضجة ومتماسكة" من خلال إدراك دوره في الهياكل الاجتماعية، والأخلاقية، والثقافية. يمكن أن تساهم هذه النتائج في تطوير نظريات متعددة التخصصات في مجالات علم النفس الروحي، وعلم اجتماع الدين، وأنثروبولوجيا الطقوس، والتربية الروحية.

المراجع

١. القرآن الكريم

٢. نهج البلاغة

٣. آبيار، زهرا؛ طباطبائي، سيد مصطفى (٢٠٢٣م)، "تحليل تجربة "المعاناة المؤمنة" في الزيارة النسوية: دراسة حالة زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين"، دراسات الثقافة والمجتمع الحوزوي، المجلد ٧، العدد ٢.

٤. ابن شعبة الحراني (١٤٠٤هـ ق)، "تحف العقول"، قم: جماعة المدرسين.

٥. أحمدي، علي (٢٠١٨م)، "الدلالات الاستراتيجية للتواصل بين الثقافات من أجل التقارب الإسلامي مع التركيز على مسيرة الأربعين"، رسالة الثقافة والتواصل، العدد ١، التسلسل ٥.

٦. إمامي، سيد مجيد؛ غياثي، هادي (٢٠١٧م)، "التقارب الحضاري في طريق الزيارة؛ مع التركيز على مسيرة زيارة الأربعين"، الدين والسياسة الثقافية، السنة الرابعة، الخريف والشتاء، العدد ٩.

٧. تاجبخش، غلامرضا (٢٠٢٠م)، "مسيرة الأربعين وأبعادها التربوية"، البصيرة والتربية الإسلامية، السنة السابعة عشرة، العدد ٥٤.

٨. تميمي آمدي، عبد الواحد (١٤٠٨ هـ ق)، "غرر الحكم ودرر الكلم"، ترجمة محمد علي أنصاري، قم: منشورات الإمام علي عليه السلام

٩. جوادي آملي، عبد الله (٢٠٠٨م)، "استمرار أثر نهضة الحسين في ازدهار العقل"، مجلة إسرا الإلكترونية، العدد ١.

١٠. جوادي آملي، عبد الله (٢٠٢١م)، "ازدهار العقل في ظل نهضة الحسين"، قم: منشورات إسرا.

١١. حسيني الطهراني، سيدمحمدمحسن (٢٠١٦م)، "الأربعين في ثقافة الشيعة"، طهران: منشورات مكتب وحي.
١٢. درودیان، محمد جواد (٢٠١٨م)، "المنظور الروحي لحدث مسيرة الأربعين الحسينية"، منظر، العدد ٤٥.
١٣. رودگر، محمد جواد (٢٠١٨م)، "ماهية ومكوّنات الأخلاق العرفانية"، الحكمة الإسلامية، العدد ٤.
١٤. الرازي، فخر الدين (١٤٢٠ هـ ق)، "التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)"، مكتب تحقيق دار احياء التراث العربى.
١٥. الساعدى، محمدعبدالرضا هادى (٢٠١٥م)، "زياره الاربعين؛ دلالات و آفاق"، قم: باقيات.
١٦. شريفي، سيد محسن (٢٠٢٢م)، "دور الأربعين في تشكيل القدرات الحضارية"، ثقافة الزيارة، العدد ٥٣.
١٧. الصدوق (١٤١٣هـ ق)، "من لا يحضره الفقيه"، قم: مكتب النشر الإسلامى.
١٨. طالبى، حامد (٢٠٢١م)، "المسيرة الأربعينية: إعلام الشيعة"، طهران: منشورات سروش.
١٩. الطباطبائي، السيد محمد حسين (١٩٩٥م). الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مكتب النشر الإسلامي.
٢٠. الطبرسي، فضل بن حسن (١٤٠٨ هـ ق)، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت: دار المعرفة.
٢١. عربي، حسين‌علي (٢٠١٩م)، "مسيرة الأربعين الحسينية: المكانة والوظائف"، المعرفة، السنة الثامنة والعشرون، العدد السابع، التسلسل ٢٦٢.

٢٢. غفاري هشجين، زاهد؛ آقائي، محمد (٢٠١٨م)، "مسيرة الأربعين الحسينية كحركة اجتماعية"، العلوم السياسية، العدد ٢٧.

٢٣. فتحيان دستگردي، مرضية؛ نوروزي، قاسم (٢٠٢٢م)، "دراسة الأساليب التربوية لمسيرة زوار الأربعين الحسيني وتأثيراتها النفسية"، مجلة علمية محكمة نصف سنوية الأربعين.

٢٤. الكليني، محمد بن يعقوب (٢٠٠٩م)، "أصول الكافي"، ترجمة سيد جواد مصطفوي، طهران: منشورات العلمية الإسلامية.

٢٥. كلبايكاني، حسن (٢٠٠٨م)، "تحقيق الذات الروحية وعواملها"، طوبى.

٢٦. متقي هندي، علي بن حسام الدين (١٤٠٩هـ ق)، "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال"، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٧. مجموعة من المؤلفين (٢٠١٥م)، "مجموعة مقالات الأربعين"، قم: مشعر.

٢٨. المجلسي، محمد باقر (١٤٠٣هـ ق)، "بحار الأنوار"، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٩. محمدي ري شهري، محمد (٢٠٠٦م)، "ميزان الحكمة"، قم: دار الحديث.

٣٠. مريجي، شمس‌الله (٢٠٢٤م)، "علم الاجتماع لظاهرة الأربعين"، الطبعة الأولى، أصفهان: مؤسسة بوستان الكتاب.

٣١. مظاهري، محسن‌حسام (٢٠١٨م)، "المسيرة الأربعينية: تأملات في علم الاجتماع (مجموعة مقالات)"، أصفهان: آرما.

٣٢. موسوي، سيد رضا؛ بورصادق، معين (٢٠٢٣م)، "مكوّنات الأخلاق العرفانية في الأربعين الحسيني"، مجلة معارف الحسيني، العدد ٣٢.

33. Eliade, M. (1959). The sacred and the profane: The nature of religion. Harcourt, Brace & World.

34. Bauman, Z. (2000). Liquid modernity. Polity Press.

35. Chittick, W. C. (2000). Sufism: A Short Introduction. Oneworld Publications.
36. Emmons, R. A. (2000). The psychology of ultimate concerns: Motivation and spirituality in personality. Guilford Press.
37. Frankl, V. E. (2006). Man's search for meaning. Beacon Press.
38. Geertz, C. (1973). The interpretation of cultures. Basic Books.
39. Hill, P. C., & Pargament, K. I. (2003). Advances in the conceptualization and measurement of religion: Implications for psychotherapy. Psychotherapy: Theory, Research, Practice, Training,40(1--2), 3--18.
40. King, D. B. (2008). Rethinking claims of spiritual intelligence: A definition, model, and measure [Unpublished master's thesis]. Trent University.
41. Maslow, A. H. (1968). Toward a psychology of being. Van Nostrand.
42. Momeni, M. (2018). Arbaeen pilgrimage: A new paradigm in religious tourism. Journal of Islamic Tourism Research, 1(1), 110-.
43. Pakatchi, A. (2020). The Arbaeen Walk: A Multi-Faceted Phenomenon of Religious Expression. Brill.
44. Turner, V. (1969). The ritual process: Structure and anti-structure. Aldine Publishing Company.
45. Durkheim, É. (1912). The Elementary Forms of Religious Life. Free Press.
46. Putnam, R. D. (2000). Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community. Simon & Schuster.

المصادر الرقمية

١. پارسالب. (٢٠٢٥م) معرفة النفس في الإسلام https://parsalab.com/blog/خودشناسی-از-نظر-اسلام/ .

٢. موقع آية الله مكارم شيرازي. (٢٠٢٥م) معرفة النفس في الإسلام https://news.makarem.ir/fa/News/Details/430726.

٣. پرنا، عبد الرضا (٢٠٢٤م)، "أهمية وآثار زيارة الأربعين ودورها في ثقافة الانتظار"، جامعة فرهنگيان https://www.isna.ir/news/1403052819155/.

٤. وكالة الحوزة. (٢٠١٥م) أساليب معرفة النفس من منظور القرآن والروايات https://www.hawzahnews.com/news/365936.

٥. وكالة مهر. (٢٠١٢م) مكانة معرفة النفس في القرآن والروايات https://www.mehrnews.com/news/2011801.

٦. الموسوعة الإسلامية. (٢٠٢٣م) الدور الثقافي لتجمع الأربعين الحسيني https://farhangziarat.hzrc.ac.ir/article_100999.html

٧. الموسوعة الإسلامية. (٢٠٢١م) معرفة النفس https://wiki.ahlolbait.com/خودشناسی

٨. راسخون. (٢٠٠٩م) التصوف الإسلامي (٧): النفس ومراحلها السبع https://rasekhoon.net/article/show/137707

٩. مؤسسة أبحاث أهل البيت عليهم السلام. (٢٠١٥م) معرفة النفس في الأحاديث https://ahlolbait.com/content/5050

١٠. هدانا. (٢٠١٩م) معرفة النفس في الإسلام https://hadana.ir/خودشناسی-در-اسلام.

١١. ويكي شيعة. (٢٠٢٣م) مراتب النفس https://fa.wikishia.net/view/ مراتب_نفس

١٢. Arbaeenjournal.com. (بدون تاريخ). تبيين العلاقة بين الصحة الروحية والصحة الاجتماعية في مسيرة الأربعين. https://www.arbaeenjournal.com/

١٣. Civilica. (2024, June 29). الأربعين فرصة لتعزيز الدعم الاجتماعي، الصمود والفرص... https://civilica.com/note/4417/

١٤. Ghollami, R. (2024, February 28). مسيرة الأربعين والبناء الذاتي الفردي والاجتماعي. https://r-gholami.ir/

١٥. Migna.ir. (2023, August 29). الصمود الاجتماعي من الدروس المستفادة من مسيرة الأربعين. https://www.migna.ir/news/

١٦. Rasekhoon.net. (2020, January 1). دراسة مسيرة الأربعين من منظور علم الاجتماع السياسي. https://rasekhoon.net/article/show/1491575.

سايكوسوسيولوجية الإنسان الحسيني
في ضوء التّفاعل النّفسي والاجتماعي العميق
مع زيارة الأربعين

م.م. وفاء وهيبي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة – تونس
wafawhibi94@gmail.com

الملخص

تعدّ زيارة الأربعين من أبرز الظّواهر الدّينية وأعظمها في العالم الإسلامي من حيث الحجم والعمق الإنساني، هذه المسيرة التي يقطعها الملايين سيرا على الأقدام نحو كربلاء ليست مجرّد إحياء لذكرى تاريخية، بل هي تعبير عن ارتباط وجدانيّ وفكريّ عميق بشخصية الحسين بن عليّ الّذي أصبح رمزا عالميا للحرية والكرامة والعدالة.

فعلى امتداد التّاريخ تطوّرت هذه الزيارة وأخذت أبعادا تجاوزت الجانب الطّقسي، لتصبح ظاهرة اجتماعية وثقافية وروحية، تحمل في طيّاتها معاني التّضحية، والصّبر، والوحدة، والانتماء، والصّمود النّفسي المستمد من مأساة كربلاء، حيث يتمكن الزّائر خلال هذا الحراك الإيماني من إعادة تشكيل ذاته وهويته بعيدا عن حدود الذّات والمكان والزّمان، وفي خضّم هذا التّفاعل الوجداني والجماعيّ تتكوّن ملامح «الإنسان الحسيني» بوصفه كائنا مشحونا بقيم العدل والمقاومة والرّحمة، يعيشها لا كشعارات بل كجزء من تكوينه النّفسي والسّلوكيّ والوجوديّ. وللحديث أكثر عن هذا الكائن الذّي أسميناه «الإنسان الحسيني»، سنسعى في هذه الورقة إلى ابراز أهمية زيارة الأربعين في إعادة تشكيل الوعي الذّاتي والجماعي عن طريق التّطهير الرّوحي، وتعزيز الهوية، وتكوين طاقة داخلية قادرة على مواجهة التحديّات ضمن إطار قيمي مستمد من ثورة الحسين الخالدة، أين يجد هذا الزائر في الألم معنى، وفي المسير رسالة، وفي الحسين قدوة مشتعلة لا تنطفئ.

في هذا العنوان الّذي اخترناه جمع بين الجانب الاجتماعي الّذي يشمل الرؤية الاجتماعية المادية لأسلوب الحياة، وبين الجانب النّفسي وما يشتمله من تهذيب للنّفس وإعادة تشكيل هذه النّفس بناء على القيم الحسينية، و«السايكوسوسيولوجية» جمع

بين هذين الجانبين للحديث عن هذا الإنسان الّذي يتّسم في بعده الرّوحي والنّفسي بالسّمات الحسينية، لتصبح زيارة الأربعين مناسبة الى تحويل هذا الانسان المادي والمصلحي، والإنسان الغريزي المستسلم إلى الإنسان الاستعلائي الذي يتطلّع إلى العلوّ والسموّ والتّرقّي إلى مرتبة النّقاء الحسيني.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين–سايكوسوسيولوجية– الإنسان الحسيني.

Psychosociology of the Husseini man in light of the deep psychological and social interaction with Arbaeen visit

Asst. Lecturer. Wafa Wehbi

Faculty of Arts and Humanities, Sousse – Tunisia

abstract

The Arbaeen visit is one of the most significant and profound relegious phenomena in the Islamic world, both in terms of its scale and human depth.

This march, undertaken by millions on foot toward Karbala, is not merely a commemoration of a historical event ; rather, it is an expression of a profound emotional and intellectual connection to the figure of Hussein ibn Ali, hwo has become a global symbol of freedom, dignity, and justice.

Throughout history, this visit has evolved and taken on dimensions that transcend the ritual aspect, becoming a social, cultural, and spiritual phenomenon, carrying within it meanings of sacrifice, patience, unity, belonging, and psychological resillience derived from the tragedy of Karbala.

During this movement of faith, the visitor is able to reshape his self and identity, far from the boundaries of self, place, and time. In the midst of this emotional and collective interaction, the features of the « Hussaini

man » are formed. A being charged with the values of justice, resistance, and mercy, living them not as slogans but as part of his psychological, behavioral, and existential makeup. To discuss more about this being, whom we have called « the Hussaini man », in this paper we will seek to highlight the importance of the Arbaeen visit in reshaping personal and collective awareness thought spiritual purification, strenghening identity, and building an intemal energy capable of facing challenges within a value-based framework derived from Hussein's immortal revolution, where does this visitor find meaning in pain, a message in the path, and a burning example in Hussein that will never be extiguished.

In this title, we have combined the social aspect, which encompasses the sicial-material vision of lifestyle, with the psychological aspect, which includes the refinement of the soul and the reshaping of this soul based on Husseini values, Psychosociology combines these two aspects to discuss this human being who is characterized in his spiritual and psychological dimension by Hisseini traits, so that the Arbaeen visit becomes an occasion to transform this materialistic and self-intersted human being, and the instinctive, submissive human being into the superior human being who aspires to elevation, sublimity, and advancement to the level of Husseini purity.

Keywords : Arbaeen visit – Psychosociology - Husseini man.

المقدّمة

تتعلّق إشكالية السّايكوسوسيولوجية (اسم مركب يتكون من مصطلحين هما، سيكولوجيا (psychology) ويشير هذا المصطلح إلى النّفس والجوانب النّفسية للإنسان من خلال دراسة سلوكه وادراكه ووظائفه العقلية، ورغم أنّه يمكن تطبيق هذا العلم على دراسة سلوك الحيوانات كذلك إلاّ أنّه ما يعنينا في هذا السياق هو دراسة الجانب النّفسي للإنسان الحسيني بالتّحديد، وأمّا المصطلح الثّاني فهو السوسيولوجيا (sociology) وهو مصطلح ابتدعه أول مرّة أوغيست كونط سنة ١٨٣٩، ثمّ اهتّم به ايميل دوركايم وطوّر فيه من خلال تركيزه على دراسة الظّواهر الاجتماعية وخصائصها، ومن هذا المنطلق نحن نهتم في هذه الورقة بدراسة ظاهرة « زيارة الأربعين » عبر تطبيق منهج علم الاجتماع وخاصّة علم الاجتماع الدّيني.) بالتّفاعل المعقّد بين الجانب النّفسي للفرد (الدّوافع، والمشاعر، والسّلوك، والتّكوين النّفسي)، والجانب الاجتماعي (البيئة، والجماعة، والثّقافة، والقيم الاجتماعية)، فهي تصيب مباشرة العلاقة التّبادلية بين الفرد والمجتمع من خلال التّركيز على تأثير هذه الجوانب في تشكيل السّلوك الإنساني وتوجيهه. ولأنّنا نهتم بدراسة الإنسان الحسيني وعلاقته بزيارة الأربعين فقد اخترنا هذه المقاربة المركّبة لتماهيها وفكرة البحث بالإضافة إلى مساعدتنا على الغوص في أعماق هذا الإنسان وفهم خصائص هذه الظّاهرة وتأثيرها خاصّة في نفوس الزائرين.

قبل الانطلاق في الحديث عن الزّيارة وماهي يجب الإشارة إلى تاريخية هذه الظّاهرة، فالاحتفال بأربعين يوما بعد الوفاة هي عادة إسلامية لأهمية العدد أربعين ورمزيته في كلّ الحضارات القديمة مثل السومرية والبابلية والمسيحية وليس عند المسلمين فقط، غير أنّ الاحتفال بأربعينية الحسين عند الشّيعة لها دوافع وأسباب أخرى، تتمثّل في لحظة اتّحاد الرّأس مع الجسد، وكان رأس الحسين قد فُصل عن

جسده في العاشر من محرّم وحُمل على رمح طويل مع قافلة السبايا إلى يزيد في الشّام، ثمّ بعد أربعين يوما من استشهاده عاد الرأس إلى كربلاء ودفن مع جسده، هذا الإتّحاد له دلالة رمزية في نفوس أتباع الحسين، ولهذا فإنّنا نعيد هذا الاحتفال إلى هذه اللّحظة الفارقة في تاريخ مقتل الحسين والأحداث الّتي حفّت به، (تعود زيارة الأربعين أيضا إلى واقعة تاريخية تقول أنّ هناك رواية تقول أنّ الإمام السّجاد أثناء عودته مع قافلة السّبايا من الشّام نحو المدينة توّجه إلى العراق لزيارة قبر أبيه قبل ذهابه، وقد صادفت زيارته اليوم الأربعين لاستشهاده، وفي زيارته هذه التقى بأحد الصّحابة البارزين وهو جابر الأنصاري وعدد من بني هاشم وهم بصدد زيارة قبر الحسين والتّرحّم عليه، ودار حوار بين علّي ابن الحسين وجابر الأنصاري حدّثه فيه عن المأساة الّتي عاشوها في)) من هذه اللّحظة أصبح عدد الزّوّار يزداد كلّ سنة، ولهذا تعدّ زيارة الأربعين واحدة من أعظم التّظاهرات الدّينية والرّوحية والاجتماعية في العالم، حيث يتوافد الملايين من المسلمين-ونجد من بينهم ديانات ومذاهب مختلفة- صوب كربلاء في مسيرة يملؤها الإيمان والتّحدّي والالتزام بالقيم والمبادئ الحسينية، لأنّ زيارة الأربعين ليست مجرّد حدث طقسي،، بل هي ظاهرة إنسانية عميقة تحرّك في الفرد مشاعره، وتعيد في نفس الوقت تشكيل وعيه الاجتماعي والنّفسي، لتربطه بجذور الهوية، والرّسالة، والقضية. في هذا السّياق تبرز الحاجة إلى دراسة سايكوسوسيولوجية الإنسان الحسيني- أي تحليل التّكوين النّفسي والاجتماعي الّذي يتجلّى في سلوكه، ومواقفه، ومشاعره، وطريقة تفاعله مع واقعة العاشر من محرّم وتجلّيها الحيّ في مسيرة الأربعين، هذا التّفاعل العميق لا يقتصر على الجانب الشّعوري أو الدّيني فقط، بل يمتدّ ليشكّل دينامية اجتماعية فريدة تعبّر عن الانصهار بين الفرد والمجتمع، بين الماضي والحاضر، وبين الذّات والرّمز.

إنّ زيارة الأربعين تفتح المجال أمام الإنسان الحسيني ليعيش تجربة تطهيرية متكاملة، فهو يمشي بدافع الحب والولاء، ويتفاعل مع الحشود بروح التّعاون والتّكافل، ويعيد ترتيب أولوياته الحياتية في ضوء منظومة قيمية مركزها الحسين، وهنا تبرز أهمية فهم البعدين النّفسي والاجتماعي لهذا الإنسان، من خلال تحليل دوافعه العميقة، وأثر الحسين في تشكيل وجدانه، وانعكاس ذلك على علاقته بذاته وبالآخرين، وبالواقع الّذي يسعى لتغييره. (كربلاء قبل أربعين يوما. (تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشّيعي ١٩٩٩، ص ١٣٠.)

من هذا المنطلق، نسعى في هذه المقالة إلى استكشاف الخصائص السّايكوسوسيولوجية للإنسان الحسيني في ظلّ زيارة الأربعين، مع التّركيز على كيفية تشكّل الهويّة وانبثاق المعنى، وتجلّي الإيثار، والانخراط الوجداني والجماعي في ملحمة تتجاوز حدود الزّمان والمكان، لتعبّر عن مشروع روحي وثقافي متجدّد، يمكن من خلاله احداث تفاعل بين الزّائر والأربعين لإعادة تشكيل وعيه الفردي والجمعي في آن واحد وهي فرضية بحثنا هذا الّتي سنسعى عبر أقسام الدّراسة إلى اثبات حدوثها فعليا أثناء انخراط الزائر في جماعة تحمل ذات المشاعر وتسير نحو هدف موّحد مما يدفعه إلى الانخراط داخل هذه الجماعة انخراطا نفسيا وجسديا يعزّز هويته الجماعية ويولّد عنده شعورا بالانتماء والقدرة على التّغيير، ممّا يخلق ما يمكن أن نسمّيه بالتّربية الشّعبية، الّتي يعاد من خلالها صياغة الذّات والمجتمع بعيدا عن التّعامل السّطحي مع ظاهرة الزيارة واعتبارها مجرّد حدث طقسي، وهذا ما يدفعنا إلى طرح جملة من التّساؤلات الّتي ستذلّل في نظرنا صعوبات هذا البحث وستبيّن حدوده ومن ثمّ نتائجه.

كيف يشكّل المجتمع شخصية الفرد؟

- كيف تؤثّر البنى الاجتماعية كالأسرة والاعلام في التّكوين النّفسي للفرد؟
- كيف يمكن للفرد أن يغيّر في مجتمعه انطلاقا من وعيه بأزماته النّفسية؟
- كيف يتفاعل المؤمن الشّيعي مع زيارة الأربعين؟
- هل تمكّن التّجربة العاشورائية الأفراد من تجاوز البعد العاطفي إلى بعد إصلاحي فعّال؟
- إلى أيّ مدى يمكن القول بأنّ التّفاعل مع الحسين هو تفاعل وجداني فقط؟
- كيف تسهم الذّاكرة الحسينية في تشكيل هويّة جماعية مقاومة عبر الزّمن؟
- ما نوع التّحوّلات الوجدانية الّتي يعيشها الانسان الحسيني أثناء المسير؟
- هل يمكن القول أنّ زيارة الأربعين آلية للشّفاء النّفسي والهروب من الضّغوط اليومية؟
- كيف تعيد مواكب الخدمة ترتيب القيم الاجتماعية مثل الكرم، والإيثار، والانتماء؟
- إلى أيّ مدى نجحت كربلاء في صناعة نموذج اجتماعي متماسك فشلت بعض الأيديولوجيات في صناعته؟

اولا - سيكولوجية التّغيير الحسيني

تعدّ تجربة الإمام الحسين ﷺ من التّجارب الأبلغ أثرا في الفكر الإسلاميّ لما تحمله من طابع دموي لا إنسانيّ، فالعاشر من محرّم ذكرى مأساة كونية، مأساة احتزّ إثرها رأس ابن بنت نبيّ الإسلام، وانطلاقا من هذه المأساة التّاريخية يمكن أن نتحدّث عن التأثير النّفسي لمقتل الحسين ﷺ في نفوس المسلمين، فالمسلم الشّيعي اليوم يُحيي ذكرى العاشر من محرّم من كلّ سنة لغاية إعادة تشكيل صورة هذا البطل ،الذي اختار الشّهادة بدل الخضوع، واختار الخروج والمقاومة نصرة للحق أمام الباطل، في أذهان المؤمنين بهذه القضية الإنسانية التي ستظلّ حيّة وقائمة إلى نهاية الوجود. إنّ خروج الحسين لم يكن طلبا للحكم ولا منافسة على السّلطة بل كان لغاية الإصلاح، ونجد هذا في قوله « إنّي لم أخرج أشرا ولا بطرا... ولكن خرجت لطلب الإصلاح»، وهذا يعكس سيكولوجيا الإنسان المصلح الّذي يحمل في داخله شعور المسؤولية تجاه الآخرين والتدّخل إذا تطلّب الأمر، ولأنّ النّاس استنجدوا به فقد لبّى نداءهم وخرج لنصرتهم، رافضا بذلك الخضوع لظلم الحاكم ومن والاه، معبّرا عن موقف نفسي عميق يرسم صورة حقيقية للشّخصية الحرّة الواعية بالكرامة الإنسانية.

يمثّل الحسين ﷺ رمزا نفسيا عميقا للتّغيير والتّحوّل في الوعي الإنساني، ليس من منظور دينيّ أو تاريخيّ، وإنّما من زاوية سيكولوجية تتعلّق بالإرادة، والمقاومة، والتّحرّر، ويمكن أن نبرّر هذا انطلاقا من الطّبيعة البشرية أو الفطرة الّتي خلق عليها البشر، فالإنسان بطبعه يميل إلى السّلامة والنّجاة بنفسه من المخاطر المحيطة به والّتي يعي مدى تأثيرها على سلامته، غير أنّ الحسين ﷺ خالف هذه الفطرة البشريّة وسلك طريقا معاكسا فيه غلبة على غريزة الخوف والاستسلام وكسر للحواجز الدّاخلية

الّتي تقيّد إرادة الإنسان وتحول دونه وكلمة الحق، وتخلّصه من خوفه من السّلطة أو من النّفوذ وأصحابه و من فكرة فقدان الأمان والسّلام الدّاخلي والخارجي أيضا، فالحسين ﷺ بهذه الحركة أصبح رمزا ملهما للأفراد ومحفّزا إيجابيا ودافعا مباشرا لمغادرة منطقة الرّاحة النّفسية وخوض معركة الحياة، لأنّ الحياة فانية في نهاية المطاف وكلّ كائن بشري مطالب بتأدية رسالته الّتي خلق من أجلها ومواجهة مصيره المحتوم، وهو ما فعله الحسين ﷺ الّذي خرج رغم علمه المسبق بمصيره الّذي ينتظره، الّذي خرج أعزلا من السّلاح والنفر، خرج وهو يعلم مسبقا بمصيره وبما ينتظره هناك في كربلاء هو وأهل بيته، ولكنّه خرج لأنّ رسالته لا يمكن أن يؤديها إلاّ بالدّم، خرج لأنّه مطالب بالاستشهاد في سبيل الحق، وفي سبيل ما جاء به الأنبياء من قيم وأخلاق وعدل.

سيكولوجيا يمكن القول أنّ الحسين ﷺ يرمز إلى الإنسان الّذي يختار بإرادته النّابعة من ضميره وليس تحت ضغط البيئة أو الخوف، وهذه المبادرة الّتي قام بها سبط الرّسول من شأنها أن تستنهض الضّمير الجمعي، والضّمير الإنساني وتدفعه إلى تبنّي القيم الإنسانية الكبرى، فخروجه لم يكن ضدّ ظلم يزيد فحسب بل كان صرخة لإيقاظ وعي الأمّة وهو ما يفسّر الأثر العميق الّذي تركه العاشر من محرّم في نفوس المسلمين والإنسان عموما، لأنّه تحوّل من مجرّد حادثة تاريخية أو حرب، ضمن قائمة جملة من الحروب المتتالية في تاريخ البشرية، إلى تجربة نفسية تحويلية، ذلك أنّ الأحداث المؤلمة والمأساوية الكبرى يمكن أن تكون محفّزات للنّضج الدّاخلي ولإعادة تعريف الهويّة والمعنى، والحقّ، ويمكن أن تجسّد أيضا الصّراع بين الّذات والقيم من جهة، والعالم الخارجي من جهة أخرى، فالّذات المؤمنة بالقضايا الوجودية دائما ما تجد نفسها في مواجهة مباشرة وشرسة مع عالم مادي غير عادل، أين يجب أن تحافظ عن جوهرها الحقيقي وأن تؤدي رسالتها كما أداها الحسين ﷺ.

وممّا ذكرنا تتأكدّ سمة الحسين ﷺ المفارقة انطلاقا من حدث استشهاده الّذي يعتبر مخالفا ومختلفا كلّ الاختلاف عن باقي الأحداث التّاريخية «فالحسين بطل ملحمة وجودية خرج لينال الشّهادة الّتي أُمر بها منذ لحظة ولادته..» (وهيبي وفاء، الحسين وأنطولوجية وراثة المعنى، ص٢) ولهذا أُسنِدت له كلّ خصائص النّجاح الدّيني والسّياسيّ والرّمزي، وكان ذلك عبر القصص والحكايات الّتي أصبحت جزءا من الحياة اليومية للمسلم الشّيعي والّتي يرى فيها محرّكا للحياة ودافعا للاستمرارية، ومحفّزا نفسيا لخوض معارك الحياة دون الخضوع للآخر أو للظّلم، لأنّ كينونة الفرد في هذه المرحلة تتشاكل مع محتوى حركة الحسين، ليصبح هو في حدّ ذاته ميراثا نفسيا تتوارثه الجماعة المسلمة جيلا بعد جيل معبّرة عن مركزية هذا الميراث في تشكيل صورة الإنسان المجاهد/ المقاوم، فهو ميراث وجوديّ مرّ عبر مراحل زمنية فالإنسان منذ هبوطه إلى الأرض وهو في صراع ثنائي الأقطاب بين الخير والشّر/ الحق والباطل/ النّور والظّلام، وبما أنّ الحسين كان حاملا للواء الحق مدافعا عن دينه وعن دين جدّه فإنّ حركته تحوّلت من مجرّد خروج أو معركة سياسية إلى ناموس كوني تسير على خطاه الجماعة المؤمنة بأنّ الحسين ﷺ فكرة ثورية والأفكار الثّورية لا تموت، بل هي محرّك الحياة والدّافع نحو التّحرّر من القلق الوجوديّ الّذي يعيشه الفرد ويحمله في داخله، وبهذا يصبح الحسين ﷺ رمزا مباشرا لسايكولوجية الشّيعي الّذي يسعى من خلال زيارة الأربعين إلى تجديد نفسه وعلاجها من كلّ شوائب اليوميّ الّذي تعيشه، فالحسين رمز للفداء والتّضحية من أجل اعلاء قيم الحقّ والعدالة ومن أجل تمهيد طريق الصّلاح لمن بعده ولشيعته ولهذا فإنّ السّير على خطاه والالتزام بمبادئه وزيارته هي من مقومات السّلامة النّفسية للمسلم الشّيعي بل ولكلّ المسلمين والمؤمنين الّذين يرون تضحية الحسين ﷺ حقّ رؤيتها ويضعونها ضمن سياقاتها الإنسانية الحقيقية.

يصبح الحسين ﷺ انطلاقا ممّا ذكرنا رمزا إنسانيا ونفسيا للانعتاق من قيود السّلطة والظّلم والوجود ككلّ، وهو أيقونة نفسية للتّغيير والتّجديد، فهو البطل الثّائر عن كلّ أشكال الظّلم والرّافض للخوف والذّل وكلّ من يتماهى معه يتخلّص من خوفه الدّاخلي عبر مروره بصدمة وجدانية تغيّر مركز الثّقل النّفسي عنده، ولهذا نجد الشّيعة يجدّدون عهدهم مع الحسين ﷺ في العاشر من محرّم من كلّ سنة، لأنّ السيكولوجيا الجماعية تتأثّر بالصّورة المأساوية لحادثة كربلاء وهذا يدفعها إلى انتاج وعي جديد، وإعادة ترسيخ القيم في اللاوعي الجمعي، وإعادة تفعيل الذّاكرة العاطفية أيضا، عبر الزّيارات والمجالس الّتي تعتبر آليات نفسية جماعية لاستحضار ذكرى استشهاد الحسين ﷺ مع ما رافقها من حزن وألم، وهذا من شأنه أن يساعد الزّائر على التطهّر من الضّعف واستبطان البطولة والصّبر والتّشبّع بفكرة الفداء ومن ثمّ الانصهار في شخصية الحسين ﷺ الرّمزية الّتي تمثّل الأنا الأعلى في السيكولوجيا الأخلاقية.

إذا سيكولوجية التّغيير الحسيني ليست لحظة آنية، بل هي مسار تراكميّ يُعاد إحياؤُهُ في الضّمير الجمعي كلّ سنة في العاشر من محرّم، هي في الحقيقة دعوة لاجتراح معنى الحرية من داخل النّفس قبل أن تتحقّق في الواقع، فالحسين في جوهره ثورة على الجبن الدّاخلي، وبوصلة لتجاوز الانكسار النّفسي نحو النّهوض القيمي.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

ثانيا - سوسيولوجية الجماعة الحسينيّة

١. المسيرة كفضاء اجتماعي مقدّس:

في الزّمن الحديث حيث تتآكل القيم الجماعية وتتفككّ الرّوابط الرّمزية، تظهر بعض الطّقوس الدّينية الكبرى كأطر مقاومة لهذا التّفكّك وتعيد تأسيس ما يمكن تسميته بـ «الفضاء الاجتماعي المقدّس»، ولعلّ أبرز هذه الظّواهر الّتي نتحدّث عنها هي زيارة الأربعين، حيث يتجلّى إثرها تفاعل فريد بين الجسد، والجماعة، والرّمز، فزيارة الأربعين ليست مجرّد انتقال مادي من مكان إلى آخر، بل هي رحلة رمزية تحوّل الطّريق إلى فضاء «محرّم» يعلو على الزّمن العادي ويتجاوزه في حركة مقدّسة يقوم بها الزّوّار الّذين يرون في الطّريق إلى كربلاء، طريق تطهّر وجهاد ونضال، أين تستعاد القيم الدّينية الكبرى مثل الفداء، والصّبر، والمحبة، والقيم الاجتماعية، كالتّعاون، والمسؤولية، وكرم الضّيافة، وحسن الاستقبال. في هذه المسيرة الشّعبية تذوب كلّ الفروق الطّبقية واللّغوية والجنسية، لتندمج الجماعة في شعور جماعي بالانتماء إلى ذات الأهداف وذات القضية، فالجميع «زائر»، والجميع «حسيني» الهوى والوجهة والعشق.

من خلال الطّقوس والشّعائر المرتبطة بالإمام الحسين، وخصوصا عاشوراء وزيارة الأربعين، تتبلور هوية جماعية متماسكة تتميّز بخصوصياتها الرّمزية، والانفعالية، والتّنظيميّة، وهي لا تؤدي وظيفة دينيّة فحسب، بل هي ممارسة اجتماعية تقوم بوظائف تعبيرية وتواصلية من جهة، وهي من جهة ثانية، رحلة تهدف إلى تزكية البدن وتربية النّفس، فزيارة الحسين عليه السلام وغيره من الأئمة-في تقديرنا- ليست مجرّد طقس ديني شكليّ، بل هي عبارة عن ميثاق مع الله بالولاء لأوليائه والبراءة من أعدائه، بالإضافة إلى أنّ هذه الزّيارات تساعد الفرد على تجديد ذاته وشحن روحه بقيم الحسين عليه السلام ومبادئه،

كما أنّ طاقة المكان المقدّسة تتيح للفرد نوعا من التّفريغ النّفسي والانصهار في الكلّ الجماعي، وهو ما يعزّز تماسك الجماعة ويعيد تشكيلها باستمرار، وهذا يبيّن «الجهود العظيمة الّتي بذلها المعصومون في سبيل إحياء رسالة الله، وتذكرنا بتضحياتهم، سواء في العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق، وهذه الزّيارة هي دعوة صادقة للالتزام بما أمر به المعصومون عليهم السلام» (الأسدي د. أطياف علي كاظم، آثار زيارة وارث، وقائع المؤتمر العلمي الإمام الحسين عليه ، ص ١٣٣ .) وانطلاقا من هذه الزّيارة ومن استذكار جهود الائمة في ترسيخ هذا الطّقس يتذكر الفرد مسؤوليته تجاه مجتمعه وتجاه دينه، ليكون الحسين رمزا خالدا لترسيخ قيم الحقّ والشّجاعة والتّضحية والصّبر وقوة الإيمان بالله.

يأتي يوم الأربعين بعد يوم عاشوراء في أهميته، يصادف هذا اليوم تاريخ ٢٠ من صفر حسب الترتيب الهجري لأشهر السّنة، في هذا اليوم تقام احتفاليات الزّيارة في كربلاء دون غيرها لوجود قبر الحسين هناك، والجماعة الحسينية في هذا اليوم تتميّز بالتّراتبية والتّنوّع في بناها ووظائفها، تشمل هذه البنى رجال الدّين، والرّواديد، والخطباء، والمتطوّعين، وأصحاب الهيئات، بالإضافة إلى أصحاب المواكب، وهذه البنية ليست بالضّرورة هرمية سلطوية، بل هي تراتبية وظيفية رمزية تنبع من مدى خدمة الفرد للقضية الحسينيّة، وهذا يعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية بطريقة تتجاوز البنية التّقليدية للمجتمع المحلّي، فالجماعة الحسينية، رغم نشأتها الشّيعية إلاّ أنّها تُظهر انفتاحا كبيرا على الآخر، وخاصّة في المناسبات الكبرى مثل زيارة الأربعين الّتي تشهد مشاركة غير شيعيّة وحتّى غير إسلامية، هنا تتحوّل الجماعة إلى فضاء تفاعليّ يتجاوز الهويّات الصّغرى نحو مشروع كوني يرتكز على قيم «نصرة المظلوم»، و«الحق فوق القوّة»، ممّا يعزّز نزعة التّوسّع الرّمزي للجماعة.

من المنظور السّوسيولوجي، تنشط الجماعة الحسينية كحركة ديناميكية تعيد تشكيل الوعي الفردي داخل بنية جماعية تشمل الانفعال الجماعي، والتّكرار الشّعائري، والبكاء الجمعي، وهي ليست مظاهر عاطفية فقط بل هي آليات تعيد تشكيل علاقة الفرد بذاته وبالعالم، لأنّ الفرد في الجماعة الحسينية يعيد صياغة هويته من خلال الانخراط في سردية تتجاوز ذاته الضّيّقة وتمنحه بعدًا نضاليًا وأخلاقيًا.

٢. الهوية الجمعية:

تعدّ الهويّة الدّينية أحد أبرز أنماط الهويّات الجماعية الّتي تتشكّل عبر التّاريخ والذّاكرة والممارسة، وبالنّظر إلى أهمية طقس الزّيارة في السّياق الشّيعيّ نفهم أنّ هذه الظّاهرة هي لإثبات الوجود الفعلي للإنسان الحسيني، أين تتجاوز الأطر العقدية نحو مستوى الوجدان والممارسة اليومية، فحادثة كربلاء ليست حدثا تاريخيا ضمن نسق تاريخي ملئ بالأخبار والحروب والمآسي، إنّما كربلاء تعتبر حقيقة مستمرة، والزيارة ليست مجرّد زيارة قبر، بل هي تجديدٌ للميثاق مع الحسين «لبيك يا حسين»، هي تذكير بمعركة «الحقّ» و«الباطل»، وهذا يجعل الهوية الحسينيّة هوية متجذّرة في موقف وجودي وأخلاقي، وهذا يعزّز شعور الفرد بأنّه جزء من جماعة تحمل قضية ورسالة.

الطّقوس الحسينيّة، وعلى رأسها طقس الزّيارة، لا تُعيد فقط إحياء ذكرى، بل تبني عبر الجسد، والذّاكرة، والمخيال، والعاطفة، والسلوك هوية حسينية متكاملة، هويّة تتجذّر في التّاريخ، وتعيش في الحاضر، وتطمح إلى التّغيير عبر الالتزام بطقوس تحدّد هوية هذا الجماعة، والطّقس هنا باعتباره أداء جسدي يُجسّد الانتماء الجمعي الّذي يتجاوز الحدود القومية والطّائفية، ويصبح الجسد فيه وسيلة للتّعبير لأنّ الألم، والجوع، والعطش، والتّعب تُأوّلُ بكونها وسائط تعبيرية للاقتراب من الحسين

ومعايشة مأساته الّتي عاشها وأهل بيته في كربلاء واستشهد إثرها معايشة رمزية، وأمّا الرّايات، والشّعارات، والأهازيج، والألوان، والأزياء، فكلّها آليات تعبيرية غايتها إعادة انتاج رموز الهوية الحسينيّة الّتي تغذّي المخيال الجمعي، وتشكّل ما يمكن أن نصطلح عليه بـالمجال الرّمزي للهُويّة الحسينيّة. في هذا المجال يتعلّم الفرد قيم الحسين كالصّبر، والتّضحية، ونصرة المظلوم، ومقاومة الظّلم، وهنا يتشكّل وعي أخلاقيّ مبنيّ على هويّة المقاومة. وانطلاقا من حديثنا عن الهويّة الحسينية الّتي تتشكّل عبر الطّقوس والالتزام بالزّيارة نلاحظ أنّ هذا التّفاعل العميق بين الطّقس الدّينيّ والانتماء الجماعي، يعكس عمق البنية الرّمزية والاجتماعية لهذه الشّعيرة-أي زيارة الأربعين- والّتي تمثّل سيرا طوعيا وقلبيا نحو الحسين، في تجاوز صارخ لحدود التّديّن نحو منطق هوية نضالية وولائية، والهوية في هذا السّياق ليست مفروضة من الخارج وليست حسب ما تطلبه الجماعة المؤمنة، إنّما هي هوية تُبنى من الدّاخل عن طريق الفعل والمشاركة والنيّة.

في الطّريق إلى الحسين تظهر تلك الرّوابط المتينة بين الجماعة من زائرين وخدم، حيث تتكوّن روابط روحانية تربط بين الحضور على مختلف جنسياتهم ولغاتهم وأفكارهم، لأنّ الّذي وحدّ صفوفهم هو حبّ الحسين وحده، ومأساة كربلاء وحّدت قلوبهم وشكّلت شبكة عميقة موّحدة اسمها «نحن»، وهذا التّفاعل بين الجماعة على اختلاف طبقاتهم- الوظيفية طبعا-، ينتج تضامنا اجتماعيا فعّالا يتجدّد كلّ سنة، ويجذّر الإحساس بالهويّة المشتركة، تلك الهويّة الّتي تتلخّص في مأساة كربلاء، في ذلك الألم الّذي تتقاسمه جماعة ويؤثّر في وعيها ويجعلها مميّزة عن غيرها، وهذا التميّز تغذّيه مجموعة من الآليات الّتي تعتبر كلمات مفتاحية للانتماء إلى الطّائفة الشّيعيّة، هذه الآليات يمكن أن نجملها في خمس نقاط أساسيّة، أوّلا رمزية كربلاء كحدث مؤسّس، ثانيا زيارة الأربعين باعتبارها تجربة جماعية روحية وعاطفية، ثالثا الخطاب الدّيني الّذي يعيد إحياء الحسين كرمز

للعدالة والمقاومة، رابعا المواكب والطّقوس كفضاء تفاعلي له بعد عاطفي وجسدي جماعي، خامسا وأخيرا فكرة التّعامل مع العدوّ حيث يُصوّر أحيانا في الخطابات كأنّه «يزيد المعاصر»، وهذا يعزّز الشّعور بضرورة المواجهة والصّمود.

الالتزام بزيارة الأربعين يخلق هوية جماعية من خلال المعنى المشترك، والممارسة الجماعية، والذّاكرة، والالتزام العملي، إنّها هوية لا تورّثُ فقط، بل تُعاشُ وتُتجدَدُ عبر الطّقس والتّجربة، وهي في جوهرها إعلان رمزي للولاء والاحتجاج والارتباط بسرديّة كربلاء كمرجعية قيمية وروحية.

التّفاعل السّايكوسوسيولوجي مع الزّيارة.

١.على المستوى الفردي:

التّفاعل السّايكوسوسيولوجي في زيارة الأربعين يُحدث تحوّلا نفسيا عميقا للفرد، حيث تتحوّل مشاعر الألم والأمل، والاغتراب والانتماء، إلى تجربة مركّبة يُعادُ من خلالها تشكيل وعيه وهويته، إنّها تجربة سيكولوجية جماعية شافية تعيد للفرد توازنه الدّاخلي من خلال التّفاعل مع جماعة تؤمن بنفس الرّموز وتسير في نفس الاتجاه، ومن هذا المنطلق نقول أنّه لا شكّ عندنا أنّ الطّقس الزّيارة له تأثيرات مباشرة على الفرد بدرجة أولى وعلى الجماعة بدرجة ثانية، لأنّ قبل الزّيارة وبعدها هناك تغييرات حاصلة لا محالة(سنبين ذلك في استبيانات ثلاث أجريناه مع ثلاثة أشخاص شاركوا في زيارة الأربعين، وسنضعها في آخر المقالة.)و سنهتم في هذا الإطار بتأثيرات الزّيارة في الفرد على المستوى السّيكولوجي، حيث يشعر الفرد إثر الزّيارة وأثناءها وحتّى بعدها بالقوّة والاندفاع، والارتياح، وتخفيف التّوتّر، بالإضافة إلى تعميق الإيمان بالحسين وبمبادئه.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

زيارة الأربعين تحرّر الفرد من الضغوط النّفسية المرتبطة بالفردانية، حيث يشعر الزّائر بأنّه ليس وحده، بل هو مع مئات الآلاف الّذين يشاركونه الإيمان، والألم، والأمل، والحي للحسين، وهذا من شأنه أن يُحدث تحوّلاً عميقا في البناء النّفسي للفرد، ثمّ إنّ الزّيارة بما تتضمنه من مشي لساعات طويلة وتأمّل وصلاة وخدمة وتحمّل، تُحدث ما يشبه التّحوّل التّطهيري الّذي يشمل، تطهير من الذّنوب والتّوترات الدّاخلية، ومراجعة النّفس ومحاسبتها، بالإضافة إلى حضور شعور عميق بمعنى الوجود والغاية من الحياة، فالكثير من الزّائرين بعد الزّيارة ينتابهم شعور بأنّهم خرجوا في رحلة علاجية نفسية روحية، فيها بكاء وصمت، وتواصل، وعطاء، وهذه المشاعر تحفّز الفرد على التّحمّل النّفسي والصّبر، والاحساس بالانتصار على الذّات والرّاحة بعد الخمول، فهذا التّحمّل لا يُبنى فقط على الإرادة، بل يُبنى على الدّافع الرّوحي والإيماني الّذي يُعطي المعاناة معنى، وهذا ما يفسّر سير النّاس آلاف الكيلومترات دون شكوى أو تذمّر.

من التأثيرات النّفسية الأخرى على الفرد خلال زيارة الأربعين، هي إشباع الحاجة إلى المقدّس والحاجة إلى معنى الحياة، ذلك أنّ الفرد في العالم المعاصر يواجه أزمات فراغ وجودي وتيها أخلاقيا، وزيارة الأربعين فرصة مناسبة لمنحه إطارا رمزيا مقدّسا يعيد من خلاله بناء المعنى في حياته عبر اتّصاله ببطولة حسينية تملأ روحه بالشّجاعة والصّدق والثّورة على الظّلم، وهذا يولّد عنده شعور بأنّه على طريق الحقّ، وهذا يدفعنا إلى الإقرار بأنّ الفرد يخرج من زيارة الأربعين بهوية أعمق، ووعي أصفى، وتوازن نفسي أمتن يمنحه قدرة عجيبة على حسن التّعامل مع ألمه الشّخصيّ.

٢.على المستوى الجمعي:

زيارة الأربعين تعيد تشكيل الهويّة الجمعية للمشاركين بها من خلال توحيد المشاعر والرّموز، حيث أنّ ملايين الزّوّار يحملون نفس الشّعارات ويستذكرون نفس القصّة ويحملون نفس الألم، وهذه القواسم المشتركة بينهم تعزّز الشّعور بالانتماء المشترك، وتفرض سلطة الوعي التّاريخي المشترك، كما تغذّي الإحساس بأنّ هذه الجماعة تملك سردية خاصّة بها قوامها المظلومية والحقّ والمقاومة، والتّعاوّن، وانطلاقا من هذه المعاني الّتي تحملها زيارة الأربعين، فإنّ تكرارها الطّقسي وتجديدها سنويا يقوّي الهوية الدّينية والسّياسية للجماعة.

تعدّ الزّيارة فعلا اجتماعيا بامتياز لما تصدّره من معاني إنسانية عميقة ومؤثرّة، نتحدّث مثلا عن الضّيافة والمواكب، حيث يشارك النّاس عن اختلاف طبقاتهم في إعداد الطّعام، وتقديم الخدمات الّتي يحتاجها الزّوّار في رحلتهم نحو مرقد الحسين، ففي هذه الرّحلة الّتي يخرج فيها ملايين من البشر لقطع آلاف الكيلومترات سيرا على الأقدام، يجدون من يخدمهم على طول هذه الطّريق من أكل وشرب وإيواء وتوجيه ورعاية صحية، وهذا التّفاعل بين الأفراد يدفعنا إلى القول بأنّ هذا التّعاوّن والتّرابط الاجتماعي ليس قوامه القرابة العرقية فقط، لأنّ الزّوّار ليسوا من العراق فقط، ذلك أنّ طقس الزّيارة طقس دوليّ، يقوم به كلّ شيعيّ في كلّ قطر من أقطار الأرض ويتوجّه إثره إلى كربلاء، أين يجد الناس هناك فاتحين بيوتهم وصدورهم إلى الجميع، لأنّهم يجتمعون على حبّ الحسين رغم فروقاتهم الثّقافية والاجتماعية واللّغوية، وهذا يؤكد مرّة أخرى أنّ الزّيارة فعل اجتماعي جامع وموّحد، وصانع لهويّة جمعية عابرة للحدود الجغرافية.

وفقا لمفهوم بنديكت أندرسن Benedict Richard O'Gorman Anderson(٢٦ أغسطس ١٩٣٦- ، متخصّص بالدّراسات الآسيوية في جامعة كورنيل، وهو مؤرخ وأستاذ في العلوم السياسية، من أهم أفكاره بحثه في مسألة القومية، وقد صدر له كتاب «متخيّل المجتمعات» سنة ١٩٨٣، الّذي تحدّث فيه عن أصول القومية، الّتي يرى أنّها وليدة العصر الحديث، ومفهوم الأمّة عنده يتلّخص في أربع خصائص أساسية، هي: متخيّلة، ومحدودة، وذات سيادة، ومجتمع..) للقومية الجماعية فإنّ زيارة الأربعين تُنتجُ جماعة دينيّة/ ثقافيّة، يتخيّل أعضاؤها أنّهم جزء من كيان جماعي واحد، رغم أنّهم قد لا يعرفون بعضهم البعض بصفة شخصيّة، وهذا يُسهم بصورة مباشرة في بناء هوية جماعية رمزية متماسكة تتجاوز الزّمكان. فيتحوّل الزّائر إثر هذا الفعل الطّقسي الجماعيّ إلى فاعل مقدّس، خصوصا وأنّ مشاركته في مواكب الخدمة تمنحه مكانة معنوية، ويُنظرُ إليه من الجماعة كجزء فعّال، حيث يكسب احتراما اجتماعيا. وانطلاقا من هذه التّفاعلات الإيجابية بين الجماعة على اختلاف وظائفهم كما أشرنا سابقا، يتحوّل فعل الزّيارة من فعل دينيّ بحت إلى لحظة اندماج جماعيّ عميق، تجّدد فيها الجماعة انتماءها وتعيد تأكيد هوّيتها، وتقوم بتجسيد قيمها في الفعل الجماعيّ الحيّ.

تداعيات طويلة المدى: إمكانية تحويل الزّيارة إلى نموذج عالمي له تأثيراته النفسية والاجتماعية.

ذكرنا سابقا تأثير الزّيارة في نفوس المشاركين سواء كان هذا التّأثير على المستوى النّفسي الفرديّ أو على المستوى الاجتماعي الجمعي، ولهذا نفترض بداية إمكانية تحويل هذا الفعل الطّقسي إلى نموذج عالمي يُحتذى به، ويمكن السّير على خطاه في مجتمعات أخرى وثقافات أخرى أو في مناسبات جماهيرية أخرى مثل الحركات الاحتجاجية أو مسيرات حقوق الإنسان مثلا.

من المهم جدا التّعامل مع طقس الزّيارة على اعتباره طقسا مفارقا للزّمان والمكان ومختلفا كلّ الاختلاف عن باقي الطّقوس الأخرى لما يحمله من تداعيات اجتماعية ونفسية وسياسية وثقافية ورمزية، خصوصا الرّموز الإعلائية الّتي تسعى لاستعادة ما هو ضائع حسب جيلبار دوران Gilbert Durand، الّذي يسمها بالرّموز التّعويضيّة باعتبار أنّ كلّ فعل إعلاء يُسعى به عادة إلى إعادة اكتساب ما هو ضائع، فالإعلاء حركة مأتاها عدم رضا الضّمير المنتج للصّورة عن وضعه في كلّ الأديان، ممّا يجعل تلك الصّورة المنتجة وسيلة مناسبة لاستعادة المكانة الضّائعة (Paris, 1987, p66.) وهذه الرّموز الّتي تعطي مكانة خاصّة لكربلاء ولتاريخ مقتل الحسين يمكن أن تتحوّل إلى رموز عالمية خاصّة بالحسين إذا ذُكر، أي تصبح ملازمة للحسين في الذّاكرة الإنسانية، كأن نقول مثلا «هولوكوست» هي كلمة ترمز إلى الإبادة النّازية لليهود والّتي تحوّلت فيما بعد إلى كلمة يُرمز بها إلى رفض الإبادة الجماعية والقتل والاضطهاد للفئات المستضعفة وللإنسان عموما، ولهذا نجد هذه الكلمة مثلا تُستخدم الآن كثيرا كرفض لما يمارسه الكيان الصّهيوني ضدّ غزّة وفلسطين المحتلّة.

من هذا المنطلق قلنا أنّه من اليسير تحويل طقس الزّيارة إلى نموذج عالميّ كونيّ لأنّه في نهاية المطاف هو طقس لإعادة تمثيل أو إعادة عيش ما عاشه الحسين وأهله من مظلمة وإبادة منظّمة في العاشر من محرّم سنة ٦١ هجري الموافق لـ٦٨٠ ميلادي بأرض كربلاء، هو حدث فاصل في تاريخ الإنسانية ومن البديهيّ أن يكون له سيط كونيّ أن يصبح رمزا كونيا للمقاومة ولرفض الظلم وأنظمته وحكّامه، وهذا قد يصبح يسيرا عبر جملة من الحلول الّتي قد تجعل الزّيارة نموذجا إنسانيا كونيا، مثلا كأن تتّم إعادة تأطير الزّيارة ضمن خطاب إنسانيّ شمولي، أي ان لا يُقدَم هذا الطّقس كطقس طائفي، بل كنموذج للتّكافل الإنسانيّ المجاني، ومساحة لإعادة بناء الإنسان من الدّاخل، كما أن يُقدّم كتجربة للسّلام والرّحمة الجماعية، ثمّ الحلّ الثّاني أو المقترح الثّاني، هو أن تُبنى سردية رمزية كونية كما أشرنا سابقا للهولوكوست مثلا، أو المسيح مثلا الّذي يرمز عالميا إلى التّسامح والفداء والتّضحية، كذلك على الحسين أن يكون رمزا عالميا للثّورة على الظّلم، ورمزا للحبّ الفاعل والمقاومة.

يمكن كذلك بالحديث عن تحويل طقس الزّيارة إلى نموذج كونيّ، أن نتحدّث عن مسألة تدويل التّجربة عبر النّخب الثّقافية والإعلامية أي إشراك مفكّرين عالميين، وفلاسفة، وأطبّاء نفسيين، كتّاب، ومخرجين في قراءة الظّاهر وتحليلها، أو عبر إنتاج أفلام عالمية أو ندوات ومنصات رقمية تتناول الزّيارة من زوايا فكرية وثقافية شموليّة بعيدا عن التّناول أو التّعامل التّقليديّ مع هذا الحدث. يمكن كذلك إدماج أبعاد حقوق الإنسان والسّلام في هذا الحدث عبر الرّبط بين الزّيارة ومفاهيم مقاومة القمع، وحماية الكرامة الإنسانية، وحفظ الذّاكرة الجماعية، فهذه التّفاعلات بين الجانب الحقوقي وطقس الزّيارة المحلي، محليّ بمعنى أنّه جامع لفئة المسلمين فقط، تضفي بعدا كونيا شموليا لطقس الزّيارة وعبره يتحوّل حدث استشهاد الحسين

ومسألة خروجه، مسألة دفاع عن النّفس وعن الكرامة الإنسانية، وهي أيضا مسألة إثبات شرعية وجودية، في ظلّ وجود أنظمة ظالمة تسعى إلى تغيير المعنى الحقيقيّ للوجود الإنساني، كما تسعى إلى نشر الظّلم والقهر، في مقابل قتل أو وأد معاني الحقّ، والخير، والأمان، والمقاومة. ثمّ وفي هذه المحاولات الّتي نسعى من خلالها إلى تحويل الزّيارة إلى نموذج عالمي، لا ننسى الدّور المهمّ والفعّال للمرأة لأنّ الكثير من النّساء الزّائرات لديهنّ قصص تحرّر ذاتي ملهمة يجب التّعامل معها كأمثلة إنسانية شاملة يمكن أن تكون دافعا لتغيير الفكر النّسوي وتحديد دور المرأة وفاعليتها في هذه التّظاهرات وفي تشكيل الوعي الجمعي وتغيير الوعي الثّقافي بالظّواهر والمقدّسات والقيم الإنسانية، ونأخذ زينب كمثال.

يمكن أيضا ان نتحدّث عن تداعيات طويلة المدى لحدث الزّيارة، والّتي يمكن تقديمها كنموذج بديل للحداثة الرّوحية، أي أن تصبح الزّيارة نموذجا لإعادة التّوازن بين الرّوح والمادّة، بين الفرد والجماعة، وهذا ما تفتقده مجتمعات الحداثة الغربية، أي أنّهم أحوج المجتمعات إلى الاقتداء بهذه الظّواهر الرّوحية الّتي ستساعدهم في الحصول على السّلام الدّاخلي والتّصالح النّفسي مع ذواتهم، كما تمنحهم فرصة لإعادة هندسة علاقتهم مه المقدّس للتّخلّص من الوحدة والقلق والاكتئاب.

إنّ تحويل زيارة الأربعين إلى نموذج عالمي لا يعني طمس بعدها الدّيني، بل نعني بالعالمية هنا توسيع رمزيتها نحو آفاق إنسانية شاملة، لأنّها ليست مجرّد مشي نحو كربلاء، بل هي رحلة داخل الذّات والآخر، نحو عالم ممكن يقوم على العدالة، والتّضامن، والمعنى.

الخاتمة

نختم القول بأنّ الحسين بن عليّ بطل ملحمة وجودية خرج لينال الشّهادة الّتي أُمر بها منذ لحظة ولادته، وبالرّغم من أنّ معركة كربلاء انتهت بمقتله والتّمثيل بجثّته إلاّ أنّه تمّ اسناد كلّ خصائص التّفوّق الدّيني، والسّياسيّ، والرّمزيّ لها وكان ذلك عبر التّذكير بموقعة الطّف، والزّيارة، وهي موضوعنا الرئيسيّ في هذا السّياق، الّتي تمثّل ظاهرة مختلفة يجتمع فيها الملايين من النّاس الّذين خرجوا في مسيرة نحو كربلاء لزيارته والتّذكير بهذه المأساة الّتي لم تمحى آثارها بعد من نفوس المسلمين الّذين يعيشون نفس الألم إلى اليوم في كلّ عاشر من محرّم، أين تصبح الزّيارة مناسبة للتأكيد على منزلة الحسين كنموذج للشّجاعة والإقدام وهي الصّفات الّتي وصف الله بها انبياءه، في قوله تعالى «وكأيّنْ من نَبيّ قُتلَ معَهُ رِبيّونَ كثيرٌ فما وهنُوا لمَا أصابهُمْ في سبيلِ اللهِ وما ضعُفُوا وما استكانُوا واللهُ يُحِبُ الصّابِرينَ» (آل عمران/ ١٤٦)، فبالحسين تقترن أفكار وقصص وأخبار تخبر أنّه لم يكن عاديا منذ ولادته، تبيّن أيضا أنّه شخصية حاملة لرسالة إنسانية، وهو أيضا كما قال عنه عليّ شريعتي «هذا الرّجل على مدى تاريخ الإنسان وارث لميراث عظيم هو ميراث النبوّة» (شريعتي عليّ، ، بيروت،ص١٢٦، ٢٠٠٤).

يقول الحسين في عاشوراء «إنّي لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظّالمين إلاّ برما» (المجلسي محمد، ص ٣٨١) وهذه الجملة وحدها كفيلة بأن تؤسس لثقافة فدائية يلتزم بها المسلمين من بعده، بل وكلّ البشر أيضا، فالحسين قال قوله هذا ليكون منهاجا يسير عليه اللاحقون أصحاب القوّة، والبأس الشّديد، الّذين يعلون كلمة الحقّ، ولا يرضون بالظّلم، فالإنسان يتلقى وجوده بالولادة وماهيته بالاختيار، ولا توجد طريقة مثلى لإثبات ماهية الفرد أكثر من اختيار السّير على خطى الحسين وتبنّي مبادئه، إذ أنّ التّجربة الوجودية الّتي

خاضها الحسين، هي تجربة لها رهان مركزيّ يتمثّل في استعادة الذّات الإسلامية فعلها الاجتماعي، عبر التقيّد بالنّماذج المثالية (عليّ والحسين عليهما السلام مثلا)، ليصبح هذا النّموذج محرّكا اجتماعيا ونفسيا، وباعثا على تغيير الذّهنية الإسلامية، بعيدا عن التّقليد الّذي يضعف دور الذّات في مجتمعها ويفقدها وجودها ولذلك كان الطّرح النّفسي والاجتماعي لثورة الحسين قائما على أساس على الدّعوة إلى تبنّي مبادئ العدالة، والحقّ، والحرية، والتّعاوّن، وهي مبادئ الرّسالات السّماوية والأنبياء، وهي أيضا مبادئ الصّالحين والأئمة من بعدهم.

استبيان حول الآثار الاجتماعية والنفسية لزيارة الأربعين

المعلومات العامّة:

- العمر: ٢٩ سنة.
- الجنس: ذكر ( ) أنثى ( ).
- الحالة الاجتماعية: أعزب/ عزباء ( )متزوج/ ة. ( )
- المستوى التعليمي: ابتدائي ( ) متوسط ( ) ثانوي ( ) جامعي ( ) دراسات عليا ( )
- عدد مرات المشاركة في الزيارة: أول مرة ( ) ٢-٣ مرات ( ) أكثر من ٣ مرات ( )

المحور الأول - الآثار النفسية للزيارة:

- أشعر بالسكينة والطمأنينة أثناء الزيارة:موافق بشدة ( ) موافق( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أشعر بتحسن في حالتي النفسية بعد أداء الزيارة: موافق بشدة( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أعتبر الزيارة فرصة للتأمل والتخلص من الضغوط اليومية: موافق بشدة( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق( ).

- أواجه مشاعر حزن وتأثر عميق أثناء الزيارة بسبب الطابع العاطفي للحدث: دائمًا( ) أحيانًا ( ) نادرًا( ) أبدًا( ).
- زيارة الأربعين ساعدتني على تقوية الإيمان والصبر في حياتي اليومية:موافق بشدة( )موافق( ) محايد( )غير موافق( ).

المحور الثاني - الآثار الاجتماعية للزيارة:

- ألاحظ روح التعاون والمساعدة المتبادلة بين الزائرين:دائمًا( ) أحيانًا ( ) نادرًا ( ) أبدًا ( ).
- المشاركة في الزيارة تقوي العلاقات الاجتماعية مع الآخرين أصدقاء، أقارب، غرباء: موافق بشدة( ) موافق( ) محايد( ) غير موافق( ).
- التفاعل مع الناس من مختلف الجنسيات والثقافات خلال الزيارة يعزز من التسامح والانفتاح: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- المشاركة في خدمة الزائرين مثل التبرع أو المبيت أو الطعام تعزز لدي روح العمل التطوعي.: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أرى أن زيارة الأربعين تمثل نموذجًا للوحدة والتلاحم الاجتماعي في المجتمع: موافق بشدة ( ) موافق ( )محايد ( ) غير موافق ( ).

ملاحظات إضافية :

هذا الحوار أجريته مع صديقة لي كانت من بين الخدم الّذين يقومون بخدمة الزّوّار على الطّريق نحو كربلاء، والّتي حدّثتني عن تجربتها مع الخدمة، رغم قصرها، إلاّ أنّها كانت تتحدّث بكلّ فخر وكلّ اعتزاز بنفسها لأنّها تقوم بهذا العمل طواعية وبكلّ حبّ، رغبة في رضاء الله ونبيّه وآل بيته. وهي أحيانا لا تجد وقتا لتزور الحسين أو العبّاس ولكن رغم ذلك تقول أنّها تشعر بالامتنان لأنّها كانت من خدّام زوّار الحسين.

استبيان حول الآثار الاجتماعية والنفسية لزيارة الأربعين

المعلومات العامّة:

- العمر: ٤١ سنة.
- الجنس: ذكر( ) أنثى ( ).
- الحالة الاجتماعية: أعزب/ عزباء ( ) متزوج/ ة. ( ).
- المستوى التعليمي: ابتدائي ( ) متوسط ( ) ثانوي( ) جامعي( ) دراسات عليا( ).
- عدد مرات المشاركة في الزيارة: أول مرة( ) ٢-٣ مرات( ) أكثر من ٣ مرات ( ).

المحور الأول: الآثار النفسية للزيارة

- أشعر بالسكينة والطمأنينة أثناء الزيارة:. موافق بشدة( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أشعر بتحسن في حالتي النفسية بعد أداء الزيارة: موافق بشدة( )موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أعتبر الزيارة فرصة للتأمل والتخلص من الضغوط اليومية: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أواجه مشاعر حزن وتأثر عميق أثناء الزيارة بسبب الطابع العاطفي للحدث: دائمًا ( ) أحيانًا ( ) نادرًا( ) أبدًا( ).
- زيارة الأربعين ساعدتني على تقوية الإيمان والصبر في حياتي اليومية: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).

المحور الثاني: الآثار الاجتماعية للزيارة

- ألاحظ روح التعاون والمساعدة المتبادلة بين الزائرين: دائمًا ( )أحيانًا ( ) نادرًا ( ) أبدًا ( ).
- المشاركة في الزيارة تقوي العلاقات الاجتماعية مع الآخرين أصدقاء، أقارب، غرباء: موافق بشدة( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- التفاعل مع الناس من مختلف الجنسيات والثقافات خلال الزيارة يعزز من التسامح والانفتاح: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- المشاركة في خدمة الزائرين مثل التبرع أو المبيت أو الطعام تعزز لدي روح العمل التطوعي.: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( )غير موافق ( ).
- أرى أن زيارة الأربعين تمثل نموذجًا للوحدة والتلاحم الاجتماعي في المجتمع: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).

ملاحظات إضافية :

في هذا الحوار تساءلت فقط عن التّأثير النّفسي للمشاركة في الزّيارة خصوصا وأنّ الرّجل يمشي زيارة لأكثر من عشرين سنة، وهذا لا يعني اغفالي للجوانب الأخرى إنّما ركّزت على الجانب النّفسي لأنّه الأهم في هذه الحالة، ولهذا أردت أن أعرف ماذا تغيّر في نفسه منذ أوّل تجربة حتى آخر مرّة، فكان الجواب أنّه يشعر بعمق التّجربة وتأثيرها في نفس سنة بعد سنة، وفي كلّ مرة يزداد شعوره بقوة الانتماء إلى هذه الجماعة، ويشعر بفخر الانتماء لها وبحبّه الشّديد لآل البيت الّذي يزداد ويتعمّق أكثر فأكثر.

استبيان حول الآثار الاجتماعية والنفسية لزيارة الأربعين

المعلومات العامّة:

- العمر: ٤٧ سنة.
- الجنس: ذكر( ) أنثى ( ).
- الحالة الاجتماعية: أعزب/ عزباء ( ) متزوج/ ة.( ).
- المستوى التعليمي: ابتدائي( ) متوسط( ) ثانوي( ) جامعي( ) دراسات عليا( ).
- عدد مرات المشاركة في الزيارة : أول مرة( ) ٢-٣ مرات( ) أكثر من ٣ مرات ( ).

المحور الأول - الآثار النفسية للزيارة:

- أشعر بالسكينة والطمأنينة أثناء الزيارة:. موافق بشدة ( ) موافق( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أشعر بتحسن في حالتي النفسية بعد أداء الزيارة: موافق بشدة( ) موافق ( ) محايد( ) غير موافق( ).
- أعتبر الزيارة فرصة للتأمل والتخلص من الضغوط اليومية: موافق بشدة( ) موافق( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أواجه مشاعر حزن وتأثر عميق أثناء الزيارة بسبب الطابع العاطفي للحدث: دائمًا( ) أحيانًا ( ) نادرًا( ) أبدًا( ).
- زيارة الأربعين ساعدتني على تقوية الإيمان والصبر في حياتي اليومية: موافق بشدة( ) موافق( ) محايد( ) غير موافق( ).

المحور الثاني: الآثار الاجتماعية للزيارة

- ألاحظ روح التعاون والمساعدة المتبادلة بين الزائرين: دائمًا( ) أحيانًا( ) نادرًا( ) أبدًا( ).
- المشاركة في الزيارة تقوي العلاقات الاجتماعية مع الآخرين أصدقاء، أقارب، غرباء: موافق بشدة( ) موافق( ) محايد( ) غير موافق ( ).
- التفاعل مع الناس من مختلف الجنسيات والثقافات خلال الزيارة يعزز من التسامح والانفتاح: موافق بشدة( ) موافق( ) محايد( )غير موافق( ).
- المشاركة في خدمة الزائرين مثل التبرع أو المبيت أو الطعام تعزز لدي روح العمل التطوعي.: موافق بشدة( ) موافق( ) محايد( ) غير موافق( ).
- أرى أن زيارة الأربعين تمثل نموذجًا للوحدة والتلاحم الاجتماعي في المجتمع: موافق بشدة( ) موافق( ) محايد( ) غير موافق( ).

ملاحظات إضافية:

هذا الحوار كان شيّقا للغاية، فقد حدّثني الرّجل عن تجربته الّتي انطلقت منذ أن كان بعمر الـ١٩، وقد كان في البداية ممنوعا من الزّيارة بسبب الحكم السّابق في العراق حيث كان يتسّلل ليلا خلسة مع أصدقائه، فيسلكون سبلا وعرة وأطول بغية الوصول إلى مرقد الإمام وتأدية واجب الزّيارة، فبالرّغم من القمع والتهديد بالسّجن إلاّ أنّ لم يتراجع وكان حاضرا كلّ سنة في الزّيارة، وكان جاهزا لخدمة الزّوّار على اختلاف عقائدهم وأطيافهم، بل قال أنّه من بين الزّوّار كان هناك سنة وكانوا يعاملونهم بكلّ حبّ وموّدة لأنّهم ضيوف ابن بنت رسول الله، ثمّ قال أنّ كلّ الخدم بنفس العقلية وكلّهم في خدمة الحسين عليه السلام.

المراجع

الكتب:

- الحيدري (إبراهيم)، تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشّيعي، ط١ ، دار السّاقي، العراق، ١٩٩٩، ص ١٣٣.
- شريعتي (عليّ)، الحسين وارث آدم، ترجمة ودراسة وتعليق ابراهيم دسوقي شتا، ط١، دار الأمير، بيروت، ٢٠٠٤.
- العقّاد (عبّاس محمود)، أبو الشّهداء الحسين بن عليّ، تحقيق جاسم السّاعدي، المجمّع العالمي للتّقريب بين المذاهب الإسلامية، ط١، طهران، ٢٠٠٤.
- المجلسي (محمد باقر)، بحار الأنوار الجامعة لدرّ أخبار الأئمة الأطهار، نسخة الكترونية من اعداد مجمد آل البيت ﷺ على الموقع التّالي:www.ahl-ul-bait.org، بتاريخ ١٠/ ٠٦/ ٢٠٢٥.

المقالات:

- الأسدي (أطياف على كاظم)، آثار زيارة وارث، وقائع المؤتمر العلمي «الإمام الحسين ﷺ وريث الأنبياء وسليل الأوصياء، المجلّد الرّابع، ص ١٣٣، بتاريخ ٢٥-٠٢-٢٠٢٥.
- وهيبي (وفاء)، الحسين وأنطولوجية وراثة المعنى، مقال ضمة وقائع المؤتمر العلمي « الإمام الحسين ﷺ وارث الأنبياء وسليل الأوصياء، المجلّد الرّابع، ص ٢٦، بتاريخ ٢٥-٠٢-٢٠٢٥.

الكتب غير العربية:

1. Durand (Gilbert), les structures anthropologiques de l’imaginaire: introduction a l’archétypologie générale, 10émr édition, Paris, 1987.
2. Wayne (Husted), « karbalà » made Immediately : The Martyr as Model in Imàmi shi ism », in M.W. n°384-3/, juillet-octobre 1993, pp 263278-.

الشعائر الحسينية في الهند والعراق
دراسة مقارنة في ضوء الالواح الفنية

الباحث
عدي حياوي كشكول الشباني
ohiyawikashkool@gmail.com
وزارة الثقافة والسياحة والآثار – العراق
٠٧٨٠٩٨٤٢٨٢٣

الخلاصة

يتناول البحث دراسة مقارنة لمظاهر إحياء الشعائر الحسينية للإمام الحسين عليه السلام في احدى دولة شرق آسيا وهي دولة «الهند» مقارنةً بالشعائر القائمة في العراق، وذلك من خلال تحليل فني وآثاري لعدد من الألواح الفنية التي توثق هذه الممارسات الدينية، والتي تعكس التنوّع والتعبير الثقافي والديني في المجتمعات الإسلامية الشرقية رغم اختلاف أشكالها الظاهرية إلا انها تتفق في جوهرها مع ما يُقام في العراق للشعائر من حيث التعبير عن الحزن والولاء، كما تُبرز الألواح الفنية المشتركات البصرية مثل الرموز الدينية، والألوان، والعناصر الزخرفية، مما يدل على وحدة الهدف واختلاف الوسائل التعبيرية بين الثقافات، وكانت دراستنا مكون من اربعة مباحث اشتمل الاول منها التعريف اللغوي والاصطلاحي لكلمة الشعائر والمبحث الثاني عن اصل شيعة الهند، اما المبحث الثالث تخصص بدراسة وصفية لعدد من النماذج المصورة، بينما اختص المبحث الثالث الدراسة التحليلية والمقارنة بالطقوس القائمة في العراق.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الشعائر، شيعة الهند، الدراسة الوصفية، الدراسة التحليلية، المقارنة.

Husayni Rituals in India and Iraq
A Comparative Study in Light of Artistic Panels

odai Hayawi Kashkool Al-Shabani
Ministry of Culture, Tourism and Antiquities – Iraq

Abstract

The research deals with a comparative study of the manifestations of reviving the Husseini rituals of Imam Hussein (peace be upon him) in one of the East Asian countries, namely “India”, compared to the existing rituals in Iraq. This is done through an artistic and archaeological analysis of a number of artistic panels that document these religious practices, which reflect the diversity and cultural and religious expression in Eastern Islamic societies. Despite the differences in their apparent forms, they are essentially consistent with the rituals performed in Iraq in terms of expressing grief and loyalty. The artistic panels also highlight visual commonalities such as religious symbols, colors, and decorative elements, which indicates the unity of purpose and the difference in expressive means between cultures. Our study consisted of four chapters. The first included the linguistic and technical definition of the word rituals. The second chapter dealt with the origin of the Shiites of India. The third chapter was devoted to a descriptive study of a number of pictorial models, while the third chapter was devoted to an analytical and comparative study of the existing rituals in Iraq.

Keywords: Rituals, Indian Shia, descriptive study, analytical study, comparison.

المقدمة

تُعد الشعائر الحسينية من أبرز مظاهر التعبير الديني والثقافي التي تُمارَس سنويًا لإحياء ذكرى واقعة كربلاء واستذكار تضحيات الإمام الحسين وأهل بيته واصحابه ﷺ، وقد اتخذت هذه الشعائر على مرّ العصور، أشكالًا متنوّعة تتلائم مع البيئات الاجتماعية والثقافية التي تُقام فيها ويُلاحظ أن دولة الهند احتضنت منذ قرون تيارات شيعية ساهمت في ترسيخ هذه الشعائر ضمن طقوس دينية وأبعاد فنية متميزة، وسيسلط الضوء هذا البحث على الشعائر في شرق آسيا من خلال قراءة مقارنة في الألواح الفنية التي وثّقت مظاهر هذه الشعائر عبر القرون، مثل مواكب العزاء وتمثيلات كربلاء، والمجالس الحسينية.

أهمية الدراسة:

يقدم أهمية هذا البحث من دوره في توثيق وتحليل التقاليد الدينية الخاصة بالشعائر المقامة خارج الحدود الجغرافية للعالم العربي للمجتمعات الإسلامية في بلاد الهند التي تمثل هذه الشعائر جزءًا من هويتها الثقافية، كما أن دراسة الألواح الفنية تتيح فرصة فريدة لفهم كيفية تصوير هذه الطقوس وانتشارها في تلك المناطق عبر العصور المختلفة، كما تسهم هذه الدراسة أيضاً في تسليط الضوء على التداخل بين الفن والعقيدة الدينية، ودور الفن كوسيلة توثيقية تعكس التأثير الروحي والاجتماعي للممارسات الدينية.

المبحث الاول

مفهوم الشعائر الحسينية (الشعائر لغة واصطلاحاً)

أولاً: الشعائر لغةً:

وردت في القرآن الكريم كلمة «الشعائر» في عدة مواضع، وقد حظيت بعناية خاصة لما تحمله من دلالة عظيمة على معالم الدين وأركان العبادة التي شرعها الله ﷻ لعباده وجعلها وسيلة لتقوية الإيمان وترسيخ التقوى في القلوب ومن أبرز الآيات التي ورد فيها ذكرها كقوله تعالى:بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(سورة الحج، آية ٣٢) وفي هذه الآية الكريمة إشارة واضحة إلى أن تعظيم شعائر الله من علامات التقوى، وأن احترامها والاهتمام بها نابع من خشية الله ومحبته، فالشعائر هي رموز الدين ومظاهره التي أمر الله بتعظيمها كالهدي، والمشاعر المقدسة، وغيرها.

وقوله تعالى:﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(سورة البقرة، آية ١٥٨) وفي هذه الآية تأكيد على أن السعي بين الصفا والمروة هو من الشعائر التي شرعها الله، وهي من مظاهر الطاعة التي يتقرب بها المسلم إلى ربه، وقد كانت هذه الآية بياناً لرفع الحرج عن المسلمين الذين ظنوا أن السعي بين الجبلين من بقايا الجاهلية، فبين الله أن ذلك من شعائره، وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾(سورة المائدة، آية ٢) وهنا ينهى الله تعالى المؤمنين عن انتهاك حرمة الشعائر التي أمر بتعظيمها، ومنها مناسك الحج، والهدي، والحرم، والشهور الحرم، وهذا

النهي يحمل في طياته تعظيماً لكل ما جعله الله من شعائره، وتحذيراً من التهاون بها أو التقليل من شأنها، اما في قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(سورة الحج، آية ٣٦)،وفي هذه الآية بيان لأحد أنواع الشعائر وهي الأنعام التي تُهدى إلى الحرم وتذبح تقرباً إلى الله، وقد جعل الله فيها خيراً كثيراً، سواء من حيث الأجر والثواب، أو من حيث الإطعام والتكافل، وجعل التسمية عليها وإراقة دمها في مواضع محددة من أعظم القربات، لما فيها من تعظيم لله وشكره على نعمه، وبذلك، فإن الشعائر تشمل كل ما أوجبه الله أو ندب إليه من أعمال ظاهرة لها طابع تعبدي ومعنوي، وهي علامات فارقة في حياة المسلم، تشحن القلب بالإيمان، وتُظهر انقياد العبد لربه، وكلمة «الشعائر» جمع شعيرة، وهي مأخوذة من الجذر (ش ع ر)، وهو الإعلام على الشيء(الواحدي، ١٤٣٠ هـ، ج. ١، ص. ٣٣٢) جاء في لسان العرب لابن منظور الشعيرة العلامة وهي كل ما جُعل عَلَماً لطاعة الله من الصلاة والصيام والحج ونحوها، فهو شعيرة، وجمعها شعائر(ابن منظور، ١٤٠٥ هـ، ج. ٤، ص. ٤١٤)، وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس الشِّعْرُ والشُّعُورُ يدلّ على العلم بالشيء، ومنه الشعار والشعيرة، لأنها مما يُعلَم به ويُشعَر(ابن فارس، ١٤٠٥ هـ، ج. ٣، ص. ١٩٤).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

ثانياً: الشعائر اصطلاحاً:

اصطلاحًا تُطلق «الشعائر» على العلامات الظاهرة التي تُمارس تعظيمًا لله ﷻ أو تعبيرًا عن الالتزام الديني، وهي تشمل ما شرّعه الله من عبادات، وكذلك ما يدلّ على طاعته وخشيته، ومن ذلك شعائر الحج، والأذان، والصلاة، والعبادات هي الشعائر الدينية(صليبا، ١٩٨٢، ج. ٢، ص. ٥١) بل وحتى الشعائر المرتبطة بالولاء لأهل البيت ﷺ عند الشيعة، مثل إحياء ذكرى عاشوراء والزيارة الأربعينية، قال العلامة الطبطبائي في تفسير الميزان :»الشعائر: جمع شعيرة، وهي العلامة التي تدلّ على ما يُراد تعظيمه في الدين، وهي تشمل كل ما يُقصد به التعبير عن تعظيم أمر من أمور الله تعالى(الطباطبائي، ١٤١٢ هـ، ج. ٥، ص. ١٦٢)، وجاءت الشعيرة أيضا: البدنة التي تهدى إلى بيت الله، وجمعت على الشعائر. تقول: قد أَشْعَرْتُ هذه البدنة لله نسكا، أي: جعلتها شعيرة تهدى(الفراهيدي، ١٤٠٩ هـ، ج. ١، ص. ٢٥١)، لذلك نجد أن «الشعائر» لغويًا تدل على العلامات الظاهرة التي يُشعَر بها ويُعلَم بها شيءٌ ما، واصطلاحًا تُطلق على كل ما يُعظَّم لأجل الله ويشير إلى أمر ديني أو طاعة، فإن قول الإمام علي ﷺ بقوله: «نحن الشعائر...» (الأصفهاني، بدون سنة، ج. ٢، ص. ٢٩٠) يحمل دلالة عميقة جدًا، فإن هذا القول يُشير إلى أن أهل البيت ﷺ هم المظهر الحي والمعلم الدائم للدين، فهم اعلام الدين لأن وجودهم، وسيرتهم، وكلامهم، وتضحياتهم، كلها تدلّ على الله وتعظيم أمره، وكما أن الصفا والمروة، والهدي، والصلاة، هي شعائر تُمارَس لتعظيم الله فإن ذكر أهل البيت، زيارتهم، إحياء أمرهم، والبكاء على مظلوميتهم، كلّها شعائر دينية لأنها تعبير عن الولاء لله من خلال أوليائه.

يتضح من استقراء التعريفات اللغوية والاصطلاحية أن الشعائر هي كل ما يظهر من أفعال أو أقوال يقصد بها تعظيم شعائر الدين وتذكير الناس بعظمة الله أو بمقامات أوليائه، وهي في جوهرها مرتبطة بعاطفة دينية صادقة تعبّر عن تقوى القلوب، كما نص القرآن الكريم ولا تقتصر على الأعمال العبادية فحسب، بل تشمل أيضاً الرموز الدينية والاجتماعية التي تمثل هوية الأمة وذاكرتها التاريخية، وفي السياق الشيعي، تبرز الشعائر الحسينية كصورة حية للتفاعل بين الوجدان الديني والموروث الثقافي، حيث تحولت إلى وسيلة للتعبير عن الولاء والرفض للظلم، مما يجعلها مكونًا أساسيًا في بناء الوعي الجماعي والتربوي لدى المجتمع، فالشعائر ليست طقوسًا جامدة، بل حيوية نابضة، تعكس القيم والمعاني الروحية والتاريخية للمعتقد، وتُجدد الرابط بين الإنسان ودينه عبر الأجيال.

وأخذ كل فرد يُحيي طقوسه الخاصة للتقرب إلى الله ﷻ، مستلهمًا من الشعائر إطارًا روحانيًا يُعبّر فيه عن إيمانه العميق وانتمائه العقائدي، سواء من خلال البكاء، أو اللطم، أو إقامة المجالس، أو المشي في المسيرات، أو غيرها من الوسائل التي تنبع من محبة صادقة لأهل البيت ﷺ ورفضٍ للظلم والجور، وهكذا تصبح الشعائر الحسينية مجالًا مفتوحًا لتجليات التقوى والصدق، تُمارس بأساليب متعددة تعكس خصوصية كل مجتمع، لكنها تلتقي جميعها في غاية واحدة وهو تعظيم أمر الله تعالى وتجديد البيعة لأوليائه وبثّ روح الإحياء المستمر لقيم الحق والعدل والإصلاح في النفوس والمجتمعات.

اما فيما يخص بداية اول عزاء او مأتم اقيم على الامام الحسين ﷺ هو النبي الاكرم ﷺ، حيث تؤكد العديد من النصوص التاريخية والروائية أن أول مجلس حداد على الإمام الحسين ﷺ أُقيم بالفعل على لسان وسلوك النبي الأكرم ﷺ، وذلك في عدّة مواقف ومناسبات عديدة كان أبرزها عند ولادة الإمام الحسين ﷺ، فقد ورد في عدد من الروايات المعتبرة أن رسول الله ﷺ أخذ ولده الحسين ﷺ الرضيع بين يديه، وذرف الدموع على وجهه، ثم اخبر ابنته فاطمة(عليها السلام) باستشهاد مولودها الحسين ﷺ على يد فئة باغية(الكوفي، ١٤١٢ هـ، ج. ٢، ص. ٢٣٤)، في أرض تسمى كربلاء، قائلاً: «يا فاطمة إن هذا ابني يُقتل مظلومًا، وإنه لفي كرب وبلاء...» (النيسابوري، بدون سنة، ج. ٣، ص. ١٧٦)، كما ورد في بعض المواقف ان رسول الاكرم ﷺ كان «ينحب» على ولده الحسين ﷺ (الأميني، ١٩٩٢، ص. ٨٩)وهذه الحادثة تعكس بما لا يقبل الشك تأصيلًا نبوياً لمأساة كربلاء وإدخالًا لمفهوم الحزن والعزاء ضمن بنية الوعي الإسلامي، كما استمر هذا النهج في إحياء ذكرى المصاب من خلال أهل البيت ﷺ بعد الحادثة الاليمة(واقعة الطف)، حيث لعبوا دورًا محوريًا في ترسيخ ثقافة الرثاء والبكاء على الامام الحسين ﷺ واهل بيته واصحابه وليس بوصفها طقوسًا شعائرية فحسب، بل كوسائل مقاومة للظلم، وإحياء للحق وحفظ للذاكرة للأمة الاسلامية وهذا ما اكدتها السيدة زينب ﷺ حينما قامت بدورها المحوري من إقامة المجالس العزائية في الكوفة ثم في قصر يزيد في الشام، بعدما ألقت خطبتها الشهيرة التي نعتت فيها أخاها الحسين ﷺ، وفضحت الجريمة التي ارتكبتها الدولة الأموية بحق أهل بيت النبوة (العاملي، ١٤٢٢ هـ، ج. ٩، ص. ٢٦٨)، وقد تبلور منذ تلك اللحظة شكل أوليّ لـ«المأتم الحسيني» الذي يجمع بين البُعد التعبيري العاطفي

والبُعد الإصلاحي السياسي، وحتى تطوّرت هذه المجالس تدريجياً في العصور اللاحقة فكانت تُقام بشكل بسيط في البيوت والمساجد، ثم أخذت طابعاً أكثر تنظيماً ورمزياً، ففي العهد البويهي (٣٥١ هـ / ٩٦٣ م) حيث شهدت الدولة البويهية أول أشكال إحياء ذكرى عاشوراء بشكل علني ومنظّم، إذ سمح الحكام حينها بإقامة المجالس والمواكب في العراق وايران(شمس الدين، ١٩٩٦، ص. ٢٦٢)، وكان ذلك إيذاناً بانتقال العزاء من الطابع الفردي والخاص إلى الطابع الجماعي العام، ويذكر الشهرستاني في كتابه : «كانوا أوّل مَن وسّعوها وأخرجوها من دائرة النواح الضيِّقة في البيوت والمجالس الخاصّة والنوادي الهادئة وعلى قبر الإمام الشهيد عليه السلام بكربلاء ـ إلى دائرة الأسواق العَلنية والشوارع المتحرِّكة وتعويد الناس على اللّطم على الصدور»(الشهرستاني، بدون سنة، ج. ١، ص. ١٤٧).

اما في العهد الصفوي (١٥٠١م- ١٧٢٢م) فقد مورست تلك الطقوس في الساحات والشوارع في كثير من المناطق الشيعية، إذ أَولى حكام الدولة الصفوية اهتماماً كبيراً بالمآتم الحسينية، وقد شاهد الرحال الفرنسي تافرنييه سنة (١٠٨٧ه - ١٦٦٧ م) مسيرات في الشوارع أقامها سكان المدينة بتمثيل معركة كربلاء تمثيلاً حياً(هاينس، ٢٠١١، ص. ٦٠-٦٥)، وازدادت هذه المآتم الحسينية وتوسعت لتصبح أكثر انتشاراً في العهد القاجاري (١٧٧٩م - ١٩٢٥م) خاصة بعد اعطاء فتوى «ميرزا القمي»(الأمين، بدون سنة، ج. ٢، ص. ٤١١) بحلية إقامة التشابيه بشكل واسع، إذ شهدت الطقوس الحسينية تطوراً فنياً وتنظيمياً كبيراً لا سيما بعد أن أصدر المرجع الشيعي الكبير ميرزا القمي فتوى تُجيز إقامة التشابيه بشكل واسع في المدن(ظاهري،

٢٠٠٧، ص. ١١٩-١٢٠) فازدادت هذه الطقوس انتشاراً ورسوخاً في المجتمع، وأُنشئت الأماكن الخاصة لها كـ«التكيات» و«الحسينيات» وظهرت أشكال جديدة من التعبير الفني في خدمة العزاء، مثل المجالس المنظّمة والعمائر الدينية التي خُصّصت لإحياء المناسبة، وقد أدّى هذا التطوّر إلى نشوء ادوات عزائية جديدة فرضتها متطلبات الطقس الشعائري، فظهرت العديد من الوسائط التعبيرية التي تُجسّد معاني الحزن والفاجعة، مثل المجسّمات، والتشابيه، كالرايات والمشاعل وادوات الحروب وغيرها من العناصر التي أضحت تمثل بُعدًا بصريًا ووجدانيًا في إحياء ذكرى واقعة الطف وتعكس عمق الانتماء العاطفي والفكري لأهل البيت عليهم السلام ومع مرور الزمن بدأت شعائر إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام تنتشر في مناطق متفرقة من العالم متجاوزة حدود العالمين العربي والإسلامي، وبلغت دول شرق آسيا التي تشهد حضورًا شيعيًا ملحوظًا، وقد تبنّى أتباع أهل البيت عليهم السلام في تلك البلدان إحياء هذه الشعائر بأساليب متنوّعة تعكس خصوصياتهم الثقافية والاجتماعية، فامتزجت القيم الدينية بالموروث الشعبي، لتظهر طقوس العزاء ومظاهر الحزن بأشكال فنية وشعائرية مختلفة عن مثيلاتها في المناطق الأخرى وقد أسهم هذا التنوع في إثراء البعد الحضاري للشعائر الحسينية مع الحفاظ على جوهرها القائم على استذكار المأساة الكربلائية وتخليد مبادئها، وسنتناول هذا الموضوع بمزيد من التفصيل في المبحث الثاني.

المبحث الثاني

اصول اتباع اهل البيت عليهم السلام في الهند

تعد أصول التشيع في بلدان شرق آسيا، كالهند موضوعًا مثيرًا للجدل حيث تضاربت الروايات حول كيفية انتشاره في تلك المناطق، فإن هناك من يرجح ان جذور التشيع في الهند الى اواخر عهد ابي بكر حين تواجد عدد من تجار المسلمين للعمل بها والتي استمرت الهجرة اليها حتى زمن الامام علي وولده الامام الحسن عليهما السلام، وبسبب الاوضاع السياسية والدينية حال دون رجوعهم الى البلاد العربية واستقراهم بالهند(عبد الرحيم، ٢٠٢٠، ص. ١٢٥٤-١٢٥٥)، وهناك من يرى ان اصول الشيعة يرجع إلى العهد الفاطمي والبعثات الدينية التي أرسلها الفاطميون إلى جنوب آسيا(أبو داهش، ٢٠٢٢، ص. ١٥٦-١٦٦) خصوصاً التجار الذين كانوا لهم دور فاعل بالمنطقة(مشعان، ٢٠١٧، ص. ٤٨١-٤٨٢)، بينما يرى آخرون أن انتشاره تعزز مع الهجرات الفارسية والتأثيرات الصفوية خاصة في العهد المغولي(الطريحي، ٢٠٠٦، ص. ٢٢)، وقد لعبت سلالة المغول دورًا مهمًا في دعم الفكر الشيعي، وبناءً على ذلك، فإن التشيّع في الهند لا يمكن ردّه إلى أصل واحد، بل هو حصيلة لتراكم تاريخي متعدّد الأبعاد، تداخلت فيه الهجرات العربية والفارسية، والبعثات الفاطمية والتحولات السياسية في العهد المغولي، إلى جانب الدور الحيوي الذي لعبته الطرق الصوفية والمراكز العلمية الشيعية في نشر الفكر والعقيدة، مما يجعل دراسة هذه الظاهرة بحاجة إلى رؤية تحليلية شاملة تُراعي تنوّع المسارات واختلاف السياقات الزمانية والمكانية.

عندها شكّلت منطقة شرق آسيا ببلدانها المتنوعة ببيئة خصبة لانتشار الإسلام منذ القرون الأولى للهجرة عن طريق التجار والدعاة والعلماء الذين حملوا معهم القيم الروحية والتعاليم الدينية من مراكز العالم الإسلامي وفي هذا السياق لم يكن المذهب الشيعي غائبًا عن هذا الامتداد بل دخل إلى تلك البلاد ضمن عوامل سياسية(مذهبية) وذلك من خلال الظلم والاضطهاد الذي واجهه اتباع اهل البيت ﷺ من قبل الامويين والعباسيين(مغنية، ٢٠٠٠، ص. ٧٠-١٥٦)، او عبر العلاقات التجارية كما ذكرنا سلفاً، واخذت تلك الاقليات الشيعية دورًا في الحفاظ على هويتها الثقافية والمذهبية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك، ما نراه في شخصية «عمر بن حفص» وهو رجل كوفي بياع اللؤلؤ من صحابة الامام الصادق ﷺ (الخوئي، ١٩٩٢، ج. ١٤، ص. ٣٠) والذي ولاه الخليفة العباسي المنصور إمارة بلاد السند(مبارك، ٢٠٠٩، ص. ١٧٦) على الرغم من كونه من أتباع مذهب أهل البيت ﷺ، وهذا يدل على أن بعض الشخصيات الشيعية كانت تضطر إلى إخفاء هويتها المذهبية وممارسة دورها في إطار الدولة تحت ستار من «التقية»(المفيد، ١٤١٤ هـ، ص. ١٣٧) السياسية والدينية، حفاظاً على حياتها واستمراراً في خدمة قضاياها ضمن الإمكانيات المتاحة ويُذكر في المصادر التاريخية أن أول داعية من أتباع أهل البيت ﷺ وطأت قدماه أرض بلاد الهند كان في منتصف القرن الثاني الهجري وهو «عبد الله العلوي»(الحسني، ١٩٦٣، ج. ١، ص. ٢٦) الذي يُعد من أوائل الشخصيات العلوية التي حملت دعوة التشيع إلى تلك المناطق ويُشير هذا الحدث إلى بداية مرحلة جديدة من الانتشار المذهبي والثقافي لأفكار أهل البيت ﷺ خارج نطاق العالم العربي حيث مثّلت الهند آنذاك أرضاً خصبة لتقبل هذه الدعوة، خاصة في ظل التنوع الثقافي والديني الذي كانت تعرفه تلك البلاد. ويُرجّح أن عبد الله العلوي لم يكن مجرد مبعوث ديني فحسب، بل كان أيضاً يحمل رؤية فكرية وروحية هدفت إلى تأسيس نواة لمجتمع مرتبط بالقيم العلوية، متأثراً بتعاليم الإمام علي وأهل بيته، فأسهم بذلك في وضع اللبنة الأولى لحضور التشيع في الهند، ففي أعقاب اشتداد

الحملات القمعية ضد أتباع أهل البيت ﷺ في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، اضطر عدد كبير من العلويين والشيعة إلى الهجرة سرًا طلبًا للأمن الديني والسياسي ومن بين أبرز المحطات التي قصدها هي بلاد الهند حتى تمكنوا في نهاية المطاف من تأسيس الدولة البهمنية (١٣٤٧م – ١٥٢٧م) (عبد السلام، ٢٠٢٤، ص. ٨٨٣) التي اعتُبرت من أولى الكيانات السياسية الشيعية ذات الطابع المستقل في الهند، وتميزت بحكمها الذي فتح الباب واسعًا أمام أتباع المذهب الشيعي لممارسة شعائرهم ومعتقداتهم بحرية تامة وبناء الحسينيات(عبد الرحيم، ٢٠٢٠، ص. ١٢٥٦–١٢٥٧)، وقد اعطتنا مجموعة من الألواح الفنية المصورة مصدرًا بصريًا مهمًا لفهم طبيعة الحياة الدينية والثقافية للشيعة في دولة الهند، وسوف نتناول في الفصل الثالث من هذا البحث دراسة تحليلية مفصّلة لتلك الألواح والتمثيلات الفنية، من حيث مضمونها وأسلوبها الفني ودلالاتها الدينية والاجتماعية، لفهم أعمق لكيفية تجلي الشعائر في الفنون .

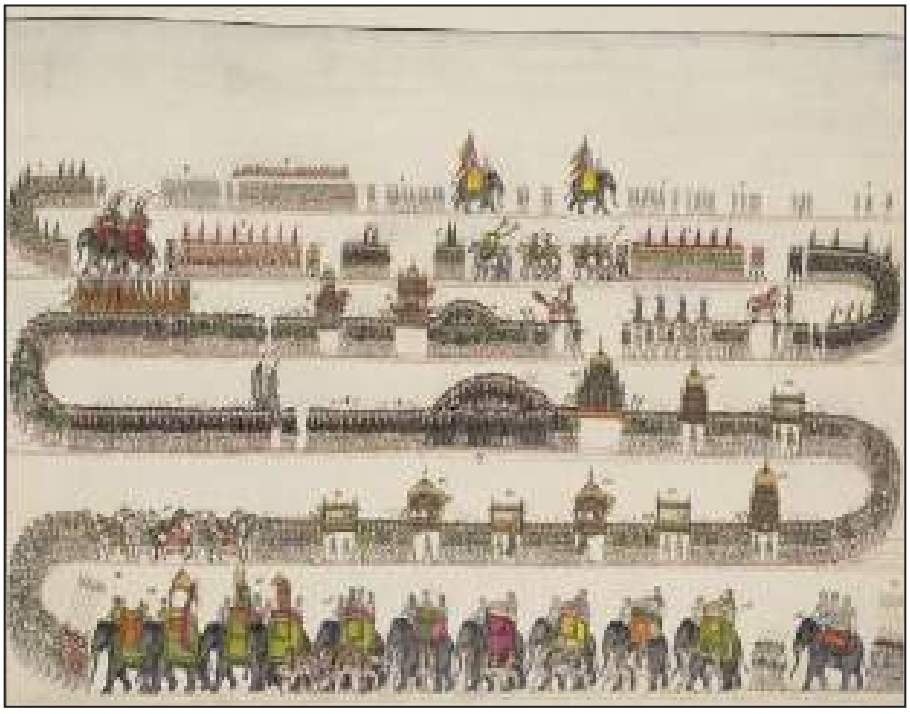

المبحث الثالث
الدراسة الوصفية

شهد القرنان الثامن عشر والتاسع عشر اهتمامًا متزايدًا من قبل المستشرقين بتوثيق المناسبات الدينية والاجتماعية في شبه القارة الهندية، وقد كانت الشعائر الحسينية من أبرز هذه المناسبات التي حظيت بتصوير بصري دقيق عبر عدد من اللوحات والرسوم الفنية. ومن خلال هذا المبحث، تمكّن الباحث من دراسة مجموعة مختارة من هذه النماذج وتحليلها تحليلًا وصفيًا فنيًا وآثاريًا، للكشف عن الرموز، والهيئات، والعناصر البصرية المستخدمة في تمثيل طقوس العزاء الحسيني في البيئة الهندية، مما يساهم في فهم أعمق لآليات التعبير الفني عن هذه الشعائر في سياقها الزماني والمكاني.

صورة رقم(١) موكب عزاء(طاهري وعلى، ١٤٠٠ هـ، ص. ١٩٥-٢١٢)

للرسام البريطاني (بابتيست جنتيلي),مكان الحفظ: متحف فكتوريا وألبرت لندن,سنة الرسم:١٧٧٢م

مشهد يصور تجمع جماهيري منتظم السير لموكب للعزاء وهو يجوب شوارع بلاد الهند في ايام محرم الحرام يسيرون بنسق واحدٍ بين راجلٍ وراكب، اتخذ هذا الصف حركة التوائية جعلت منه ستة صفوف متواصلة منطلقةً من أسفل يمين اللوحة وحتى اعلى اللوحة، علت رؤوسهم الرايات والرماح والسيوف وكذلك التماثيل المجسمة كالنعوش واضرحة الشهداء كربلاء توزع بين تلك الصفوف، توسط بين الجموع (١٥) فيلاً كبيرة يجلس عليها عدداً من الاشخاص، كما توزعت بين الصفوف عدداً من الخيول بيضاء اللون يمتطيها الاشخاص، ويبدو ان كل فرد عليه مهمة في الموكب ما بين حاملا للرايات والتي تنوعت احجامها واشكالها، بعض الاشخاص تحمل الابواق الطويلة مذهبة وهم ينفخون بها، واشخاص تحمل نماذج لأضرحة شهداء كربلاء تعلوها القباب ذات الاشكال مختلفة التصميم تعلو بعضها قباب مخروطية وبعض تكون بصلية واخرى نصف كروية، بينما اتخذت اخرى شكل اشبح بتابوت خشبي، ليأتي بعظهم يحملون رماح طويلة انتهت بكفوف معدنية تُشير الكفوف الى كفوف العباس عليه السلام التي قطعت في معركة طف كربلاء . تدلى من اسفلها شريطان من القماش باللونين الاحمر والاخضر، وانتصف الموكب تجمعاً اتخذ الهيئة الدائرة لأشخاص يرتدون اللباس الاسود وهم يقفون قلب الموكب على ما يبدو اقامة عزاء بين المجموع هذا وقد تكررت نماذج.

صورة رقم(٢) الساقي تُشير الكفوف الى كفوف العباس ﷺ التي قطعت في معركة طف كربلاء:لوحة من باتنا الهندية / تاريخ الفن : ١٨٢٦م.

مشهداً رمزياً مرتبطاً بإحياء ذكرى عاشوراء، لرجل هندي حامل القربى يسقي الماء لطفل في تقاليد بعض المجتمعات الإسلامية في شرق آسيا، حيث تُظهر شخصية «السقّاء» الذي يحمل الماء لتوزيعه على الناس وهي إشارة واضحة إلى التضحية العظيمة التي قدمها أبو الفضل العباس ﷺ في معركة كربلاء حين سعى لجلب الماء لمعسكر الإمام الحسين ﷺ، يحتل الساقي وسط المشهد مرتدياً لباساً تقليدياً مكوّناً

من سروال فضفاض وقميص طويل بألوان زاهية، يعلوه وشاح أحمر يلتف حول خصره وصدره، مما قد يرمز إلى الحزن والحداد على الواقعة الطف الاليمة، يحمل على ظهره قربة ماء كبيرة مصنوعة من الجلد ويرفع بيده الأخرى راية زرقاء مزخرفة، يقف أمامه طفلاً صغيراً يرتدي لباساً تقليدياً أبيض اللون مع حزام أحمر، وهو يمد يده وكأنه يطلب الماء منه، والمشهد يعكس بعداً إنسانياً وروحانياً عميقاً، حيث يبدو الساقي وكأنه يقدم الماء بروح التضحية والكرم، إذ يقوم بهذا العمل ابتغاءً للثواب، مستندًا إلى ما ورد من الأجر والفضل المرتبط بمثل هذه الشعائر(ابن قولوي، بدون سنة، ص. ٢١٢) والتي تُعد إحدى القيم الأساسية المرتبطة بإحياء ذكرى كربلاء.

اما الخلفية تحتوي على مشهد طبيعي يمتد حتى الأفق، مع عدد قليل من الأشجار والنخيل، ما يدل على بيئة حارة وجافة، تشبه إلى حد كبير المناطق التي شهدت انتشار الشعائر الحسينية في الهند خلال الحقبة الاستعمارية، تظهر في الأفق بعض البيوت المبنية من الطين أو الحجر، مما يعطي لمحة عن طبيعة المجتمع الذي تنتمي إليه هذه الطقوس.

صورة رقم(٣) موكب عزاء(Dehlidarvesh، ٢٠٢٠): فاراناسي، ولاية أوتار براديش

تاريخ الانتاج:(١٧٩٩- ١٨٤٠م) , الرسام : بريشة جيمس برينسيب.

تقدم هذه اللوحة مشهداً حيوياً لإحدى الشعائر الحسينية في أحد بلدان شرق آسيا الهند ولاية أوتار براديش انشأت بتاريخ ١٧٩٩- ١٨٤٠م من قبل الفنان المستشرق جيمس برينسيب حيث تتداخل العناصر البشرية والطبيعية والعمرانية لتشكل منظراً متكاملاً يعكس الأجواء الروحانية والمراسم الاحتفالية الخاصة بهذه المناسبة، إذ يتجمع عدد كبير من المشاركين الذين يرتدون ملابس ذات ألوان فاتحة ساد اللون الابيض عليها، بعضهم يحمل الرايات، بينما يقوم آخرون بعزف الطبول،مما يعكس الطابع الاحتفالي الذي يُرافق بعض هذه الطقوس في بعض

الثقافات الآسيوية، كما تظهر في الوسط هياكل رمزية مشابهة للأضرحة، تُحمل على الأكتاف أو تُوضع على منصات خشبية، وهي عناصر شائعة في طقوس التعزية، حيث يتم بناء مجسمات تحاكي مقام الإمام الحسين ﷺ تعبيراً عن الولاء له، هُيمن الطبيعة على المشهد، حيث تنتشر الأشجار العالية، وخصوصاً أشجار النخيل التي تُوحي بجغرافيا استوائية قريبة من بيئات الهند ويبدو أن المسيرة تتجه نحو قوس حجري أو بوابة ضخمة في خلفية اللوحة، مما قد يشير إلى أن هذه الطقوس تُقام قرب مزار ديني أو حسينية محلية، على يمين المشهد، يمكن رؤية مجموعة من الأشخاص على منصة مرتفعة أو شرفة منزل، يراقبون الطقوس الجارية في الأسفل، هذا التوزيع البصري للعناصر يخلق نوعًا من التوازن في التكوين الفني للوحة، حيث يترابط الفضاء العلوي والسفلي من خلال حركة المشاركين والنظرات المتبادلة.

صورة رقم(٤) موكب عزاء مرشد اباد (Map Academy. (بدون سنة). Tazia. استرجع من (https: / /mapacademy.io /article /tazia

تاريخ الرسم :(١٧٩٥ – ١٨٠٥م) , مكان محفوظ:المكتبة البريطانية , رقم الحفظ.Or.Add ٣٢٣٣

تمثل هذه اللوحة مشهداً احتفالياً دينياً ضخماً من مواكب محرم في مدينة «مرشد آباد» الهند واحدة من أبرز مظاهر التعبير الشعبي والروحي عن ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، والتي تجسدت في تقاليد عاشورائية مميزة في جنوب آسيا، يظهر في اللوحة موكب مهيب يسير على ضفاف نهر، يضم عدة مجموعات من المشاركين، منهم من يرتدي ملابس عسكرية حمراء، ومنهم من يرتدي ملابس محلية

تقليدية، ما يعكس تنوع المشاركين في هذه الطقوس، يتقدّم الموكب فيل مزيّن يرتدي حُلة زرقاء فاخرة، يحمل على ظهره تابوتاً فخماً مزخرفاً بألوان زاهية، يُمثّل أحد «التابوتات الرمزية» التي تُشيّد لتجسيد ضريح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وتتعدد التوابيت في اللوحة وتبدو بهيئات معمارية رائعة بألوان حمراء وخضراء وزرقاء، تتوّجها قبب وأبراج مزخرفة على الطراز الإسلامي والهندي معاً، مما يشير إلى مدى التقديس والاهتمام الفني في إحياء الذكرى، تنتشر هذه التعازي في صفّ طويل، وتحمل بعضها على الأكتاف بينما تجرّ أخرى على عربات، في مقدمة المشهد، يظهر رجال يحملون السيوف والدروع، ما يدل على الطابع الرمزي للجهاد والتضحية المستوحى من واقعة كربلاء وعند وسط اللوحة مجموعة من الرجال في زيّ شعبي يرتدون فقط السراويل القصيرة وهم يضربون على صدورهم وهو طقس عزائي شائع في طقوس محرم، وهناك وجود ملحوظ للأطفال والنساء على أطراف الموكب، ما يؤكد على الطابع المجتمعي والجمعي للمناسبة، وتنتشر الرايات الملوّنة واللافتات الطويلة التي ترفرف مع الرياح، في إشارة إلى رايات آل البيت عليهم السلام، واللوحة تمثل وثيقة بصرية نادرة توثّق التقاليد العاشورائية لدى المسلمين الهنود، وتُظهر مدى ارتباطهم العاطفي والروحي بكربلاء، عبر محاكاة فنية وعزائية عميقة في الفضاء العام.

صورة رقم(٥) موكب عزاء عاشوراء في تازيا ، باتنا(Mafaz.ir، بدون سنة).

تاريخ الصورة: ١٧٩٥م , مكان الحفظ: برلين , الرسام: هنرمند ناش.

تُصوّر هذه اللوحة الفنية مشهدًا ليليًا لموكب عزاء يُقام في أحد أحياء المدن الهندية خلال شهر محرم، وتحديدًا في مناسبة عاشوراء أو الأربعين، ويبدو في مقدمة اللوحة جمع غفير من الرجال وهم يسيرون في صفوف منتظمة، مرتدين ملابس تقليدية بيضاء تغطيها أحيانًا أوشحة سوداء أو خضراء، في دلالة رمزية على الحداد والولاء لأهل البيت عليهم السلام ويتّضح من المشهد أن الموكب يجري في أجواء ليلية، تضيئها المشاعل المرفوعة فوق رؤوس المشيعين، وقد رسمها الفنان وهي مشتعلة بالنار، فتعكس جوًا مهيبًا من الحزن والهيبة الروحية وتُبرز أثر الشعائر حتى في الظلمة.

في منتصف المشهد وخلف الجموع، تظهر مجسمات رمزية تمثل التوابيت أو الأضرحة مُشيَّد خصيصًا لإحياء ذكرى الإمام الحسين واهل بيته واصحابه عليهم السلام هذه

المجسمات مزخرفة بألوان زاهية تعلوها قباب ذهبية أو مزينة بأهلة وقد وُضعت على عربات تُجرّ إما باليد أو بواسطة الحيوانات، مما يدل على الطابع الرمزي والاحتفالي في التعبير عن الحزن.

أما الرايات والأعلام، فقد رسمت وهي متعددة الألوان والأشكال مختلفة علت بعضها الكفوف من المعدن، أشهرها تلك التي تتخذ شكلاً مثلثًا، وتحمل دلالات خاصة مرتبطة بالشهادة والولاء والحداد، وتنتشر بكثافة بين المشاركين، وقد ظهرت البيوت والمباني المحيطة بالطريق تأثر المجتمع كاملاً بهذه الطقوس، إذ نرى أشخاصًا يطلّون من الشرفات يشاركون أو يراقبون الحدث، مما يعكس حضورًا جماعيًا واسعًا، كما تبرز اللوحة التداخل بين المعمار الإسلامي الهندي والشعائر الحسينية، مشكّلة لوحة غنية بالرموز والتفاصيل التي تجمع بين الفن والطقس الديني.

صورة رقم(٦) موكب عزاء الامام الحسين عليه السلام(bl.uk/onlinegallery):

مكان الحفظ: المكتبة البريطانية , رقم الحفظ: Or.Add ٣٢٣٢,تاريخ الانتاج: ١٧٩٠ – ١٨٠٠م

يُلاحظ في اللوحة مشهداً مفتوحاً في الجواء الواسعة، وسط بيئة طبيعية هادئة، يتوسّطها موكب عزائي يتجمّع حول منصة صغيرة تُظلّل بسقف قماشي مدعوم بأعمدة، وتحتها يظهر «ضريح رمزي» للإمام الحسين عليه السلام تتقدّم المنصة رايتان طويلتان سوداء وحمراء مغروزة في الأرض، ترمز إلى رايات كربلاء، وتحديداً راية العباس عليه السلام ورايات آل البيت عليهم السلام.

تُحيط بالمنصة مجموعة كبيرة من المشاركين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، يرتدون ملابس محلية تقليدية ملونة، تعكس التنوع الثقافي والاجتماعي، بعضهم يقف بخشوع، والبعض الآخر يؤدي طقوس اللطم أو النحيب، تعبيراً عن الحزن والمواساة لمصاب الحسين عليه السلام ويبدو من حركة الأجساد والمواقف أن المشهد يمثل لحظة من لحظات العزاء الجماعي والانغماس العاطفي في الذكرى، وعند جهة اليمين الصورة نرى مجموعة من النساء ملتفّات حول الضريح وهن يرفعن الأيدي أو يقرأن فيما يصطفّ رجال إلى اليسار في طقس جماعي منتظم، وبعضهم يحمل أدوات أو صواني، ما يشير إلى تقديم النذور أو إشعال البخور. بينما تظهر امرأة جالسة على الأرض تبكي، في تعبير صادق عن الحزن، وتبرز في خلفية اللوحة شجرة ضخمة تظلّل المكان، ما يضفي على المشهد هالة من الوقار والسكينة، بينما نلاحظ وجود خيام بيضاء على الجانب الأيسر البعيد، مما قد يشير إلى مكان إقامة مؤقتة للزوار أو المشاركين في الموكب وربما يعكس أجواء خيام الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء كعنصر رمزي.

صورة رقم(٧) مقام قبر الامام الحسين ﷺ (mapacademy.io/article/tazia)

تاريخ الانشاء: ١٨٦٠,مكان الحفظ: متحف فكتوريا في مدينة بنارس فاراناسي – الهند

تُظهر هذه اللوحة مشهدًا فنيًا رمزيًا لمقام الإمام الحسين ﷺ كما تم تصوّره في طقوس عاشوراء في الهند خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ويُرجّح أن يكون هذا المجسم جزءًا من شعائر محلية تُعرف باسم «تعزية» أو «تابوت إمام»، وهي تمثيلات رمزية تُصنع بعناية فائقة من الورق المقوّى والخشب والزينة القماشية الملوّنة، ويتوسط اللوحة نموذج معماري مزيّن يمثل ضريح الإمام الحسين ﷺ، وقد شُيّد على شكل برج متعدد الطبقات تتّسم الطبقات بزخارف هندسية ونباتية

دقيقة، يعلوها قباب صغيرة ومجسمات زخرفية ذهبية تعكس مكانة المقام وقدسيته، تحيط بالمقام حواجز مصغرة تشبه الشرفات، وقد غُلّفت جدرانه بزينة نارية الشكل تُحاكي ألسنة اللهب، في إشارة الى رمزية دينية محلية تعبّر عن الروح المتأججة للامام الحسين واهل بيته عليهم السلام وفي الجانب الأيمن من اللوحة، يظهر رجلٌ يرتدي لباسًا تقليديًا أخضر اللون، يلوّح بمروحة يدوية كبيرة تُستخدم عادة في الطقوس الدينية لإظهار الاحترام وتقديم الخدمة الرمزية للمقام أو المجسم المقدس، ويحمل المشهد بُعدًا شعائريًا قويًا فالرجل يقف وقفة تواضع ووقار، في حين أن خلفية المشهد مزدانة بمجموعة من الرايات والمشاعل المعلّقة التي تكتمل بها الأجواء الاحتفالية الحزينة.

صورة رقم(٨) مجلس عزاء (artsandculture.google.com)

تاريخ الانشاء:(١٨٠٠م),مكان الحفظ: مكتبة تشيستر بيتي دبلن –ايرلندا,مكان العمل: لكناو الهند

تُجسّد هذه الصورة مجلس عزاء داخل بناء على ما يبدو «خان عاشوراء» ، وهو مكان مخصص لإقامة المجالس الحسينية، إذ يظهر جمعاً من الرجال جالسين على الأرض، يرتدون الملابس السواد معظمهم في وضعية حزن وتفكر، وبعضهم يمارس طقوس اللطم وقراءة المراثي على جهة يمين الصورة يظهر مجسم قبة يرمز إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام وهو من أبرز رموز «التازية» في الثقافة الشيعية الهندية الشموع المضيئة تُحيط بالقبة، في دلالة رمزية على النور والقداسة والحزن، يظهر أحد الواقفين يحمل مروحة ريش (شَمْسَة)، كما في اللوحة السابقة، وتُستخدم في المجالس الطقسية كأداة احترام للمقامات المقدسة، تزيين القاعة بالفوانيس الورقية والمصابيح الملوّنة، وهي سمة مميزة للمجالس الحسينية في الهند، ألوان الزينة تتنوع بين الأبيض والأحمر والأخضر، وهي رموز روحانية في الثقافة المحلية.

المبحث الرابع: الدراسة التحليلية
دراسة مقارنة بين الشعائر في الهند والعراق

تمثّل الشعائر في كلٍّ من الهند والعراق تجلّيًا وجدانيًا عميقًا لحضور مأساة كربلاء في الذاكرة الموالين الشيعة، غير أن بعض تجلّياتها المادية، من مواكب ومجسّمات ورموز، تختلف باختلاف السياقات الثقافية والمكانية، وتكمن أهمية التحليل في هذه الدراسة في قراءة المدلولات الرمزية والفنية لتلك الطقوس، كما وردت في اللوحات، ومقارنتها بالأنماط الشعائرية التي عرفها العراق، بصفته مهدَ تلك التقاليد ومركزها الأصيل.

١. استخدام الحيوان كرمزي في الشعائر الحسينية:

يبدو أن أبرز الرموز الحيوانية المستخدمة في الشعائر الحسينية هي الخيول والجمال وذلك لارتباطها الوثيق بسياق معركة كربلاء، إذ كانا من الحيوانات الحاضرة فعليًا في الحدث التاريخي، ويُعَدُّ توظيفهما في المواكب والتمثيلات العزائية أمرًا طبيعيًا، بالنظر إلى البيئة الجغرافية للمناطق التي وقعت فيها الواقعة، حيث كانت الخيل والجمال تشكّل وسيلة النقل الأساسية، ورفيقة أهل البيت ﷺ في الحلّ والترحال، لذا، تحوّل حضور هذين الحيوانين في الشعائر إلى رمز حيّ يستدعي الذاكرة التاريخية ويُفعّل البعد العاطفي في الممارسة الطقسية، غير ان هذه الالواح جسّد حيوانات «الفيلة» في مواكب العزاء الحسيني والتي استخدمت كواسطة حمل الاشخاص او نقل احتياجات الموكب كما في صورة(١، ٣، ٤،٥) وهو ما يعكس الطابع البيئي والاجتماعي للمدن الهندية، إذ تُعد الفيلة جزءاً من ثقافتهم المحلية، ومع ذلك، فإن الروايات التاريخية لم تشر إلى وجود فيلة في واقعة كربلاء، حيث كانت وسائل النقل المستخدمة الخيول والجمال كما ذكرتها، وهي التي تحمل دلالة مباشرة على أحداث المعركة.

٢.النماذج الإيحائية المجسّمة :

-المجسمات(الماكيتات) للأضرحة:

واجه المسلمون اتباع اهل البيت ﷺ في البلدان البعيدة، ولاسيما دول شرق اسيا مشقة كبيرة في أداء مراسم زيارة مرقد الإمام الحسين ﷺ وإقامة شعائر العزاء ايام محرم الحراء ومراسيم الزيارة الاربعينية، ومن أجل تجاوز هذه المعوقات، ابتكروا تقليدًا رمزيًا تمثّل في إنشاء ما يُعرف بـ(كربلاء محلية) حيث كانوا يجلبون مقدارًا من تربة قبر الإمام الحسين ﷺ ويقومون برشها على أرض يختارونها في بلدانهم، لتصبح بمثابة كربلاء رمزية يقيمون فيها الشعائر والزيارات حتى غدت تقليدًا اجتماعيًا ودينيًا راسخًا (Irfan,٢٠١٢,pp.١١٣-١١٦) من هنا ظهرت المجسمات رمزية كما نراها في اللوحات لأشكال اضرحة مصغرة لمراقد الأئمة اهل البيت ﷺ والتي تخصص في اماكن مقدسة كالمساجد والخانات العزاء او تُحمل في المواكب العزاء، والتي تكون هذه المجسمات مزيّن بالأنوار والزخارف المتنوعة، حيث تمثل أضرحة مصغرة ذات طابع روحي تستخدم في العزاء الحسيني اتخذت بعضها بشكل دائري أو مثمّن او مربعة الشكل او نرى بعضها ذات الشكل أكثر تعقيدًا والتي تكون اشبه بالقلاع بأدوار متدرجة تعلوها قباب مختلفة الاشكال تحيط بها النوافذ المقوسة والزخارف الهندسية جميعها مستوحاة من الطراز الهندي الإسلامي بعضها تكون ثابت مخصصة في اماكن ابنية مقدسة يتخذونها كمرقد تشبيهي للإمام الحسين ﷺ كما في صورة(٣،٤،٥،٦) او هذه الماكيتات تكون متحركة من مكان الى اخر عبر المواكب التي تنطلق في شوارع المدن الهندية والتي ترفع على اكتاف المعزين القائمين كما في صورة رقم(١،٧،٨) وتوحي هذه المجسمات بتجسيد رمزي لكربلاء، تُنقل من خلالها مشاعر الفقد والولاء ويبرز من خلال هذه التصاميم الجمع بين القدسية والهوية الثقافية المحلية

كما تؤكد هذه الأشكال على محورية الإمام الحسين ﷺ في الوعي الشعبي الشيعي عبر الفنون البصرية والعمارة الرمزية، وبينما نجد وفي العراق يتم حمل «التابوت» أو «الهودج» في بعض المواكب، لكنه غالبًا لا يُصمَّم على هيئة ضريح فعلي، بل يكون رمزًا عامًا للشهادة أو الأسى، وغالبًا ما تكون مراقد كربلاء مقصدًا للزيارة الميدانية لا الرمزية، وخاصة في الأربعين، حيث يسير الملايين إلى الضريح الحقيقي.

- الكفوف المعدنية :

ومن النماذج الايحائيى المجسمة للشعائر هو «الكفّ» والذي يُعرف شعبيًا بـ«كفّ العباس ﷺ» والتي غالباً ما تعلو فوق الرايات كما في صورة رقم(١،٣،٤،٥،٧،٨) وهي من التكوينات البصرية التي تحمل دلالات عميقة، حيث يرمز إلى الشجاعة والتضحية والفداء ارتباطًا بما جرى لأبي الفضل العباس ﷺ في يوم عاشوراء حين قُطعت يداه وهو يحمل الماء لعائلة الإمام الحسين ﷺ في يوم عاشوراء، وان فكرة تجسيد هذه الرمزية جاءت من خلال العصر الصفوي(طنطاوي، سنة غير محددة، ص. ١٤٤-١٤٥) وما بعده ثم انتقلت الى الهند والعراق، إذ بدأ تجسيد هذه الرمزية بصريًا في الشعائر، حيث صُنع الكف من معادن أو خشب وصار يُثبّت على رؤوس الرايات تعبيرًا عن هذه الملحمة البطولية، ويمثل هذا النموذج المجسّم أحد أقوى الرموز البصرية التي تُستَحضَر في الذاكرة العاشورائية، ويُعبر عن الولاء والارتباط الوجداني العميق بقضية كربلاء وأبطالها، وقد تمثّل هذا النموذج في عدد من هذه الألواح، إذ تظهر مثبتًا على الرماح أو الرايات التي يرفعها المشاركون في المواكب العزائية، بينما في العراق لم تقتصر الكفوف على وضعها فوق الرايات فحسب، بل امتد استخدامها لتُثبّت أيضًا فوق القباب، سواء قباب الاضرحة والمراقد أو الأبنية المخصّصة لإقامة مراسم العزاء.

- الآلات العازفة (الطبول والابواق):

ومن المشاهد البصرية التي توثقها الألواح هي الآلات العازفة المستخدمة في المواكب العزائية، وعلى رأسها «الطبول»(عبد اللطيف، ٢٠٢٥، ص. ١٥) والأبواق(رضا، ١٩٥٨، ص. ٣٧٥)، فقد مثّلت هذه الآلات جزءًا أساسيًا من الطقوس ولا تؤدي وظيفة موسيقية بالمعنى الجمالي، بل بالمعنى العزاء يثير الحزن ويحفّز الوجدان الجمعي للمشاركين والمتلقين على حد سواء، ظهر في بعض الألواح التي مشاهد لرجال يحملون طبولًا كبيرة يقرعونها بإيقاع بطيء وثابت في إشارة إلى الحزن والحداد في حين يصطف آخرون وهم ينفخون في أبواق طويلة أو ملتفة تصدر أصواتًا عميقة وقوية تعزز الجو المهيب للمواكب وغالبًا ما تتقدّم هذه الفرق الموسيقية الطقسية المواكب أو تحيط بالتوابيت الرمزية أو الرايات الكبيرة، وكأنها تُمهّد الطريق للصوت الرمزي للعزاء، ففي الصورة رقم (٣) نشاهد أحد الرجال يحمل طبقًا معدنيًا ويقوم بالضرب عليه إيقاعيًا، في إشارة إلى دوره ضمن الطقوس العزائية لتنظيم إيقاع المسير وتنبيه المشاركين، ونجد في صور رقم(١) أشخاصًا آخرين يعزفون على أبواق كبيرة الحجم.

أما في السياق العراقي المعاصر، فتستمر هذه الآلات في أداء دورها، حيث تُستخدم الطبول بأحجام مختلفة في مواكب اللطم والزنجيل، وترافقها أحيانًا آلات نفخ نحاسية، ما يدل على استمرار هذا التقليد العزائي، وارتباطه بالتكوين السمعي للمراسم، ويلاحظ أن هذا الاستخدام ليس محض تقليد، بل هو جزء من الهوية الطقسية التي تتوارثها المجتمعات الشيعية جيلاً بعد جيل، وقد حافظت عليها باعتبارها وسائل فنية للتعبير عن الحزن والانتماء.

-المشاعل:

ومن الشعائر الحسينية البارزة: «المشعل» أو «المشاعل» كما في صورة رقم(٥) والتي تُعبّر بها عن النور وسط الظلمة، والنار التي أحاطت بخيام آل البيت ﷺ بعد استشهاده وقد جسّد الفنّانون هذا الشعيرة في لوحاتهم، حيث تظهر في لوحة لمواكب يسير ليلاً والمشاعل مرفوعة فوق الرؤوس مضاءة بلهب متوهّج يمنح المشهد طابعًا مهيبًا ومأساويًا في آن واحد.

أما في العراق، فتُحمل المشاعل بأشكال متعدّدة، من بينها ما يُثبّت على هياكل معدنية تحمل عدداً من اللهب، ويحملها المشاركون أثناء الدوران حول أنفسهم، في مشهد يرمز إلى الحيرة والحزن واللهيب الذي أحاط بآل الحسين ﷺ في كربلاء، وتُستخدم هذه المشاعل خصوصًا في المسيرات الليلية في النجف وكربلاء، حيث تحوّلت إلى تقليد موروث يحمل دلالات رمزية وشعائرية عميقة، ويعود تاريخ ظهور هذه المشاعل الى العهد البويهي في زمن معز الدولة ظهرت في شوارع بغداد ليلاً(كاشف الغطاء، سنة غير محددة، ص. ٦).

-الرايات:

تُعدّ «الراية»(ابن منظور، سنة غير محددة، ص. ٢٨٢) من أبرز الرموز البصرية التي تجسّد مشاعر الحزن والولاء في المناسبات الدينية، وبالأخص في إحياء ذكرى عاشوراء للإمام الحسين ﷺ، فقد تحولت هذه الرايات من مجرد أدوات دلالية او علامة يستدل بها(ابن سيدة، ٢٠٠٠، ص. ٢٧٤) اتخذت إلى رموز شعائرية تحمل أبعادًا ثقافية وعقائدية عميقة، فالراية بعلوّها وشكلها ترمز إلى الصمود والثبات في وجه الظلم وتُجسّد لواء كربلاء الذي بقي مرفوعًا رغم الشهادة وقد أصبحت الرايات عنصرًا لا يُفارق المواكب والمسيرات العزائية تُرفع في الشوارع وتُعلّق على البيوت،

وتُستخدم لتأطير الفضاءات المقدسة كالحسينيات والمساجد دلالة على الانتماء إلى خط أهل البيت ﷺ، ومن خلال دراستنا للنماذج تبيّن أن من أبرز النماذج المرئية التي تجسّد طقوس عاشوراء وزيارة الأربعين، هي الرايات والأعلام التي تُعد من الرموز البصرية البارزة كما في صورة(١،٢،،٤،٥،٧)، وقد لوحظ انتشارها في مواقع متعدّدة من مواكب العزاء، حيث تميزت هذه الرايات بضخامتها وتنوع أشكالها وألوانها التي تحمل دلالات رمزية وتاريخية عميقة، فمنها ما جاء على شكل مثلثات رأسية طويلة تُرفع على الساريات العالية، ومنها ما جاء على هيئة رايات مستطيلة ضخمة تُحاط بقطع من القماش المطرز، وغالباً ما تُحمل من قبل عدة أشخاص نظرًا لحجمها الكبير وثقلها الرمزي والمادي، وتُعرف هذه الرايات بـ اللواء(الألوسي، ١٩٧١، ص. ٦٦)، ويُعتبر اللواء لدى المعزين رمزًا للقيادة والبطولة، ويُنسب في كثير من الأحيان إلى شخصية العباس بن علي ﷺ المعروف بـ»حامل لواء الحسين»(الشاكري، ١٤٢٠هـ، ص. ٢٠) ما يُضفي عليه بعدًا بطوليًا وروحيًا خاصًا.

وبينما نجد هذه الرايات ماثلة بوضوح في مواكب العزاء المعاصرة في العراق، سواء في كربلاء أو النجف أو بغداد، فإنها تُعد امتدادًا بصريًا وتاريخيًا لما نرصده في الألواح الفنية التاريخية التي وثّقت طقوس عاشوراء وزيارة الأربعين، لا سيما تلك التي تعود إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين في مناطق مثل الهند وإيران والعراق.

فالرايات المرسومة في هذه الألواح تُظهر تفاصيل متقاربة جدًا مع ما نراه في الواقع العراقي المعاصر: من حيث أشكالها المثلثة أو المستطيلة، وأحجامها الكبيرة، وتوزيعها بين الحشود، وأسلوب رفعها، بل وحتى في كيفية مشاركة عدد من الرجال في حمل «اللواء» تحديدًا. وتُظهر بعض اللوحات الراية وقد رُفعت فوق موكب يحمل التابوت الرمزي للإمام الحسين ﷺ ما يعكس انسجامًا تامًا بين الدلالة الفنية والوظيفة الشعائرية.

٣. اسلوب العزاء:

تُظهر الألواح الفنية التي توثّق طقوس العزاء الحسيني في مناطق مختلفة من البلاد، أن المواكب تسير ضمن مسارات متنوّعة داخل المدن قصيرة السير، حيث تتحرك أحيانًا في خطوط مستقيمة عبر الساحات والشوارع الرئيسية، وأحيانًا تأخذ مسارات متعرجة أو متداخلة بحسب طبيعة المدينة، بل قد يظهر في بعضها تحرك الموكب بشكل عشوائي من حيث الاتجاه، إلا أنه دائمًا ما ينتهي في تجمعات مركزية حاشدة، او ساحات عامة أو أماكن دينية معدّة لاستقبال مراسم العزاء، وتُبرز بعض الألواح أن هذه الفضاءات المركزية قد تكون مساجد كبيرة، خانات، أو أضرحة رمزية بُنيت على هيئة ضريح الإمام الحسين ﷺ، بما يعكس رغبة المجتمعات البعيدة جغرافيًا عن كربلاء في خلق بدائل طقسية تُجسّد الحضور الرمزي للمكان المقدس.

أما في العراق، فتأخذ حركة المواكب المعزين، لا سيما في مناسبة زيارة الأربعين، طابعًا مغايرًا يتميز بـ خطوط طولية ممتدة تتجاوز النطاق الحضري، إذ تتحرك المواكب سيرًا على الأقدام لمسافات طويلة باتجاه مدينة كربلاء المقدسة، منطلقين من مدن مختلفة من المحافظات قاطعين مئات الكيلومترات، وتُعدّ هذه المسيرة الجماعية بمثابة تجسيد روحي وزمني عميق لمفهوم الزيارة، حيث يتحول الطريق نفسه إلى فضاء تعبّدي ومسرح شعائري مفتوح، تذوب فيه الحدود بين الزمان والمكان، ويُعبَّر فيه عن الولاء والشوق عبر الخطى المتواصلة نحو ضريح الإمام الحسين ﷺ، وإن المقارنة بين المسارات التي توثقها الألواح وبين المسارات الفعلية للمواكب في العراق تُظهر اختلافات في البنية الطقسية تبعًا للظرف المكاني والثقافي لكنها في جوهرها تعبّر عن وحدة المقصد الروحي والمضمون العقائدي المشترك، وهو إحياء ذكرى الإمام الحسين ﷺ والتعبير عن الولاء له بوسائل مختلفة من التعبير الفني والجسدي.

-قراءة القصائد الحزينة (النعي) :

يُعد النعي أحد أبرز أنماط العزاء والذي يتمثل في قراءة القصائد والمقاطع الشعرية التي تتناول استشهاد الإمام الحسين واهل بيته واصحابه عليهم السلام في يوم عاشوراء، ويُعرف القارئ في المجلس باسم»الناعي» وقد عُرف هذا النمط العزائي منذ القرون الأولى للهجرة، إذ نقلت بعض الروايات أن الإمام زين العابدين عليه السلام نفسه كان يستدعي الشعراء لقراءة المراثي(الصدوق، ١٤١٧هـ، ص. ٢١٢)، وقد برز في هذا المجال شعراء كبار مثل الفرزدق والكميت الأسدي ودعبل الخزاعي، الذين ألقوا قصائدهم في بلاطات الأئمة، ومع مرور الزمن تطور هذا الاسلوب ليأخذ بُعدًا عزائياً شعبيًا خاصة في العصر الصفوي والقاجاري، حيث بات يُؤدى النعي بأسلوب مسرحي بسيط، يرافقه تأثّر وجداني وبكاء جماعي في نقل الرواية الحسينية، وفي هذه النماذج تبرز لوحة فنية تُجسّد مجلسًا عزائيًا يُظهر جمعًا من الرجال وهم جالسين في هيئة الحزن والانكسار، تنهمر دموعهم بينما ينصتون إلى قارئ يُرتّل المراثي في ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام تبدو ملامح الوجوه ومواقف الأجساد في اللوحة مُعبّرة عن الألم العميق والمشاركة الوجدانية، مما يعكس مدى تأصّل طقس الحزن والبكاء في الذاكرة الشعائرية الشيعية.

-الضرب على الصدور(اللطم) :

يُعد اللطم من أبرز مظاهر العزاء الحسيني وأكثرها انتشارًا بين أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد ورد في المعاجم اللغوية أن اللطم هو: ضرب الخد وصفحة الجسد ببسط اليد، وجاء في المحكم أنه يكون بكفٍّ مفتوحة(ابن سيده، سنة غير محددة، ص. ١٩٤)، وفي الصحاح عُرّف بأنه الضرب على الوجه بباطن الراحة(الجوهري، ١٤٠٧هـ، ص.

٢٠٣٠). غير أن المفهوم العزاء للّطم تطوّر ليُصبح ضربًا على الصدر يُؤدَّى جماعيًا وفق إيقاع منظم يُعبّر عن الحزن والمواساة في آنٍ معًا، والتي تُعد من أبرز أنماط العزاء لدى الشيعة ومنتشرة في مختلف البلدان الاسلامية خلال أيام المحرم وصفر، ولا يختص بمكان دون آخر فيمارس في كافة المآتم سواء أقيمت في المساجد، أو الحسينيات أو في البيوت(مظاهري، سنة غير محددة، ص. ٢٩٦)، ولا يقتصر هذه الممارسة على كونه مظهرًا جسديًا للحزن بل يحمل في عمقه وظيفة وجدانية وروحية، بل يشعر المشارك من خلاله بأنه يواسي الإمام الحسين ﷺ ويُشارك في تحمل شيء من الآلام والمعاناة التي مرّ بها الامام الحسين ﷺ يوم واقعة كربلاء(الحيدري، ١٣٩١هـ، ص. ١٠٨). فالإيقاع الجسدي في الضرب على الصدر يُمثّل تفاعلًا وجدانيًا حيًّا، يجعل اللاطم شريكًا عاطفيًا وروحيًا في مصيبة الإمام، ويحوّل طقس الحزن إلى تجربة شعورية جماعية تعزز الهوية والانتماء والموقف العقائدي، وقد صوّر الفنان في احدى هذه الألواح الفنية صورة رقم (١) مشهدًا واضحًا لمجموعة من الرجال يصطفّون ضمن تشكيل دائري داخل موكب عزائي، يرتدون ملابس سوداء، ويقومون باللطم على صدورهم بإيقاع منتظم في مشهد تعبيري يعكس عمق الحزن الجماعي والمواساة الرمزية، وعند مقارنة هذا المشهد، نجد أن طريقة اللطم الدائري وانتظام الصفوف السوداء لا تختلف كثيرًا عمّا هو شائع في العراق وفي سائر البلدان التي تُحيي ذكرى الإمام الحسين ﷺ، وتعود جذور اللطم في العزاء إلى عصور قريبة من واقعة كربلاء نفسها، حيث تُذكر ممارسات الحزن والبكاء في القرن الأول الهجري من قِبل أهل بيت الإمام الحسين ﷺ وشيعته، وقد أورد المؤرخون أن النساء في بيت النبوة قد ضربن وجوههن وندبن الإمام الحسين بعد مقتله(البحراني، ١٤٠٧هـ، ص. ٣٠٢) كفعل فطري للحداد.

أما تطور اللطم كضرب على الصدر فيظهر بوضوح منذ العهد البويهي القرن ٤ هـ-١٠م، حيث سُمح بإقامة شعائر العزاء علنًا في بغداد، وبدأت تُؤدى مظاهر الحزن بصور جماعية، بما في ذلك وتُضرب الدفوف، وتُعلن العويل والندب(ابن الجوزي، سنة غير محددة، ص. ٢٦٧)، ثم تطورت هذه المظاهر إلى أشكال منظمة وذات أوزان إيقاعية تُمارس ضمن مواكب تسير في المدن والبلدات الشيعية.

٤.الازياء والالوان:

أن تنوّع الالوان تحمل دلائل عقائدية، فالأسود كما هو معروف رمزًا للحزن(المحيسي، ٢٠١٥، ص. ٦٩)والأحمر للدّم والشهادة، والأخضر للقداسة، يعكس غنىً رمزيًا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بوجدان هذا التجمع الحسيني، فمن خلال دراستنا للنماذج للألواح يظهر المشاركون في المناسبات الحسينية وهم يرتدون أزياء تقليدية محلية تحمل طابعًا قوميًّا ودينيًّا في آن واحد، فعلى سبيل المثال، يظهر الرجال بالملابس الهندية التقليدية مثل الدهوتي أو الشرور القميص، وقد يُضاف إليها عمامة أو وشاح يُرمز به إلى الولاء لأهل البيت عليهم السلام. أما النساء، فتظهر بعضهن وهن يرتدين «الساري»(الشوكي، سنة غير محددة، ص. ٢٥١) قميص، وتكون هذه الملابس أحيانًا مزينة بخيوط ذهبية أو ألوان رمزية كالأسود والأحمر، مما يعكس التفاعل بين الطابع الشعبي والروح الدينية للمناسبة. وغالبًا ما تُدمج في هذه الملابس عناصر رمزية مثل صور الرموز الدينية، أو كتابات تتضمن أسماء الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، في تجسيد واضح لتداخل الأزياء مع الرموز العقائدية، ويُلاحظ أن هذه الأزياء لا تعكس الحزن فقط، بل تحاول أن تُعبّر عن الشرف والكرامة المرتبطة بذكرى كربلاء، إذ غالبًا ما يُنظر إلى المشاركين في الطقوس باعتبارهم يؤدون دورًا تمثيليًا يخلّد واقعة الطف، ما يجعل الملبس عنصرًا تعبيريًا فعالًا في نقل القيم الأخلاقية والروحية للحدث.

أما في العراق، فإن الأزياء التي تُرتدى في المناسبات العاشورائية، وخاصة في مواكب العزاء وزيارة الأربعين، تتسم بالبساطة والوقار، وغالبًا ما يغلب عليها اللون الأسود كرمز مباشر للحزن والمواساة. يرتدي الرجال القمصان والسراويل السوداء أو العباءات التقليدية (الدشداشة) وغالبًا ما يُلف الرأس بوشاح أسود أو أخضر، أو يُوضع شال على الكتف يحمل عبارات دينية مثل «يا حسين» أو «لبيك يا حسين». أما النساء، فتظهر عادة بالعباءة السوداء الكاملة، التي تُعبّر عن الحزن والحداد، مع حرص واضح على احترام قدسية المناسبة، وتُعد هذه الاختلافات في الأزياء مؤشراً على تفاعل كل مجتمع مع ذكرى عاشوراء وفقًا لمنظومته الثقافية والرمزية الخاصة، ما يُثري الدراسة المقارنة بين التعبيرات البصرية للحدث في مناطق متعددة. كما تبرز الأزياء بوصفها جزءًا مهمًا من سردية الطقوس، تحمل في طياتها معاني الانتماء والولاء والحداد، وتُسهم في تحويل الشعائر من مجرد طقس ديني إلى تجربة بصرية وثقافية متكاملة.، ومن خلال دراسة كذلك نجد النماذج الفنية للألواح التي تمثل طقوس عاشوراء والأربعينية في تلك الدول خلال القرنين ١٨-١٩م نلاحظ استخدام الألوان بشكل لافت للنظر، إذ تتسم هذه المناسبة بغنى لوني واضح يتجلى في كثافة الألوان وتنوعها، وهو ما يمكن ربطه بالثقافة البصرية المحلية لتلك الدول والتي تميل إلى الاستخدام الزخرفي والمكثف للألوان في مختلف أشكالها، وتُعد الألوان الأحمر، والأخضر، والذهبي، والأبيض من أبرز الألوان الحاضرة في هذه الألواح، حيث تُوظف بطريقة تضفي على المشهد طابعًا احتفاليًا متميزاً على الرغم من أن هذه المناسبة في هذه الالواح هي مناسبة حزينة تتعلق باستشهاد الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه، ويُفسر هذا التناقض الظاهري بين الطابع الحزين للمناسبة والاحتفالية البصرية للألوان بأنه نابع من محاولة فنية رمزية لتخليد الذكرى بأسلوب تعبيري

يتناغم مع الذوق الفني المحلي، إضافة إلى أن الألوان قد تعكس أبعادًا رمزية ودينية تتجاوز المدلول الحسي، وفي المقابل تختلف المعايير الجمالية والتعبيرية في العراق، حيث يغلب اللون الأسود على مشاهد العزاء منذ الايام الاولى لمحرم الحرام، خصوصًا في المجالس والمسيرات، بوصفه رمزًا مباشرًا للحزن والحداد. ويُعد اللون الأسود أبرز مكونات الهوية البصرية لعاشوراء في الثقافة العراقية، إذ تلبس الجموع السواد، وتُرفع الرايات السوداء، وتُغطى الشوارع والبيوت والمواكب بالأقمشة السواد تأكيدًا على حالة الحزن الجماعي، ويقتصر استخدام اللون الاخضر او الأحمر هناك على بعض الرموز الخاصة مثل رايات الإمام الحسين وأبي الفضل العباس ، حيث يُستخدم بشكل محدود وبُعد رمزي للدلالة على الشهادة والتضحية، ومن خلال ما تقدم يتضح من ذلك أن استخدام الألوان في تمثيل الشعائر الحسينية يرتبط بالسياق الثقافي والاجتماعي والفني لكل منطقة، وهو ما يُغني الدراسة البصرية لتلك الأعمال، ويُبرز البُعد الرمزي والتعبيري في توظيف اللون بين بيئتين مختلفتين.

٦. الأبعاد التربوية والتفاعلية في العزاء:

تُعد من أبرز الجوانب التي تكشف عن عمق التأثير الأخلاقي لتعاليم أهل البيت في المجتمعات التي تحيي الشعائر الحسينية، فمن خلال دراستنا للنماذج الفنية التي توثق مشاهد العزاء، يتّضح أن المشاركين في هذه المواكب، لأصحاب العزاء والمعزّين يتّسمون بسلوكيات رفيعة تنمّ عن الالتزام بالقيم الإسلامية الأصيلة، كالأدب، والوقار، والتعامل الإنساني الراقي، وتُجسّد هذه القيم في الممارسات التفاعلية التي ترافق العزاء، كالاحترام المتبادل، وتقديم الضيافة، وخدمة الماء والطعام للزائرين والمعزّين، والتي تعكس استلهامًا مباشرًا من سيرة الإمام الحسين وأهل بيته في الكرم والسخاء، لا سيّما في ظل الرمزية العميقة للماء في

كربلاء وهكذا يصبح العزاء الحسيني ليس فقط مناسبة للحزن واستذكار المصيبة، بل مدرسة تربوية تترسخ فيها مبادئ الأخلاق والتعايش والخدمة الاجتماعية، فنجد في جزء من صورة رقم(١ – ب) نشاهد عدد من الأشخاص يمتطون الفِيَلة أثناء مواكب العزاء وهم يقومون بتوزيع الطعام على الحاضرين، وهذا المشهد يعكس تداخل البُعد العزاء مع البُعد الاجتماعي والخدمي، إذ تتحوّل المراسم إلى ساحة للعطاء والبذل، تأكيدًا لقيم الكرم والمواساة التي يُستلهم جوهرها من نهج الإمام الحسين ﷺ، او نجد في صورة رقم(٣) نساءً جالسات على جانب الطريق، وأمامهن أطباق من الطعام، يتهيأن لتوزيعها على المشاركين في الموكب. يُجسّد هذا المشهد دور المرأة في الخدمة الحسينية، ويُبرز حضورها الفاعل في طقوس العزاء، ليس كمُتلقي فقط، بل كعنصر مُبادِر في البذل والعطاء. يعكس هذا التصوير قيم الإيثار والتكافل الاجتماعي التي تُحيط بالمواكب، ويُعيد إلى الأذهان مشهد السيدة زينب (عليها السلام) وهي ترعى من تبقّى من ركب كربلاء، فتصبح هذه المشاركة النسائية امتدادًا لتلك الروح الزينبية التي لم تنكسر رغم المأساة بل تحولت إلى رمزٍ للعزّة والمواساة.

وفي العراق تتجلى مشاهد الكرم الحسيني بأبهى صورها، حيث يضرب العراقيون أروع الأمثلة في الضيافة والعطاء، حتى غدت مواكبهم مضرب المثل في الكرم على مستوى العالم فإن ما يقدّمه أهل العراق في الأربعين الحسيني يفوق الوصف، إذ تحوّلت الطرق المؤدية إلى كربلاء إلى ساحة مفتوحة للمواساة والخدمة المجانية، يُقدَّم فيها الطعام والشراب والمأوى لكل زائر، دون تمييز أو مقابل، في مشهد إنساني قلّ نظيره مؤكدين أن هذه الأرض ما تزال تنبض بعشق الامام الحسين وتُخرِج في كل عام من ترابها مآثر من الإيثار والتضحية المستلهمة من عاشوراء.

الخاتمة

بعد دراسة النماذج الفنية التي وثّقت مظاهر الشعائر الحسينية في كلٍّ من الهند والعراق، توصل الباحث إلى جملة من النتائج المهمّة التي تسهم في فهم أعمق لأبعاد هذه الممارسات التعبدية من منظور فني وآثاري وثقافي، وقد تمثّلت أبرز هذه النتائج في الآتي:

اولاً: التقارب الروحي مع تنوّع الأساليب التعبيرية رغم الفروقات الجغرافية والثقافية بين الهند والعراق، إلا أن الشعائر الحسينية تعبّر في كلا السياقين عن حزنٍ مشترك وولاءٍ عميق للإمام الحسين واهل بيته واصحابه عليهم السلام، وهو ما يُظهر وحدة الرسالة واختلاف الوسائل التعبيرية.

ثانياً: المجسمات والرموز البصرية التي تضمّنت في الألواح المدروسة كمثلاً «كف العباس عليه السلام » و«الرايات» و« الهياكل الرمزية للقباب » و« المشاعل »، وهي جميعها تؤدي دورًا في ترسيخ الذاكرة الحسينية وتعميق الأثر العاطفي والروحي لدى المشاركين.

ثالثاً: أظهرت الرسوم توظيف الفيلة ضمن المواكب، في تمثيل تذكاري لمعركة كربلاء غير ان الفيلة لم تكن متواجدة في معركة كربلاء، وانما تمثلت الخيول والجمال في واقعة كربلاء.

رابعاً: تُظهر الألواح سلوكيات المشاركين في المواكب وهم يتسمون بالأدب والاحترام والضيافة في انعكاس واضح لتعاليم أهل البيت عليهم السلام التي تُغرس في وجدان المعزين من خلال هذه الطقوس.

خامساً: برز استخدام آلات مثل الطبول والأبواق في المواكب كعنصر تعبيري يضفي على المراسيم بُعدًا صوتيًا يعبّر عن مشاعر الحزن والمصاب الجلل، كما تواجدت في الشعائر الحسينية في العراق.

سادسا: أظهرت بعض النماذج الفنية حمل المشاعل ليلًا برفعها فوق الرؤوس وهي شعيرة تعكس النور الرمزي لمسيرة الإمام الحسين عليه السلام وتُستخدم لتكريم ذكراه بطريقة مؤثرة والتي توافقه في الغاية مع الشعائر الحسينية في العراق.

سابعاً: تمثيل المآسي في هيئة مسيرات درامية، إذ اعتمدت بعض المواكب، خاصة في الهند، على الطابع المسرحي والرمزي في تجسيد واقعة كربلاء، مما يجعل الطقوس أكثر تأثيرًا في الجمهور ويمنحها طابعًا بصريًا سرديًا.

ثامناً: استمرارية الشعائر كأداة للتعبير الجمعي: تؤكد الرسوم المدروسة أن الشعائر الحسينية ظلت أداة حيوية للتعبير الجمعي عن الحزن والمظلومية، وعن الولاء للإمام الحسين عليه السلام، كما أنّها حافظت على استمراريتها وتجدّدها في البيئات المختلفة عبر العصور.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الامم، ج١٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣. ابن سيدة، ابي حسن علي، المحكم والمحيط الاعظم، ج١٠، المكتبة الوقفية، بيروت، ٢٠٠٠.

٤. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج٣، حققه وضبطه عبد السلام محمد هارون، مكتبة الاعلام الاسلامي، طهرن، ١٤٠٥.

٥. ابن قولوي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، مؤسسة النشر الاسلامي.

٦. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، ج٤، ١٤٠٥، قم المقدسة.

٧. ابو القاسم، الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٤، ط٥، ١٩٩٢.

٨. ابو داهش، عبد العزيز، دور الدولة الصليحية ٤٢٩-٥٣٢هـ/ ١٠٤٧-١١٣٨م في حفظ تراث الفاطمي ونقله الى الهند، مجلة الوقائع التاريخية، العدد ٣٧، ٢٠٢٢.

٩. الاصفهاني، ميرزا محمد، مكيال المكارم، ج٢، موسوعة الاعلمي، بيروت.

١٠. الاميني، سيرتنا وسنتنا، دار الغدير للمطبوعات دار الكتاب الإسلامي، ط٢،بيروت، ١٩٩٢.

١١. انظر في كتاب: مغنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، دار ومكتبة الهلال، لبنان،٢٠٠٠.

١٢. البحراني، عبد الله، العوالم ، الإمام الحسين، مدرسة الامام المهدي، قم المقدسة، ١٤٠٧.

١٣. البوق: شيء مجوف مستطيل، أو مخروطي ينفخ فيه ويزمر: رضا، احمد، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، ج١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨.

١٤. الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح، ج٥، حققه احمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧.
١٥. الحيدري، تاريخ و جلوه‌هاى عزادارى امام حسينعليه السلام در ايران، ١٣٩١ .
١٦. الشاكري، حسين، شهداء اهل البيت عليهم السلام قمر بني هاشم، مطبعة ستارة، ١٤٢٠.
١٧. شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، لبنان، ١٩٩٦.
١٨. الشهرستاني، السيّد صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام، ج١، حققه نبيل رضا علوان، دار الزهراء، بيروت، ص١٤٧.
١٩. الصدوق، ابي جعفر، الامالي، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٤١٧.
٢٠. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، ج٢، دار الكتاب، بيروت، ١٩٨٢.
٢١. طاهري، فؤادي، على وكاظم، دوفص لنامة مطالعات شبه قاره دانشگاه سيستان و بلوچستان، سال ،١٣ شمارة،٤١ پاييز و زمستان ١٤٠٠.
٢٢. الطباطبائي، محمد حسين تفسير الميزان، ج ٥ ، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٢.
٢٣. الطريحي، محمد سعيد، تاريخ الشيعة في الهند، ج١، هولندا، ٢٠٠٦.
٢٤. طنطاوي، حسام عويس، « اثر الفكر الشيعي الاثنى عشري على الفنون الاسلامية (كف العباس نموذجا) « جامعة عين الشمس، قسم الاثار.
٢٥. ظاهري، محسن حسام، «تاريخ المأتم الحسينية في العصر القاجاري» ترجمة مشتاق الحلو، مجلة نصوص المعاصر، مركز البحوث المعاصر في بيروت، العدد ٩، ٢٠٠٧.
٢٦. العاملي، ابو جعفر محمد، الانتصار، ج ٩ ، دار السيرة، بيروت، ١٤٢٢.

٢٧. عبد الرحيم، عبد الرحيم، « الشيعة في باكستان من خلال المصادر والمراجع الاردية والانجليزية

٢٨. عبد اللطيف، آفاق لازم، « الطبول دلالاتها واستخداماتها في الاندلس منذ عبور المرابطين حتى سقوط غرناطة « بحث مقدم في المؤتمر العلمي الدولي السابع، جامعة البصرة، كلية التربية ، ٢٠٢٥.

٢٩. الفراهيدي، عبد الرحمن الخليل كتاب العين، ج١، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة،ط٢، ايران، ١٤٠٩.

٣٠. كاشف الغطاء، محمد، المواكب الحسينية، المطبعة العلوية، النجف الاشرف.

٣١. الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب الإمام أمير المؤمنين ﷺ ، ج٢ ، حققه محمد باقر المحمودي، مجمع احياء الثقافة، ١٤١٢.

٣٢. مبارك، فرح ضياء، «البهاريون وحق التجنس في بنغلادش»، مجلة كلية التربية، جامعة بغداد، العدد٦، ٢٠٠٩.

٣٣. المحيسي، محمد عثمان، الالوان ودلالاتها النفسية والاجتماعية، مجلة العلمية لكلية التربية، العدد ١٨، ٢٠١٥.

٣٤. مشعان، محمود شاكر، الفاطميون والطريق التجاري الى الهند(٣٥٨-٥٦٧/ ٩٦٩-١١٧١م)، مجلة الاداب، مجلد ١، العدد ٣٢، ٢٠١٧.

٣٥. النيسابوري، ابي عبدالله المستدرك على الصحيحين، ج٣، دار المعرفة، بيروت.

٣٦. هالم ، هاينس ، الشيعة ، ترجمه ، محمود كبيبو ، مطبعة الوراقة، بغداد ، ٢٠١١ .

٣٧. هو أبو القاسم بن محمد حسن بن نظر علي الجيلاني الشفتي الرشتي الأصل الجابلاقي صاحب القوانين المعروف بالميرزا القمي ولد سنة ١١٥٠ هـ في قم المقدسة وتوفية سنة ١٢٣١هـ: الامين، محسن، اعيان الشيعة، ج٢، دار المعارف للمطبوعات، بيروت.

٣٨. هو عبد الله بن محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب الهاشمي القرشي : الحسني، عبدالحي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج١، ط٢، مطبعة المجلس دار المعارف، ١٩٦٣.

٣٩. الواحدي، ابو الحسن علي، التفسير البسيط، ج١، عمادة البحث العلمي، السعودية، ١٤٣٠.

المواقع الالكترونية

1. (dehlidarvesh.wordpress.com/202028/08//muharram-in-19th-centurys-india-through-britishpaintings)/
2. (dehlidarvesh.wordpress.com/202028/08//muharram-in-19th-centurys-india-through-british-paintings)/
3. mapacademy.io/article/tazia))-3
4. www.bl.uk/onlinegallery/onlineex/apac/addorimss/t/019addor0003233u00000000.html0)4-
5. mafaz.ir)/5(تصاویر/نقاشی-های-بریتانیایی-ها-از-محرم-و-عزادا).
6. (http://www.bl.uk/onlinegallery/onlineex/apac/addorimss/t/019addor0003232u00000000.html).
7. (https://mapacademy.io/article/tazia)7.
8. (https://artsandculture.google.com/asset/shi-a-muslims-mourning-before-a-ta-ziya/OQEL4UbIWDjV6Q).
9. (Juan, Ricardo Irfan, “Shi’i Islam and Identity: Religion, Politics and Change in the Global Muslim Community, ed. Lloyd Ridgeon, I.B. Tauris, 2012, pp. 113–116).

التأثيرات النفسية والاجتماعية لزيارة الاربعين على الاطفال وانعكاساتها على النشأة الحسينية

م.م أحمد مزاحم هادي
مستشارية الامن القومي/ مركز التميز
Nsa.ahmed.m@gmail.com

ملخص

يتناول هذا البحث موضوع « التاثيرأت النفسية والاجتماعية لزيارة الأربعين على الأطفال وانعكاساتها على النشء الحسينية)، ويهدف إلى دراسة التأثيرات النفسية لهذه الزيارة على الأطفال، وكيف يمكن أن تساهم في بناء شخصياتهم وتشكيل هويتهم الدينية والاجتماعية، فضلاً عن الانعكاسات المستقبلية لهذه التجربة على سلوكهم وقيمهم، إذ يسلط الضوء على التأثيرات الإيجابية التي تتركها زيارة الأربعين في البعدين النفسي والاجتماعي، وكذلك النمو الشخصي للاطفال الزائرين، يعتمد البحث نظرية باندورا للتعلم الاجتماعي في علم النفس، مع تحليل السلوك الانساني وانعكاساتها في كيفية تأثير هذه التجربة على التكوين النفسي والعاطفي للاطفال، فضلاً عن التحديات النفسية التي قد تواجه الاطفال.

الكلمات المفتاحية: التأثيرات النفسية- التأثير الاجتماعي- زيارة الأربعين- الأطفال- النشأة الحسينية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ، آذار - ٢٠٢٦م

The Psychological and Social Impacts of the Arbaeen Pilgrimage on Children and Their Role in Forming a Husayni Identity

Asst.Lect. Ahmed Mzahim hadi
National Security Advisory / Center of Excellence

Abstract

This research will address the topic of "The Psychological and Social Effects of the Arbaeen Pilgrimage on Children and its Reflections on the Husseini Youth". This research aims to study the psychological effects of this visit on children, and how it contributes to building their personalities and shaping their religious and social identity, in addition to the future reflections of this experience on their behavior and values. The positive effects of the Arbaeen Pilgrimage on the psychological and social impact and personal growth of visiting children will be reviewed. The research addresses Bandura's theory of social learning in psychology, with an analysis of human behavior and its reflections on how this experience affects the psychological and emotional formation of children, as well as the psychological challenges that children may face

Keywords: Psychological Effects, Social Impact, Arbaeen Pilgrimage, Children, Husayni Upbringing.

المقدمة

إنّ من أهمّ تجليات زيارة الأربعين هي إحياء الذكرى الخالدة للإمام الحسين عليه السلام، ومنحها جرعةً روحيةً ومعنويةً تضمن استمرارها وخلودها عبر الأجيال والعصور.

تُعد زيارة الأربعين واحدةً من أكبر المناسبات الدينية في العالم، إذ يشارك فيها ملايين الزوار من مختلف الأعمار، ويشكل الأطفال نسبة كبيرة منهم وهم يرافقون عائلاتهم في هذه الرحلة الروحية.

إنّ مسؤولية الأبوين إحياء هذه الذكرى العظيمة في نفوس أبنائهم؛ لأن بقاء الإسلام وعزّة المسلمين منوطة بإحياء الذكرى الحسينية.

إنّ مشاركة الأطفال في هذا الحدث تترك أثراً نفسياً وسلوكياً عميقاً على شخصياتهم، مما يسهم في تشكيل النشء الحسيني الذي يتسم بالقيم الروحية والأخلاقية والاجتماعية المستمدة من هذه التجربة الفريدة.

مفهوم التنشئة الاجتماعية من المفاهيم العامة والمهمة التي تشير إلى مدى واسع الأفق، والتي ترتبط مع بعضها بعضاً كالتعلم الاجتماعي والإندماج الاجتماعي والتطبع الاجتماعي وكذلك التربية الشاملة، والتنشئة الاجتماعية تشترك فيها مؤسسات عديدة مثل الاسرة وهي النواة ومن ثم المدرسة والبيئة الاجتماعية وغيرها.

وللتنشئة الاجتماعية دور مهُم في عملية بناء المجتمع على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية وحتى النفسية، ويمكن فهم ذلك بشكل أعمق من خلال تعريف مفهوم التنشئة الاجتماعية الذي ينص على أنهّا»عملية تثقيف للفرد حتى يتشرب الطفل الانماط السلوكية التي تميز ثقافة مجتمعية وتميزه عن ثقافة المجتمعات الاخرى (العتوم، ٢٠٠٩)

اذ يرى عبد الله وخليفة(٢٠٠١) أنّ علماء الاجتماع يركزون في نظرتهم الى التنشئة الاجتماعية على النظم الاجتماعية التي تستطيع أنْ تحول الانسان من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي قادر على ممارسة السلوكيات الاجتماعية السليمة، في حين يركز علماء النفس على بعد التعلم والفروق الفردية بين الأفراد لذلك تجدهم يركزون أكثر على تفسير أوجه التشابه والاختلاف في سلوكيات الأفراد وتحديد السلوكيات السوية والشاذة(عبدالله ،خليفة،٢٠٠١)

مشكلة البحث

تُطرح تساؤلات عدة حول كيفية تأثر الأطفال نفسياً بالمشاركة في زيارة الأربعين، ومنها:

١. كيف يمكن أنّ تؤثر هذه التجربة على التكوين النفسي والعاطفي للأطفال؟
٢. ما هي القيم والسلوكيات التي يكتسبها الأطفال من خلال هذه المشاركة؟
٣. هل تسهم هذه التجربة في تعزيز الهوية الحسينية والانتماء الديني لدى الأطفال؟
٤. ما هي التحديات النفسية التي قد تواجه الأطفال أثناء هذه الزيارة؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

١. تحليل التأثيرات النفسية لزيارة الأربعين على الأطفال، سواء كانت إيجابية أو سلبية.

٢. استكشاف دور الزيارة في تنمية القيم الأخلاقية والإنسانية لدى الأطفال.

٣. دراسة انعكاسات التجربة على النشء الحسيني وكيف يمكن أنْ تسهم في بناء الشخصية الدينية والاجتماعية للأطفال.

٤. تقديم توصيات لضمان استثمار هذه التجربة في تربية الأطفال وتعزيز نموهم النفسي الإيجابي.

أهمية البحث

تعد مرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان، إذ تتصف بالنمو المستمر والتطور الملحوظ جسدياً وعقلياً، ويعيش الطفل هذه المرحلة باعتماد كُلي أو نسبي على والديه وإخوته أو باقي أفراد أسرته المُحيطة، أو من يهتم به، إذْ يصعب عليه أداء المهمّات المُختلفة بشكل مُستقل كُلياً في المراحل الأولى من طفولته(يوسف،٢٠١٧) .

تكمن أهمية البحث في أن الأطفال هم الجيل القادم الذي سيحمل القيم والمعتقدات التي تُنقل إليهم من خلال التجارب الدينية والاجتماعية، لما للسنوات الأولى من عمر الإنسان من أهمية بالغة في تكوين الامكانات البشرية، ومن الضروري أنْ يدرك الجميع أنّ المهارات والتعلم من الصغر تبدأ قبل ذهابه الى المدرسة، وزيارة الأربعين، باعتبارها تجربة روحية وإنسانية فريدة، تسهم في غرس العديد من القيم

النبيلة في نفوس الأطفال، مثل الصبر، الإيثار، التعاون، والالتزام الديني، ومن هنا، تأتي أهمية دراسة التأثيرات النفسية لهذه التجربة لضمان تعزيز الجوانب الإيجابية والحدمن أي آثار سلبية محتملة.

الاطار النظري

يستعرض الباحث الأدبيات والنظريات التي فسرت التأثيرات النفسية المنعكسة على الأطفال الذين ينتمون إلى البيئة الحسينية، وتعرف بمرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة.

أولاً. المرحلة الأولى من الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة:

يُعرِّف علماء النفس الطّفل بأنه الإنسان المُكتمل الخلقة والتّكوين الذي لم يصل بعد لمرحلة النّضج، ولم تَظهر عليه علاماتُ البلوغ، مهما امتلك ذلك الفرد من قدراتٍ ومُميّزاتٍ عقليَّة وسلوكيّة وعاطفيّة، ويصفُ علماءُ النفس بلوغ الطفلِ بظهور علاماتٍ وميول نفسيَّة لدى الذكر، وظهور دلالات البلوغ، كالاحتلام والقذف(زهران،١٩٨٦) .

في هذه المرحلة من العمر يكون التأثير مضاعفاً على المراهق بين حاجاته السيكولوجية وبين تأثير البيئة من حوله، إذْ تتسم هذه المرحلة باشتداد الرغبات، وأنه يدرك أنّ الجماعة تشبع احتياجاته النفسية المتعددة التي قد لايوفرها له البيت ولا المدرسة، لذا فهو يسعى إلى الارتباط حتى قيل أن المراهق في مرحلة فطام من السلطان الفردي للاب إلى سلطان الجماعة (راجح،١٩٨٦) .

فضلاً عن أنّ في المراحل الأولى من الطفولة يتأثر الأطفال كثيراً بأشخاص خارج الأسرة مثل الرفاق والمدرسين والقادة والمشاهير(زهران،١٩٨٦)

إنّ الطفل في مرحلة المراهقة تتجاذبه الكثير من الأهواء والآراء والمعتقدات التي تلاقي هوى في نفسه، وتدفعه لتأكيد ذاته في سلوك استقلالي عن الآخرين، فنراه يميل لممارسة سلوك الكبار، فضلاً عن أنّ الظروف السياسية أو الدينية والاجتماعية، والجو الذي يسود المجتمع نتيجة الصراعات الطائفية والدينية أو كليهما إذ ما تقولبت في داخل المراهق على شكل توجهات وميول نفسيه تجعل الظروف مهيأة له للانضمام لجماعات متطرفة، وأنّ العوامل النفسية التي يتعرض لها في بداية حياته يكون تأثيرها بالغ الأهمية في سلوكه العام وتصرفاته، إذ يمر الطفل في مرحلة المراهقة بتغييرات فسيولوجية كبيرة (محمد،١٩٩٠)

ويرى علماء نفس النمو أنّ الأفراد في عمر المراهقة المبكرة يتميزون بالتحسس للمثيرات الاجتماعية إلى درجة كبيرة، واللجوء إلى طرائق سلوكية والاجتهاد لجذب انتباه الآخرين، وتوليهم أدواراً قياديةً في البيئة التي يعيشون فيها والإحساس بالثقة في النفس والكفاية والسعي إلى الاستقلال وتكوين مفهوم موجب للذات والتوافق الاجتماعي والانفعالي (زهران،١٩٨٦)

والفرد يتعلم السلوك عن طريق مشاهدته أو ملاحظته لسلوك الآخرين والنتائج المترتبة على ذلك السلوك، ويعتقد بأن العمليات المعرفية لها القدرة على التأثير في التعلم البديلي، إذ بمقدور الشخص أنْ يتوقع أو يتصور النتائج التي تحصل بعد ذلك وهذا لا يحدث إلا عن طريق تأثير أنموذج أمام الفرد، فمثلا المشاهد الذي يراقب من يُكافأ أو يُعاقب، وقد يكون لدى المشاهد السلوك نفسة للفرد الذي قد

يتأثر بنتيجة الموقف فإذا حظي الفرد بتعزيز إيجابي من الآخرين فإنه سيندفع للقيام بالعمل نفسه، أما إذا كان تعزيزاً سلبياً فإن ذلك سيؤدي الى الانسحاب من القيام بالعمل مستقبلاً.

حلل باندورا وولترز طبيعة التعلم بالنموذج ووجد أنها ترتبط بأربع عمليات وهي:

أولا. الانتباه القصدي:

يُعدّ الانتباه عمليةً ضرورية من دونها لا يتم التعلم وهناك عوامل تؤثر في الانتباه، وهي: الإمكانات الحسية لدى المتعلم، فالنماذج التي تعرض على المتعلمين تختلف تبعاً لاختلاف خصائص المتعلمين، وكذلك الخبرة السابقة للانتباه لنماذج من نوع معين وذات كفاية معينة، فمثلا أظهرت النتائج أنّ المتعلم من الملاحظة في مواقف سابقة يتعزز لديه التعلم لأن أنماط السلوك المماثلة لها تكون في موضع الانتباه في مواقف الملاحظة اللاحقة، أي أنّ التعزيز السابق يسهم في تكوين حالة من التأهب الإدراكي لدى المتعلم ويؤثر في ملاحظاته اللاحقة، فضلاً عن خصائص النموذج موضوع التقليد.

طرق تعزيز الانتباه القصدي لدى الأطفال في المواكب الحسينية:

أ.إشراك الأطفال في الأنشطة الحسينية مثل مواكب التشابيه أو توزيع الأغذية .

ب.استخدام التعزيز الإيجابي مثل الثناء أو المكافآت الرمزية لزيادة الانتباه.

ج.تعليمهم أهمية المواكب وإحياء القضية الحسينية.

ثانياً. عملية الاحتفاظ:

ويُعرف الاحتفاظ بأنه عملية تخزين المعلومات أو الاحتفاظ بها، ويتم الاحتفاظ رمزيا بطريقتين هما:

أ.الطريقة التصورية: يتم تخزين المعلومات في صورة رموز تدل على صورة حقيقية للخبرة موضوع الاحتذاء، وهذه الصورة التي يتم استرجاعها في المواقف اللاحقة بعد حدوث التعلم بالملاحظة، من خلال التكرار مثل (التعلم الحسي في مشاهدة مجالس التعزية، والتشابيه، وباقي الشعائر المعبرة عن التضحية والفداء).

ب.الطريقة اللفظية: وهي الأكثر أهمية عند أصحاب هذا الاتجاه، وهي تعتمد على التشفير اللغوي، وتتسم هذه الطريقة بالعمومية، ففيها تتحول المعلومات البصرية والسمعية وغيرها إلى شفرة لغوية، تصف خصائص النموذج وموقف الاحتذاء جميعاً.مثل تكرار جملة (لبيك ياحسين.. لبيك ياحسين، هيهات منا الذلة.....)

ثالثا. عملية الإنتاج السلوكي :

تحدد عمليات الإنتاج السلوكي بالمدى الذي يترجم به ما تم تعلمه والاحتفاظ به وتخزينه أو (معرفته حسب لغة علم النفس المعرفي) إلى أداء ظاهر، وهنا يميز أصحاب هذا الاتجاه بين التعلم والأداء، فالطفل أو الراشد قد يعرف ما يجب أن يؤدي ويتعرف على الأداء الصحيح، وكل ذلك من عمليات التعلم التي يمكن أن تتم بالملاحظة، ولكن قد تعوزه (المهارة) في الأداء الفعلي، فاكتساب المهارات العملية الأدائية يتطلب شروطا تتجاوز الملاحظة والمعرفة ،مثال(مراقبة الاطفال للكبار كيفية سير الكبار في المواكب وكيف تقديم الخدمات على الزوار، وكيفية اداء اللطم وإلقاء القصائد الحسينية) ((ابو شعيرة،٢٠٠٩)

رابعاً. العملية الدافعية:

وهي عملية لا يمكن للمرء أن يؤدي من خلالها سلوكاً-انموذجاً معيناً- مالم يكن لدية دوافع ومحفزات كافية لذلك الأنموذج، وبهذا فسوف يتعلم الفرد المعايير الداخلية من النماذج المقدمة له وخاصةً الوالدين والآخرين المهمين بالنسبة له حيث ينصاع الفرد لمعايير الأنموذج أو أسلوب سلوكه، وبالتالي يستمر في تقويم السلوك إزاء هذه المعايير وينمو لدية مفهوم الذات عن طريق التعلم، وبهذا فإنَّ نظرية التعلم الاجتماعي تقرُ بأن الانصياع حقيقة من حقائق الوجود الاجتماعي، فالعلماء ذوّ التصويب المعرفي للتعلم الاجتماعي هم أكثر الذين تناولوا التأثيرات الاجتماعية، فيرى هؤلاء أنّ الانصياع والتقليد على الرغم من اختلاف التضمينات النظرية لها إلا أنهما يحملان المعنى نفسة وهو أن يصبح الشخص اكثر شبهاً بالآخر. (الداغستاني،٢٠١٧) .

تأثير الطفولة على شخصيات القادة التاريخيين:

مرحلة الطفولة تؤثر بشكل كبير على شخصية القادة وأساليبهم في الحكم أو القيادة، بعضهم اكتسب الصبر والتسامح من تجاربه، في حين دفع الظلم أو الإهمال بعضهم الآخر إلى أن يصبحوا أكثر حدة أو عدوانية.

العديد من القادة حول العالم تأثرت شخصياتهم وتجاربهم القيادية بطفولتهم، حيث شكلت البيئة التي نشأوا فيها والتحديات التي واجهوها دوراً مهماً في طريقة تفكيرهم وقيادتهم لاحقاً. إليك بعض الأمثلة:

١. المهاتما غاندي (١٨٦٩-١٩٤٨)

التأثير في الطفولة:

- نشأ غاندي في أسرة هندوسية محافظة تؤمن بالأخلاق واللاعنف.
- كان خجولاً في صغره، لكنه تأثر بقصص الشجاعة والاستقامة التي كانت ترويها والدته.
- التأثير على قيادته:
- أصبح رائداً في المقاومة السلمية والاستقلال الهندي، مستنداً إلى قيم الصبر واللاعنف التي تعلمها منذ طفولته.

٢. نيلسون مانديلا (١٩١٨-٢٠١٣)

التأثير في الطفولة:

- ولد في قرية صغيرة بجنوب إفريقيا، وكان والده زعيماً محلياً مما منحه نظرة مبكرة على القيادة.
- عانى من التمييز العنصري منذ صغره، مما ولد لديه رغبة قوية في العدل والمساواة.
- التأثير على قيادته:
- أصبح زعيماً عالمياً ضد الفصل العنصري، مستنداً إلى تجربته المبكرة في الظلم الاجتماعي.

٣. أدولف هتلر (١٨٨٩-١٩٤٥)

التأثير في الطفولة:

- عاش طفولة قاسية مع أب صارم وعنيف، مما أثر على نفسيته.
- فشل في تحقيق حلمه بأن يصبح فناناً، مما زاد من إحباطه.

التأثير على قيادته:

- أصبح ديكتاتوراً في ألمانيا النازية، حيث كانت شخصيته الحادة وتجاربه العاطفية القاسية سبباً في تشكيل قراراته العنيفة.

٤. ونستون تشرشل (١٨٧٤-١٩٦٥)

التأثير في الطفولة:

- عانى من الإهمال العاطفي، حيث كان والده مشغولًا ولم يكن قريبًا منه.
- كان أداؤه الأكاديمي ضعيفًا، لكنه طور حبًا كبيرًا للتاريخ والخطابة.
- التأثير على قيادته:
- أصبح رئيس وزراء بريطانيا في الحرب العالمية الثانية، وكانت خطاباته التحفيزية مصدر إلهام للعالم.

التأثيرات النفسية لزيارة الأربعين على الأطفال

التأثيرات العاطفية

- الشعور بالانتماء والتلاحم: يتولد لدى الأطفال شعور قوي بالانتماء إلى المجتمع الحسيني نتيجة رؤيتهم للملايين من الناس الذين يشاركونهم نفس المعتقدات والمشاعر.
- تنمية الحس الإنساني: الزيارة تعزز لدى الأطفال مشاعر الرحمة والتعاطف، حيث يشاهدون الناس وهم يقدمون الطعام والخدمات للزوار من دون مقابل.
- الشعور بالفخر والاعتزاز: يفتخر الأطفال بالمشاركة في هذه المناسبة، مما يعزز ثقتهم بأنفسهم وبتراثهم الديني.

١. التأثيرات الأخلاقية والسلوكية

- تعزيز قيم الإيثار والتضحية: يتعلم الأطفال من خلال مشاهدتهم للخدمة الحسينية أهمية مساعدة الآخرين من دون انتظار مقابل.
- تنمية روح التعاون: العمل الجماعي والخدمة خلال الزيارة تعلم الأطفال أهمية التعاون والعمل بروح الفريق.
- غرس مبادئ الصبر والانضباط: المسير الطويل والتحديات التي تواجههم خلال الرحلة تعلمهم الصبر وضبط النفس.

٢. التأثيرات الاجتماعية

- تعزيز التواصل الاجتماعي: الزيارة تمنح الأطفال فرصة للتفاعل مع أقرانهم من مختلف المناطق والبلدان، مما يساعدهم على تطوير مهاراتهم الاجتماعية.
- تعلم الاحترام والتقدير: يكتسب الأطفال من خلال مشاهدتهم لمظاهر الاحترام المتبادل بين الزوار وخدمة الزوار الكبار والصغار.
- الشعور بالمسؤولية: بعض الأطفال يشاركون في الخدمة الحسينية، مما يعزز لديهم روح المسؤولية والمشاركة المجتمعية.

٣. التأثيرات الفكرية والدينية

- تعزيز الهوية الدينية: يتأثر الأطفال بالشعائر والممارسات الدينية التي يشاهدونها، مما يساعد على تعزيز هويتهم الدينية.
- اكتساب المعرفة التاريخية والدينية: يتعرف الأطفال من خلال المسير والمحاضرات الدينية على قصة الإمام الحسين عليه السلام وقيمه النبيلة، مما يوسع إدراكهم التاريخي والديني.
- غرس حب التعلم والبحث: يتولد لدى بعض الأطفال فضول لمعرفة المزيد عن تاريخ عاشوراء والنهضة الحسينية.

هناك أدلة واضحة على أن مشاركة الأطفال في زيارة الأربعين لها تأثير إيجابي على شخصياتهم. يمكن تصنيف هذه الأدلة إلى أدلة دينية، تربوية، علمية، وميدانية كما يلي:

١. الأدلة الدينية والتاريخية

أهل البيت عليهم السلام وغرس القيم في النشيء:

- الإمام الحسين عليه السلام اصطحب معه الأطفال إلى كربلاء، مثل عبد الله الرضيع، وعلي الأصغر، وسكينة بنت الحسين، مما يعكس أهمية إشراك الأطفال في الأحداث الدينية لغرس القيم في نفوسهم.
- بعد معركة الطف، أدى الأطفال والنساء دوراً في نشر الرسالة الحسينية، مما يدل على تأثير التجربة في تنمية وعيهم وشخصياتهم.

أحاديث أهل البيت حول زيارة الإمام الحسين عليه السلام:

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «علِّموا أولادكم حبَّ الحسين»، مما يؤكد على ضرورة غرس ارتباط الأطفال بهذه القيم منذ الصغر.
- حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «علامات المؤمن خمس، إحداها زيارة الأربعين» مما يُبرز أهمية هذه الشعيرة في بناء شخصية الفرد.

٢. الأدلة التربوية والنفسية

تعليم الأطفال من خلال التجربة العملية:

- علماء النفس، العالم باندورا(نظرية التعلم الاجتماعي) يؤكدون أن التعلم بالمشاهدة والمشاركة العملية أكثر تأثيراً على الأطفال من التلقين.
- زيارة الأربعين توفر تجربة تربوية حقيقية للتسامح، الإيثار، التعاون، وخدمة الآخرين، مما يجعل الأطفال أكثر التزاماً بالقيم الأخلاقية.
- شارت دراسة نُشرت في مجلة Harvard Health إلى أن البكاء يمكن أن يؤدي إلى

إفراز هرمونات مثل الأوكسيتوسين والإندورفين، والتي تُعرف بتأثيراتها المهدئة والمخففة للألم، هذا يُفسر الشعور بالراحة بعد البكاء، حيث يُساعد في تخفيف التوتر وتحسين الحالة المزاجية(ليو نيوهاوس،٢٠٢٠)

تعزيز الهوية والانتماء:

دراسات علم النفس الاجتماعي تؤكد أن المشاركة في المناسبات الجماعية تعزز الشعور بالانتماء، مما يُقوي شخصية الطفل ويجعله أكثر ثقة بالنفس.

- الأطفال الذين يشاركون في مسيرة الأربعين يصبحون أكثر ارتباطاً بهويتهم الدينية والثقافية، مما ينعكس إيجابياً على سلوكهم.

٣. الأدلة العلمية والميدانية

دراسات حول تأثير المشاركة المجتمعية:

- وجدت بعض الدراسات (مجلة البحوث والدراسات) أن الأطفال الذين يشاركون في الفعاليات الدينية والاجتماعية أكثر قدرة على التفاعل مع الآخرين، تحمل المسؤولية، والتعاطف مع المجتمع.
- دراسة حول التأثير النفسي للمسيرات الدينية الكبرى (مثل الحج) وجدت أنها تُعزز القيم الروحية والتكافل الاجتماعي، مما يمكن أن ينطبق على مسيرة الأربعين

ملاحظات ميدانية:

- عند مراقبة الأطفال المشاركين في الأربعين، يُلاحظ أنهم يتعلمون:
- الصبر والتحمل: السير لمسافات طويلة يُنمي لديهم قوة الإرادة.
- التواضع والإيثار: رؤية خدمة الناس مجاناً تُعلمهم قيمة العطاء.
- التواصل الاجتماعي الاحتكاك بأشخاص من ثقافات مختلفة يُطور مهاراتهم الاجتماعية.

٤. الشهادات والتجارب الواقعية

أقوال الزوار والمشاركين:

- كثير من الآباء والأمهات لاحظوا تغيراً إيجابياً في سلوك أطفالهم بعد مشاركتهم في زيارة الأربعين.
- بعض الأطفال يُظهرون زيادة في الوعي الديني، حب الخدمة، وتحمل المسؤولية بعد خوض هذه التجربة.
- قصص وتجارب حقيقية:
- أطفال يشاركون في تقديم الخدمات مثل توزيع الطعام والماء، تنظيف الطرق، وتقديم المساعدة للزوار، مما يُعزز لديهم روح المسؤولية والمبادرة.
- بعض الأطفال الذين شهدوا الزيارة أصبحوا أكثر حرصاً على مساعدة المحتاجين والتفاعل مع القضايا الإنسانية.

التحديات النفسية التي قد تواجه الأطفال خلال الزيارة

على الرغم من الفوائد النفسية العديدة، هناك بعض التحديات التي قد تؤثر على الأطفال خلال الزيارة، ومنها:

١. الإرهاق الجسدي والنفسي: السير لمسافات طويلة قد يكون متعباً للأطفال، مما يتطلب إدارة جيدة لراحتهم.

٢. التعامل مع الازدحام والضوضاء: بعض الأطفال قد يشعرون بالضغط النفسي نتيجة الازدحام الشديد.

٣. الانفصال عن الروتين اليومي: الابتعاد عن البيئة المنزلية قد يسبب بعض القلق للأطفال الأصغر سناً.

٤. التعرض لمشاهد حسينية مؤثرة: بعض الأطفال قد يتأثرون عاطفياً بالمشاهد الدرامية في المجالس الحسينية، مما يستدعي التوجيه النفسي المناسب.

الانعكاسات المستقبلية لزيارة الأربعين على النشىء الحسيني

١. ترسيخ الالتزام الديني: الأطفال الذين يشاركون بانتظام في زيارة الأربعين غالباً ما يكون لديهم ارتباط ديني أقوى في المستقبل.

٢. تنمية روح الخدمة المجتمعية: الأطفال الذين يعتادون على رؤية الخدمة الحسينية غالباً ما يكون لديهم رغبة في تقديم العون والمساعدة للآخرين في مراحل حياتهم المختلفة.

٣. التأثير على السلوك القيادي: المشاركة في فعاليات الزيارة قد تعزز لدى بعض الأطفال مهارات القيادة والمسؤولية.

٤. تعزيز الهوية الثقافية: هذه التجربة تساعد الأطفال على الارتباط بثقافتهم وتراثهم الديني، مما يحميهم من الاغتراب الثقافي.

الجانب العملي

في إطار السعي لتعزيز فهم الجيل الجديد لأهمية ودلالات المشاركة في المواكب الحسينية، يُعد الجانب العملي لهذا البحث حجر الزاوية في تحليل وتقييم تأثير هذه الفعاليات على الأطفال. لتحقيق هذا الهدف، تم إجراء استبيان إلكتروني مفصل(رابط الاستبانة الالكترونية https://forms.gle/T2ppH4FNkLacuEDt6)، يستهدف جمع بيانات مباشرة من المشاركين حول تجارب أطفالهم خلال المشاركة في المواكب. من خلال تحليل الإجابات المجمعة، يهدف هذا القسم إلى استكشاف كيفية تفاعل الأطفال مع العناصر الدينية والثقافية المتنوعة المقدمة خلال هذه المناسبات، وفهم التحولات السلوكية والنفسية التي تطرأ على الأطفال نتيجة لتجربتهم. هذا النهج يُمكننا من تقديم توصيات مستنيرة لتحسين تجربة الأطفال وتعزيز مشاركتهم بشكل يُفيد تطورهم الاجتماعي والروحي.

إجابات أسئلة الاستبانة كالآتي:

١- هل شاركت في المراسم الحسينية والمواكب الحسينية سابقاً؟

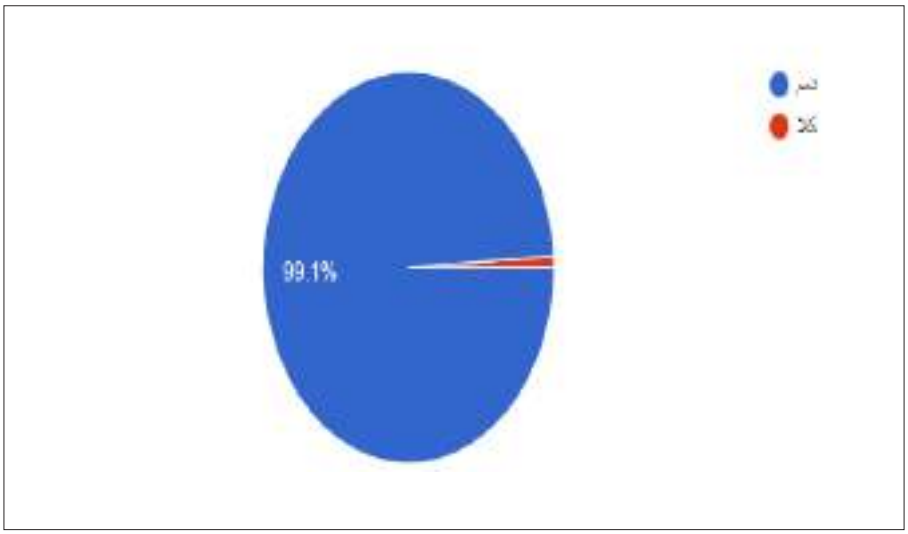

الرسم البياني يوضح استجابات المشاركين في السؤال الأول حيث أجاب ب(نعم) معظم المشاركين (١٠٦ من أصل ١٠٧)، مما يشير إلى أن الغالبية العظمى من العينة لديها تجربة مباشرة مع المراسم الحسينية، الغاية من تركيز السؤال على هؤلاء الذين أجابوا ب«نعم» هي لضمان جمع البيانات والآراء من الأفراد الذين لديهم تجربة حقيقية ومباشرة، مما يعزز من مصداقية البيانات المجمعة.

٢- هل شارك أطفال معك في إقامة الموكب الحسيني؟

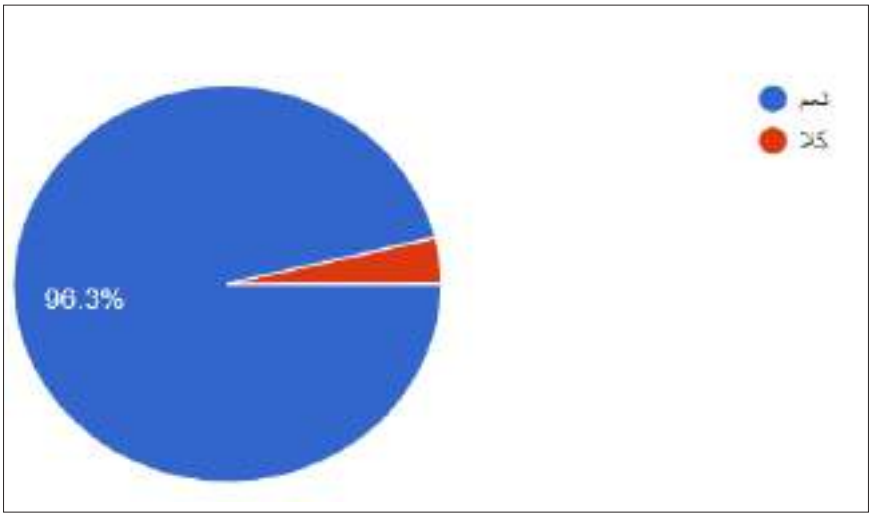

يظهر الرسم البياني اعلاه أن نسبة كبيرة من المشاركين (٣, ٩٦٪) قد أجابوا بـ «نعم» على سؤال «هل شارك أطفال معك في إقامة الموكب الحسيني؟». هذا يدل على أنّ معظم المشاركين في الاستبيان لديهم تجربة مباشرة في مشاركة الأطفال بالمراسم الحسينية، ما يعني أن البيانات المجمعة تأتي من أفراد لديهم خبرة واقعية في تفاعل الأطفال خلال هذه الفعاليات، مما يزيد من الثقة في صحة الإجابات وفائدتها لفهم تأثير هذه المشاركة على الأطفال.

٣- ما هي الأدوار التي قام بها الأطفال خلال الموكب؟

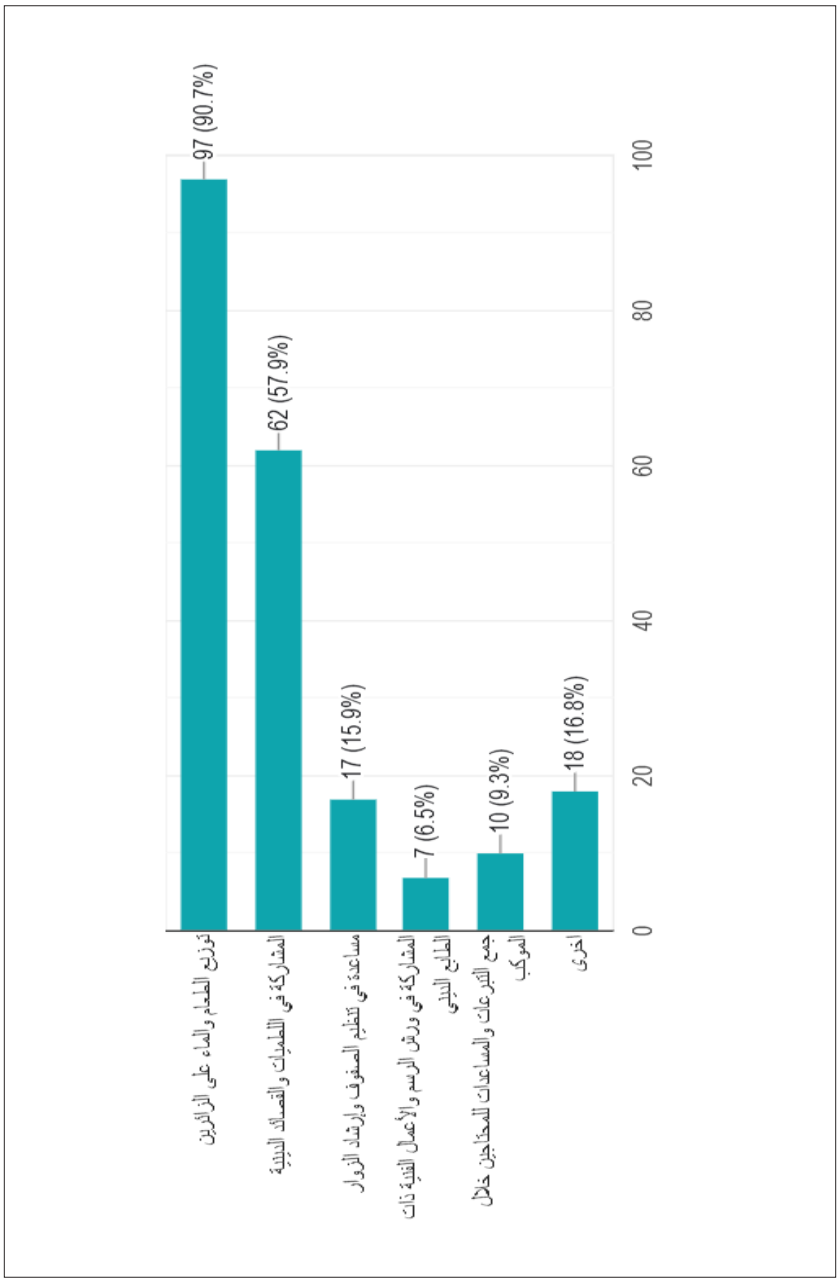

يظهر الرسم البياني توزيع الأدوار التي قام بها الأطفال خلال الموكب الحسيني، مما يسلط الضوء على مدى تفاعلهم ومشاركتهم في هذه الفعاليات الدينية. وفقاً للبيانات، نلاحظ أن نسبة كبيرة جداً من الأطفال (٩٠,٧٪) شاركوا في توزيع الطعام والماء على الزائرين، مما يشير إلى دورهم الأساس في دعم الخدمات اللوجستية للموكب، وهو ما يعكس روح الإيثار والتعاون.

بالإضافة إلى ذلك، حوالي ٥٧,٩٪ من الأطفال شاركوا في اللطميات والقصائد الدينية، مما يدل على مشاركتهم الفعالة ويسهم في خلق جو من الروحانية خلال المسيرة، ما يساعد على تعزيز التجربة الجماعية وتقوية الهوية الدينية بين المشاركين.

يُضاف الى ذلك أن نسبة ١٥,٩٪ من الأطفال قد شاركوا في تنظيم الصفوف وارشاط الزوار، ايضاً نسبة ٩,٣٪ من الأطفال شاركوا في جمع التبرعات والمساهمات المالية للموكب، مما يعكس تنمية مهاراتهم في التواصل مع الناس وتعزيز الوعي بأهمية دعم مثل هذه الأنشطة الدينية والمجتمعية.

وأخيراً، حوالي ١٥,٩٪ من الأطفال شاركوا في أدوار تنظيمية وإدارية، أما بالنسبة للمشاركة في الأنشطة الاخرى كالتعليم والقراءة خلال الموكب وغيرها من الانشطة، فقد شارك فيها ١٦,٨٪ من الأطفال.

إن هذه النسب تعكس الاهتمام بتعليم الأطفال وإشراكهم في فهم الأبعاد الثقافية والدينية للحدث، مما يؤكد على أهمية تربيتهم وتنشئتهم على قيم ومعارف ترتبط بالتاريخ والمعتقدات الدينية.

بشكل عام، تظهر هذه النتائج الأثر الإيجابي لمشاركة الأطفال في المواكب الحسينية من حيث التربية، تنمية القيم الاجتماعية والدينية، وتطوير مهارات متنوعة تسهم في بناء شخصيتهم بشكل متكامل.

٤- كيف تصف مستوى مشاركة الأطفال في الموكب؟

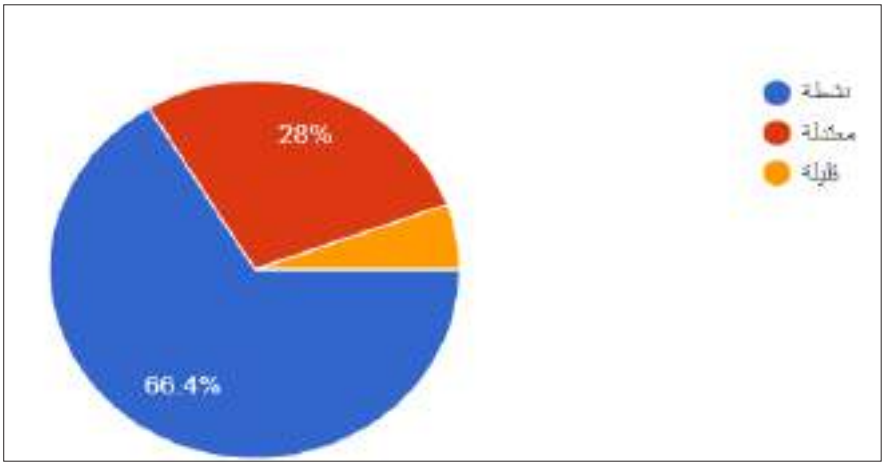

الرسم البياني يعكس مستويات مشاركة الأطفال في الموكب، حيث تظهر النسب المئوية الثلاث توزيعات مختلفة للمشاركة. القسم الأزرق الذي يمثل ٦٦,٤٪ يدل على أن الغالبية العظمى من الأطفال لديهم مشاركة نشطة في الموكب، مما يعكس ارتفاع درجة التفاعل والمشاركة بين هؤلاء الأطفال. القسم البرتقالي، والذي يمثل ٢٨٪، يُظهر وجود مجموعة كبيرة من الأطفال لديهم مستوى مشاركة متوسط، مما يعني أنهم يشاركون لكن بدرجة أقل نشاطاً مقارنة بالمجموعة الأولى. الجزء الأصفر، الذي يمثل ٥,٦٪، يعكس نسبة الأطفال الذين لديهم مشاركة ضعيفة أو محدودة. هذه البيانات تساعد في تقديم صورة واضحة حول مستوى التفاعل والمساهمة الفعالة للأطفال في هذا النوع من الأحداث الجماعية وتؤكد على أهمية تعزيز مشاركة الأطفال بشكل فعال في المواكب الدينية والثقافية.

٥- هل لاحظت تغييراً في سلوك الأطفال بعد مشاركتهم في المراسم الحسينية؟

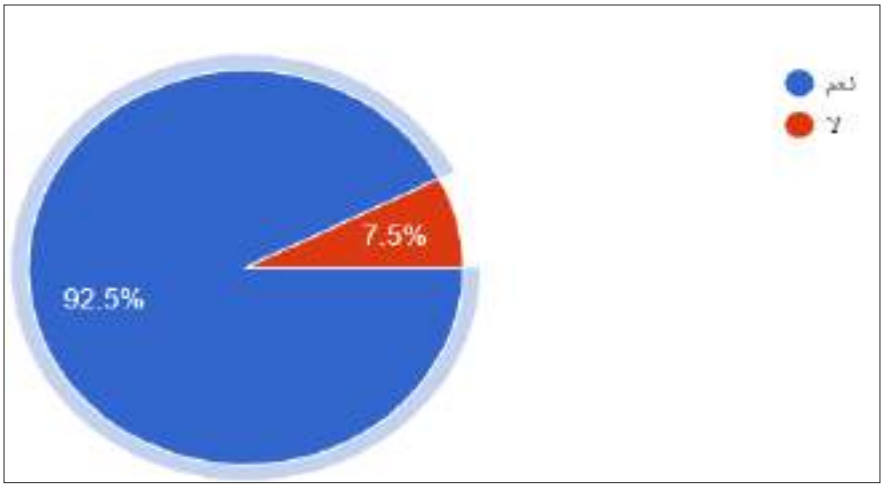

الرسم البياني يوضح أنّ نسبةً عاليةً جداً من المشاركين (٥ , ٩٢٪) لاحظوا تغييراً إيجابياً في سلوك الأطفال بعد مشاركتهم في المراسم الحسينية، مما يعكس الأثر البالغ لهذه الأحداث على نمو وتطور الأطفال. هذا التغيير في السلوك قد يكون نتيجة لتعزيز القيم مثل الإيثار، الصبر، والتعاون، والتي تعد جزءاً من العناصر الرئيسة للمراسم.

المشاركة في الأنشطة الجماعية كالمواكب الدينية قد تسهم أيضاً في تعزيز الشعور بالانتماء والهوية الثقافية والدينية لدى الأطفال. فالتفاعل الاجتماعي والتجارب العاطفية خلال هذه الفعاليات يمكن أن يؤدي إلى تحسينات ملحوظة في السلوك الاجتماعي والانفعالي، مما يدعم نموهم الشخصي والاجتماعي على المدى الطويل.

٦- هل هناك تأثيرات سلبية لاحظتها على الأطفال بعد مشاركتهم في الفعاليات؟

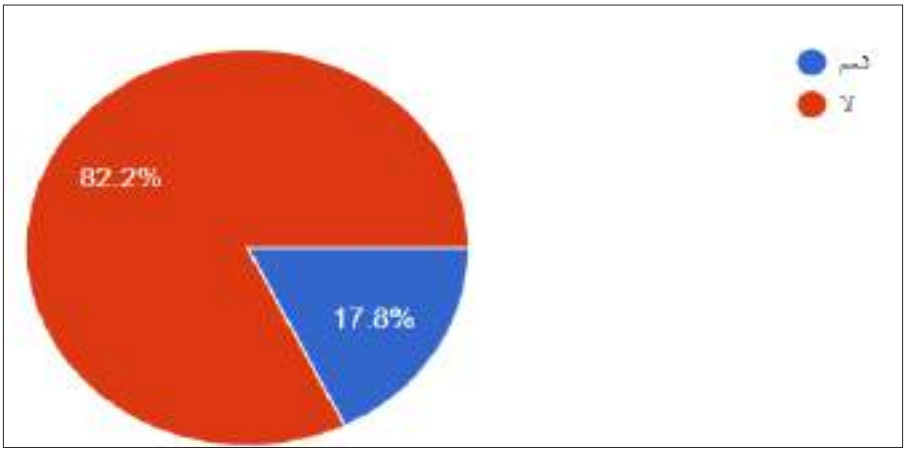

الرسم البياني يُظهر أن نسبة كبيرة من المشاركين (٨٢,٢٪) لم يلاحظوا أي تأثيرات سلبية على الأطفال نتيجة مشاركتهم في الفعاليات الحسينية. ومع ذلك، هناك نسبة ١٧,٨٪ من المشاركين أبلغوا عن ملاحظة بعض التأثيرات السلبية. هذه النتائج تشير إلى أنه بالرغم من الفوائد الإيجابية العديدة التي توفرها مثل هذه الفعاليات، قد تكون هناك بعض المخاطر أو التحديات التي تواجه بعض الأطفال، مثل الإرهاق الجسدي بسبب طول مدة الفعاليات أو الضغوط النفسية نتيجة للتجمعات الكبيرة أو الانخراط في ممارسات قد تكون مؤثرة عاطفياً. يُمكن أن تكون هذه الملاحظات مهمة للمنظمين لتحسين الإجراءات الوقائية والدعم النفسي للأطفال خلال مشاركتهم في مثل هذه الفعاليات لتقليل أي تأثيرات سلبية محتملة.

٧- برأيك، هل مشاركة الأطفال في هذه الفعاليات تساعد في تنمية شخصيتهم الدينية والاجتماعية؟

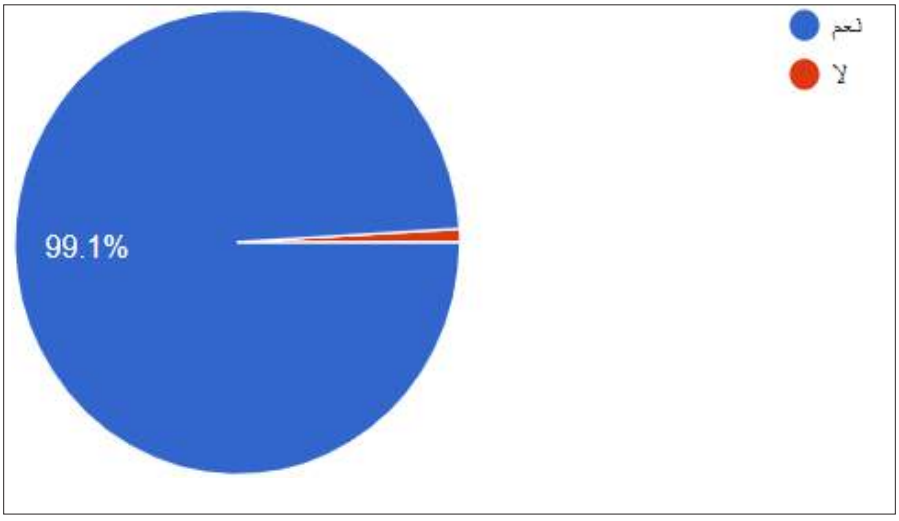

الرسم البياني يُظهر أن نسبة عالية جدًا من المشاركين (٩٩,١٪) يعتقدون أن مشاركة الأطفال في الفعاليات الدينية تسهم في تنمية شخصيتهم الدينية والاجتماعية. هذه النتيجة تدعم الفكرة القائلة بأن الانخراط المبكر والمستمر للأطفال في فعاليات ذات بعد ثقافي وديني يمكن أن يكون له تأثيرات إيجابية على تطورهم الشخصي. من الناحية العلمية، المشاركة في هذه الفعاليات تعزز الشعور بالانتماء والهوية الدينية، كما تساعد في تطوير مهارات اجتماعية مثل التواصل والتعاون. علاوة على ذلك، يمكن لهذه الأنشطة أن تعلم الأطفال قيمًا مثل الصبر، والاحترام، والإيثار، والتي هي جزء لا يتجزأ من تطور الشخصية السوية والمتكاملة في بيئة اجتماعية دينية.

٨- هل تعتقد أن تجربة المشاركة في المواكب الحسينية لها تأثير ايجابي طويل الأمد على الأطفال؟

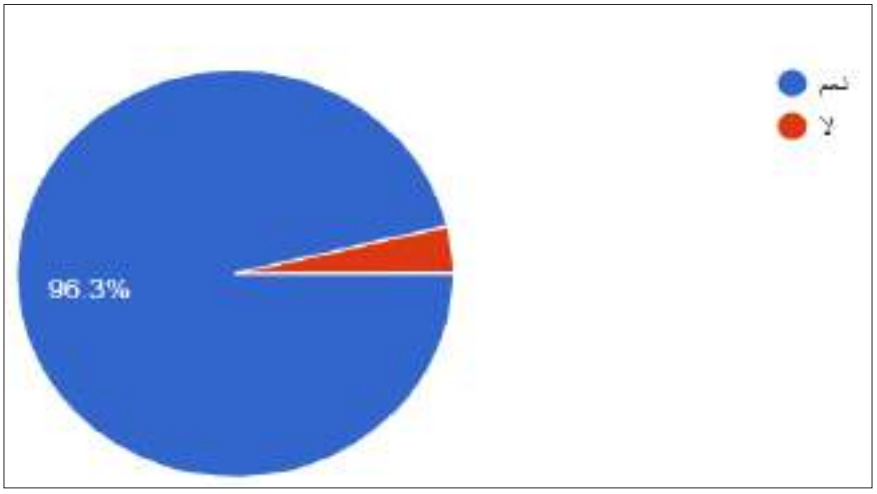

الرسم البياني يُظهر أن نسبة كبيرة جدًا من المشاركين (٩٦,٣٪) يعتقدون أن تجربة المشاركة في المواكب الحسينية لها تأثير إيجابي طويل الأمد على الأطفال. من الناحية العلمية، هذه النتائج تعكس الفوائد المتعددة للانخراط المبكر في الأنشطة الدينية والاجتماعية. المواكب الحسينية، بوصفها فعاليات جماعية تعزز الترابط المجتمعي، تسهم في تنمية مهارات اجتماعية مهمة مثل التعاطف، والعمل الجماعي، والتواصل. كما أن التعرض المستمر للرسائل الأخلاقية والروحية خلال هذه الفعاليات يمكن أن يؤثر بشكل عميق على تكوين القيم الأساسية وتطوير الهوية الدينية للأطفال، مما يساعد في ترسيخ نمط حياة يركز على القيم العليا ويدعم نموهم العاطفي والأخلاقي بطريقة مستدامة.

٩- ما هي النصائح التي تود تقديمها لتحسين تجربة الأطفال في المواكب الحسينية في المستقبل؟

وردت الاجابات كالتالي:

١. تحفيز مشاركة الاطفال في المجالس والمواكب الحسينية وارشادهم للطريق الصحيح وعدم إبعادهم أو طردهم لسوء تصرف معين.

٢. (ومن يعظم شعائر الله فأنها من تقوى القلوب) صدق الله العظيم وأن يمتثلون بأخلاق الأئمة الأطهار والالتزام بتعاليم الدين الاسلامي.

٣. دروس تعليمية وتوعوية للاطفال مع سرد قضية الإمام الحسين وخروجه لنصرة الدين والإصلاح بصورة عامة.

٤. حث الأطفال من قبل الأهالي على تقديم الخدمة الحسينية لتقوية شخصياتهم والاطلاع على المعلومات الصحيحة.

٥. الالتزام باصطحاب الأطفال في جميع المناسبات الدينية.

٦. إشراكهم في جميع المناسبات الدينية لتقوية شخصيتهم الاسلامية ونشر الدين الاسلامي والمبادئ الإسلامية والتربوية لينشأ جيل ملتزم دينيا واخلاقيا في ظل الانفلات الحاصل بالوقت الحاضر

٧. أن تكون أعمالهم منظمة أكثر والإهتمام بالصلاة، وحسن السلوك، ليعكس صورةً للعالم بأنهم أطفال حسينيون مؤمنون.

٨. تعليم الأطفال مبادئ ثورة الإمام الحسين وليس توزيع الطعام والمشاركة بالفعاليات فقط.

٩. حث الآباء على مشاركة أبنائهم في المجالس والمواكب الحسينية لما لها من تأثير

كبيرٍ على اخلاقهم وسلوكياتهم، إذ يستلهمون الأخلاق والخدمة الحسينية وهي إطعام الضيوف والتعامل الأخلاقي العالي مع مختلف الجنسيات.

١٠. تهيئة خطباء من الشباب وتكون أعمارهم مقاربة لأعمار الأطفال لكي لاتكون هنالك فجوة عمرية لأن الطفل يتأثر بسرعة.

١١. قيادة الاطفال نحو مستقبل بحب الحسين عليه السلام وتوفير الاحترام وتجنب الاهانة أو الاستصغار أمام الناس وتوفير ورشات تدريبية على النطق والحوار الديني.

١٢. نصيحتي للفئات العمرية من سن ٩ الى سن ١٥ أنّ المواكب ليست فقط لتوزيع المأكل و المشرب بل أن المواكب مدارس تتعلم منها و تستلهم منها أعظم الدروس و خصوصاً عندما نوقف عدداً من الصبيان لإرشاد و تنبيه النساء لتعديل الحجاب إذا كان بغير محله أو لبس الجورب (الاحتشام بصوره عامه) وتنبيه الرجال إلى تجنب عدم الضحك أو الخوض بالكلام الفاضي عند المسير نحو قبة الأحرار (الاربعينية) و غيرها من الأمور التي يبقى لها أثر طيب و جميل في ذاكرتهم (التعلم في الصغر كالنقش ع الحجر).

١٣. تعليمهم أخلاقيات التعامل مع الغرباء، واحترام الآخرين، العطاء بلا حدود حُب لأخيك ماتحب لنفسك.

١٤. غرس أركان الدين في نفوس الأطفال وحثهم من الصغر على الصلاة في المواكب الحسينية قبل كل شيء وافساح المجال للاطفال اكثر من اي فئة في المجتمع.

١٥. يجب أن يكون هناك تواصل في حث الأطفال على المشاركة في الفعاليات الدينية كافة مع فتح دورات تعليمية وتثقيفية لهم بالقرب من محل سكنهم لترسيخ مبادئ العقيدة لديهم ولتعريفهم بصورة واضحة عن مذهبهم وسيرة الأئمة ليكونوا محصنين فكرياً وعقائدياً.

١٦. عدم تعرضهم إلى مشاهد متطرفة مثل التطبير أو الأماكن المزدحمة ومخاطر التدافع وأي موقف سلبي يسبب الصدمة أو الخوف أو التعب المفرط إذ يجب أن تكون الزيارة مع الأطفال تحت برنامج مخطط له بعناية من قبل مصطحبيهم من أولياء الأمور كالآباء والأمهات أو أقاربهم من أعمام أو أخوال...الخ.

١٧. كثرة المجالس الحسينية و توعيتهم على الصلاة و حب الناس و إطاعة الوالدين.

١٨. تنظيم وتهذيب المادة المطروحه فكرياً وسمعياً والتركيز على رسالة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام.

١٩. تعلم حب المجالس.

٢٠. تعليم الأطفال وترسيخ عقيدتهم أن القضية الحسينية لاتقتصر على شهر محرم فقط وإنما على مدار السنة.

٢١. تدريب وتعليم الأطفال على الصفات الحسينية الهادفة.

٢٢. الاستمرار في بث الوعي الحسيني للاطفال وتشجيعهم ودعم المواكب التي يقيمها الأطفال لترسيخ قضية ومظلومية الحسين عليه السلام.

٢٣. فسح المجال أكثر لمشاركة الأطفال في خدمة وإرشاد الزائرين على الصلاة.

٢٤. الاهتمام بتنظيم الأطفال وليس تركهم يعملون في الموكب بدون توجيه وارشاد لينعكس على سلوكهم أن يكونوا منظمين في دراستهم وعملهم.

٢٥. تنظيم الأمور الدينية والالتزام الأخلاقي.

٢٦. أن تبقى دائما عقولهم وديانتهم على مسيرة أبي عبدالله الحسين.

٢٧. المشاركة شيء جيد لكن بعض الأطفال في فصل الدراسة يتهرب من المدرسة بحجة الموكب وهذا أمر سيء لابد من العاملين في المواكب حث الاطفال والشباب على التعلم.

٢٨. إعطاء أدوار بسيطة تشجعهم على المشاركة كقراءة القرآن أو الدعاء.

٢٩. أن يتبعها محاضرات توعوية تثقف على تقديم المساعدة للآخر بغض النظر عن معتقده ودينه وعرقه ، والحث على مشاهدة ما تنقله القنوات الفضائية من مجالس حسينية.

٣٠. ازرعو فيهم حب الحسين لأنه مفتاح النجاة ومن تربى في الخدمة عاش ملكاً، الطفل بذرةً صالحةً نزرعها في حب الحسين وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣١. الامتثال بالسلوكيات الحسنة وليس العكس كما نلاحظ بعض الأطفال يرمون الاوساخ في الشارع مما يساهم في اتساخ هذه الشوارع ويؤدي إلى مضاعفة عمل عُمّال النظافة وهذا عكس ما يدعو إليه ديننا.

٣٢. أن يشارك الآباء مع الأطفال، ويوجهونهم للعمل المنظم يعلمونهم التعاون مع الآخرين والعمل الجماعي.

٣٣. إبعادهم عن مراسم التطبير والدم كونهم في مقتبل العمر وممكن تنمية الأفكار وسيرة أهل البيت وتعليمهم الصلاة واحترام الآخرين والصدق والأمانة واستغلال هذه المناسبة لخلق جيل يسير على نهج اهل البيت.

٣٤. ان يقوم احد الاشخاص الذين لديهم خبرة بتوجيههم وديمومتهم بعد المناسبة.

٣٥. نتمنى فسح مجال أكثر للأطفال للمشاركة في المواكب.

٣٦. تعليمهم على الصلاة والالتزام في الدين.

٣٧. أن يكون الاهتمام بالأطفال أكثر وتوعيتهم بأمور دينهم وتعاليم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم ابناء المستقبل وعدم الاكتفاء بمشاركتهم في المجالس فقط ولكن يجب علينا أن نوضح لهم لماذا ضحى أهل البيت بأنفسهم وبعيالهم.

٣٨. المشاركه في المحاظرات الدينية.

٣٩. غرس المعلومات والأحداث التي تخص القضية الحسينية وغرس العلم والأدب

والاحترام والقيم التي تربى عليها آل بيت محمد وتنظيم حلقات دينية للتعرف على حياة الرسول والمعصومين بمنهج جعفري صحيح ومعلومات دقيقة.

٤٠. المشاركة الفعالة في المراسيم الحسينية في أوقات العطل.

٤١. أتمنى تخصيص مواكب للأطفال وتتضمن محاضرات دينية خاصة بهم لكي يعرفوا من هو شخص الحسين عليه السلام.

٤٢. من الضروري وجود مؤسسات تعليمية تعنى بهذه الشريحة من المجتمع مع الحرص على تقديم تعليم سليم للمراسيم الحسينية.

٤٣. التعلم على أخلاق أهل البيت.

٤٤. الانتباه إلى عدم المغالاة في الشعائر لكون هذه المبالغة قد تحرف سلوك هؤلاء الأطفال إلى التطرف وتنمية العنف المؤدي إلى الإرهاب.

٤٥. ارشادهم وحثهم على خدمة الامام الحسين عليه السلام وكيفية أدائها بصورة صحيحة.

٤٦. يجب علينا شرح القضية الحسينية للأطفال.

٤٧. يجب ان يكون له دور فعال ونشاطات في المواكب ولمراسيم ولمهرجانات الدينيه للتنميه لجيل المستقبل.

٤٨. يذهب مع ولي أمره ولا يترك وحده مع اصدقائه.

٤٩. الاستمرار في المحاظرات الدينية وزرع حب اهل البيت في نفوس الصغار والكبار ونشر مفاهيم ثورة أبا عبد الله الحسين.

٥٠. إقامة دورات تدريبية قبل شهر محرم الحرام كتوعية دينية عامة و اقامة دورات تعليم قراءة القرآن الكريم و تعليم الاطفال حفظ بعض الآيات القصيرة و احاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٥١. إشاعة روح الجماعة وتنمية الاخلاق.

٥٢. عدم طردهم و تعليمهم الصح عند الاساءة.

٥٣. تثقيف الاطفال بقضية الإمام الحسين ولماذا يفعلون تلك المراسيم من الخدمة وغيرها في كل عام من شهر محرم ولا ينبغي تركهم بدون تعليمهم بخصوص هذا الموضوع.

٥٤. تهذيب نشاطهم بما ينمي عقلية وسلوك الطفل كي لا يقتصر على النشاط الخدمي وإنما التركيز على الثقافة الفكرية للنهج الحسيني.

٥٥. حث الآباء على مشاركة أبنائهم في المجالس والمواكب الحسينية؛ لأنها تنعكس إيجابيا على أخلاقهم وسلوكياتهم وذلك من خلال تعاملهم مع مختلف الأجناس من الناس بروح طيبة وبدون كلل أو ملل طيلة فترة المناسبة الدينية مما يجعلهم يكتسبون هذه الجزئية البسيطة من المجالس والمواكب الحسينية.

التوصيات

١. تهيئة الأطفال نفسيًا قبل المشاركة في الزيارة من خلال الحديث معهم عن أهمية التجربة وماذا سيواجهون فيها.

٢. توفير بيئة مريحة للأطفال أثناء الزيارة، مثل أماكن استراحة مناسبة ووجبات غذائية صحية.

٣. إشراك الأطفال في أنشطة حسينية تناسب أعمارهم، مثل ورش الرسم أو رواية القصص الحسينية بطريقة مبسطة.

٤. تعزيز الجانب التوعوي من خلال تنظيم برامج تعليمية للأطفال أثناء الزيارة لتعريفهم بسيرة الإمام الحسين عليه السلام بشكل يناسب أعمارهم.

٥. تقديم الدعم النفسي للأطفال بعد العودة لمساعدتهم على التعبير عن مشاعرهم والتجارب التي مروا بها.

مصادر

١. القرآن الكريم ،سورة الحج ٣٢.

٢. العتوم،عدنان (٢٠٠٩) .علم النفس الاجتماع،مكتبة الجامعة ،الشارقة، الامارات العربية المتحدة

٣. عبد الله ، معتزخليفة، عبد اللطيف (٢٠٠١). علم النفس الاجتماعي .دار غريب، القاهرة.

٤. يوسف، عبد الناصر موسى (٢٠١٧): مهارات وقواعد النجاح في الحياة، ط١، عمان، دار خالد اللحياني لنشر والتوزيع.

٥. زهران، حامد عبد السلام (١٩٨٦): علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)، مصر، دار المعارف للطباعة.

٦. راجح، احمد عزت (١٩٦٨): أصول علم النفس، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

٧. (١٩٨٦): علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)، مصر، دار المعارف للطباعة.

٨. محمد، وهيبة شوكت (١٩٩٠): العوامل النفسية في جنوح الأحداث (بحث ميداني)، بغداد، الحوادث للطباعة والنشر والتوزيع.

٩. (١٩٨٦): علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)، مصر، دار المعارف للطباعة.

١٠. للصاصمة، محمد حرب (٢٠١١): المنحنى الاستراتيجي الشامل لعلم النفس التربوي بين النظرية والتطبيق، ط١، الأردن، عمان، دار البركة.

١١. أبو شعيرة، خالد محمد وغباري، ثائر احمد (٢٠٠٩): سيكولوجيا النمو الإنساني، بين الطفولة والمراهقة، ط١، عمان، مكتبة المجتمع العربي.

١٢. https://www.health.harard.edu blog/is-crying-for-you

١٣. الداغستاني، سناء عيسى (٢٠١٧): علم نفس الاجتماعي، ط١، بيروت، الرافدين للطباعة والنشر.

الدروس العالمية لمسيرة الأربعين: رؤية الغرب لمفهوم الإيثار والتضحية

م.م. ريم كاطع عطية البديري
جامعة القادسية – كلية التربية – قسم التاريخ
reem.gatea@qu.edu.iq

الملخص:

تُعد مسيرة الأربعين للإمام الحسين ﷺ واحدة من التجمعات البشرية السلمية الكبيرة في العالم، إذ تُجسد قيمًا إنسانية عالمية مثل الإيثار، التضحية، التسامح، والسلام. يشارك الملايين من الناس من مختلف الجنسيات والأديان في هذه المسيرة، ما يجعلها حدثًا فريدًا يحمل رسائل ذات أبعاد دينية وإنسانية. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الدروس العالمية التي تقدمها مسيرة الأربعين، مع التركيز على كيفية رؤية الغرب لهذه الظاهرة الإنسانية الفريدة. يعكس البحث القيم الأساسية للمسيرة، مثل العطاء غير المشروط، تعزيز التعايش السلمي، ودور التضامن المجتمعي في مواجهة التحديات، كما يناقش كيف ينظر الإعلام الغربي والأكاديميون إلى المسيرة، مع تحليل التحديات المتعلقة بفهم خلفيتها الثقافية والدينية. بالإضافة إلى ذلك، يستعرض البحث مقارنة بين القيم التي تعكسها المسيرة وتلك الموجودة في التراث الثقافي الغربي، مع التركيز على التقاطعات والاختلافات. كما يتناول دور المسيرة كأداة لتعزيز الحوار بين الثقافات والأديان وتحسين صورة الإسلام في العالم، أخيراً يقترح البحث استراتيجيات لتوسيع فهم الغرب لمسيرة الأربعين عبر تعزيز التغطية الإعلامية الإيجابية واستثمار القيم الإنسانية التي تقدمها المسيرة في سياقات عالمية أخرى، من خلال ذلك، تسعى الدراسة إلى تقديم رؤية متكاملة لمسيرة الأربعين كحدث إنساني عالمي يحمل رسائل تتجاوز الحدود الثقافية والدينية.

الكلمات المفتاحية: مسيرة الأربعين، الإمام الحسين، الإيثار، التضحية، التسامح، الحوار الثقافي، القيم الإنسانية، رؤية الغرب، الإعلام الغربي.

Global Lessons of the Arbaeen March: The Western Perspective on Altruism and Sacrifice

Asst.Lect. Reem Kadhim Atiya Al-Budairi

University of Al-Qadisiyah / College of Education / Department of History

Abstract:

The Arbaeen March of Imam Hussein (peace be upon him) is one of the world's largest peaceful human gatherings، embodying universal human values such as altruism، sacrifice، tolerance، and peace. Millions of people of different nationalities and religions participate in this march، making it a unique event carrying messages of both religious and humanitarian dimensions. This research aims to highlight the universal lessons offered by the Arbaeen March، focusing on how the West views this unique humanitarian phenomenon. The research reflects the core values of the march، such as unconditional giving، promoting peaceful coexistence، and the role of community solidarity in facing challenges. It also discusses how Western media and academics view the march، analyzing the challenges related to understanding its cultural and religious background. Furthermore، the research compares the values reflected in the march with those found in Western cultural heritage، emphasizing intersections and differences. It also addresses the role of the march as a tool for promoting intercultural and interfaith dialogue and improving the image of Islam worldwide. Finally، the study proposes strategies for expanding Western understanding of the Arbaeen March by promoting positive media coverage and leveraging the human values it represents in other global contexts. In doing so، the study seeks to present a comprehensive vision of the Arbaeen March as a global humanitarian event that carries messages that transcend cultural and religious boundaries.

Keywords: Arbaeen March، Imam Hussein، altruism، sacrifice، tolerance، cultural dialogue، human values، Western perspective، Western media.

المقدمة:

تعد مسيرة الأربعين للإمام الحسين ﷺ إحدى أكبر التجمعات الإنسانية السلمية التي تخرج كل عام، حاملةً في طياتها رسائل عميقة عن الإيثار، التضحية، التسامح، والسلام، فهذا الحدث العالمي، الذي يُشارك فيه الملايين من البشر من مختلف الأعراق والديانات، يُجسد قيمة إنسانية عالية تسعى إلى تجسيد مبادئ التضامن المجتمعي والتعايش السلمي، إن امتداد هذه المسيرة في الزمن والمكان، يحقق تفاعلاً ثقافياً بين الأفراد والجماعات، ويرسخ رسالة فريدة ذات أبعاد دينية وإنسانية تتجاوز الحدود الثقافية والدينية.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الدروس العالمية التي تقدمها مسيرة الأربعين، مع التركيز على كيفية رؤية الغرب لهذه الظاهرة الفريدة، إذ يُركز البحث على القيم الأساسية التي تعكسها المسيرة كالعطاء غير المشروط، والمشاركة في التحديات المشتركة، وكيفية تعزيز التعايش السلمي بين الشعوب، كما يتناول البحث كيفية تعامل الإعلام الغربي مع هذه الظاهرة، بالإضافة إلى استكشاف التصورات الأكاديمية الغربية تجاهها وتحديات فهم خلفيتها الثقافية والدينية، ومن خلال هذا البحث سنسلط الضوء على أوجه التشابه والاختلاف بين القيم المستوحاة من المسيرة وتلك الموجودة في التراث الثقافي الغربي، وسندرس دور المسيرة كأداة فعالة لتعزيز الحوار بين الثقافات والأديان، كما سنناقش استراتيجيات تحسين فهم الغرب لمسيرة الأربعين، مما يسهم في تحسين صورة الإسلام والمسلمين عبر تسليط الضوء على القيم الإنسانية التي يقدمها هذا الحدث، وتكمن أهمية هذا البحث في إبراز مسيرة الأربعين كحدث عالمي يُعزز القيم الإنسانية المشتركة بين الثقافات المختلفة،

مما يُسهم في تحسين الصورة العامة للإسلام في الغرب، كما يهدف البحث إلى فتح آفاق أوسع لفهم أعمق للقيم الإسلامية وعلاقتها بالتحديات الإنسانية العالمية، ويوضح كيفية إمكانية مسيرة الأربعين أن تكون نموذجاً مثالياً للتعايش والسلام العالمي، وتتمثل أهداف البحث، في تحليل القيم الإنسانية التي تحملها المسيرة وأثرها في تعزيز التعاون والتفاهم بين الشعوب، استكشاف كيفية تقديم الغرب لمسيرة الأربعين عبر الإعلام والأبحاث الأكاديمية، وعمل مقارنة بين قيم المسيرة والقيم الغربية، واقتراح استراتيجيات لتعزيز فهم الغرب لمسيرة الأربعين وزيادة تأثيرها في السياقات العالمية الأخرى.

أهمية البحث:

١. إبراز مسيرة الأربعين كحدث عالمي يُبرز القيم الإنسانية المشتركة بين الثقافات.
٢. تسليط الضوء على دور المسيرة في تحسين صورة الإسلام والمسلمين في الغرب.
٣. تعزيز فهم أعمق للقيم الإسلامية من خلال ربطها بالتحديات الإنسانية العالمية.
٤. توضيح كيف يمكن للمسيرة أن تكون نموذجًا للتعايش والسلام العالمي.

أهداف البحث:

١. تحليل القيم الإنسانية في مسيرة الأربعين وتأثيرها عالميًا.
٢. استكشاف كيفية رؤية الغرب لمسيرة الأربعين من خلال الإعلام والدراسات الأكاديمية.
٣. مقارنة القيم المستوحاة من المسيرة بالقيم الغربية المشتركة.
٤. اقتراح استراتيجيات لتعزيز فهم الغرب لمسيرة الأربعين وزيادة تأثيرها العالمي.

أسئلة البحث:

١. ما هي القيم الإنسانية التي تعكسها مسيرة الأربعين وكيف يتم التعبير عنها؟
٢. كيف يتم تقديم مسيرة الأربعين في الإعلام الغربي؟
٣. ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين قيم مسيرة الأربعين والقيم الإنسانية في الثقافات الغربية؟
٤. كيف يمكن لمسيرة الأربعين أن تسهم في تعزيز الحوار الثقافي والديني بين الشرق والغرب؟
٥. ما هي التحديات التي تواجه فهم الغرب لمسيرة الأربعين، وكيف يمكن التغلب عليها؟

الجديد في البحث:

١. التركيز على رؤية الغرب لمسيرة الأربعين من خلال زوايا إعلامية وثقافية وأكاديمية.
٢. تحليل مسيرة الأربعين كظاهرة إنسانية عالمية تتجاوز البعد الديني.
٣. تقديم مقارنة مبتكرة بين قيم المسيرة والقيم الغربية لتعزيز فهم مشترك.
٤. اقتراح حلول عملية لتحسين تغطية الإعلام الغربي لهذه الظاهرة وتعزيز الحوار بين الثقافات.
٥. تقديم استراتيجيات لاستثمار قيم المسيرة في سياقات عالمية، مثل الأزمات الإنسانية والسلام الدولي.

أولاً: الجذور التاريخية والدينية لمسيرة الأربعين

تعتبر مسيرة الأربعين للإمام الحسين ﷺ واحدة من أبرز المعالم في تاريخ الأمة الإسلامية، إذ تمثل تجسيداً لقيم التضحية والإيثار في سبيل الحق، وتعود هذه المسيرة إلى ثورة الإمام الحسين في كربلاء عام ٦١هـ، التي كانت بمثابة مقاومة للظلم والاستبداد الذي مارسته السلطة الأمويّة بقيادة يزيد بن معاوية، فلم تكن ثورة الإمام الحسين تهدف فقط إلى الانقلاب السياسي، بل إلى إحياء مبادئ الإسلام الحقيقية التي كانت مهددة بالتشويه (سجادي تبار والأحمديان، ١٤٢٥هـ، ص. ٦)، كما أظهرت هذه الثورة أن التضحية ليست مقتصرة على التغيير السياسي، بل تمتد إلى الأبعاد الإنسانية والدينية، فالإمام الحسين ﷺ، وهو حفيد النبي محمد ﷺ قرر أن يضحي بنفسه وأهل بيته وأصحابه رغم معرفته بأن النتيجة ستكون الاستشهاد، وذلك دفاعاً عن الحق والعدالة، ففي إحدى خطبه قبل المعركة، قال الإمام الحسين ﷺ: « وأني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب ﷺ فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»(المجلسي، ١٩٨٣، ج. ٤٤، ص. ٣٣٠)، وقال ﷺ: «إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي، فيا سيوف خذيني»(الأمين، ١٩٨٣، ج. ١، ص. ٥٨١)، فبهذه الكلمات يوضح الإمام الحسين هدفه الأسمى في إحياء المبادئ الإسلامية السامية، تجسد تضحية الإمام الحسين في كربلاء أعلى درجات الإيثار في سبيل المبادئ الدينية، إذ ضحى بنفسه وأصحابه ليحفظ الإسلام من الفساد، وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين»(المفيد، ١٩٩٣، ج. ٢، ص. ١٢٧)، يظهر الرابط العميق بين النبي والإمام الحسين، مؤكداً على أن الحسين

عليه السلام كان يجسد معاني الكمال في الالتزام بالمبادئ الإسلامية، وتوجد العديد من الآيات القرآنية التي تؤكد على قيمة التضحية في سبيل الله، كقوله تعالى:﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ (القرآن الكريم، البقرة: ٢٧٢)، ما يعزز المعنى الديني للتضحية، كما تجسد ثورة الحسين عليه السلام مفهوم الشجاعة والإصرار على الحق رغم التهديدات، وتُعرف هذه الزيارة بـ»زيارة الأربعين» لارتباطها بمرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، في واقعة كربلاء يوم العاشر من محرم سنة ٦١ هـ، وتأتي الزيارة في العشرين من صفر، وهو التاريخ الذي حضر فيه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري إلى كربلاء لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، ليُعتبر بذلك أول زائرٍ له، وقد وردت روايات عديدة تصف مشهد هذه الزيارة، منها ما نقله المؤرخون عن خطاب جابر عند القبر الشريف إذ قال: « يا حسين ثلاثا، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: وأنّى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك وفُرّق بين بدنك ورأسك،...السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين»(النمازي الشاهرودي، ١٤١٨هـ، ج. ١٠، ص. ٢١٠)، وقد أثار هذا المشهد حواراً بين جابر وعطية العوفي، إذ سأله الأخير عن كيفية المشاركة في أجر الشهداء دون القتال، فأجاب جابر مستشهداً بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب قوماً كان معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم»(النمازي الشاهرودي، ١٤١٨هـ، ج. ١٠، ص. ٢١٠)، فهذا الحوار يكتسب أهمية خاصة في فهم الأسس العقائدية التي قامت عليها زيارة الأربعين كشعيرة تجسد التواصل المعنوي مع شهداء كربلاء، ومن الناحية التاريخية، ثمة جدل حول أول زائر لقبر الحسين عليه السلام، إذ تذكر بعض المصادر أن عبد الله بن الحر الجعفي كان أول من زار القبر ورثى الإمام بقصيدة مطلعها:

يقول أمير غـــادر وابن غادر ألاكنت قاتلت الحسين بن فاطمه
فيا ندمـــي أن لا أكون نصرته ألا كل نفس لا تســـدد نادمه
(البروجردي، ١٤١٥هـ، ج. ١٣، ص. ٤٢٦)

أما من الناحية الاجتماعية، فقد ارتبطت زيارة الأربعين بعادات العزاء المتوارثة، إذ تشير الروايات إلى أن الكون بكى على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً: «بكت السماء على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت أربعين صباحاً بالحمرة»(محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج١٤، ص١٨٣)، هذه الرمزية الكونية أعطت للزيارة بعداً يتجاوز الممارسة الفردية إلى ظاهرة اجتماعية متجذرة، خاصة مع ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام من أن بكاء السماء أربعين يوماً إشارة إلى هذه الشعيرة(النوري الطبرسي، ١٩٨٨، ص. ٣١٤).

وقد تطورت زيارة الأربعين لتصبح مظهراً من مظاهر التجديد العاطفي والروحي للعهد مع قيم كربلاء، فتطورت عبر الزمن لتصبح حدثاً جماعياً ضخماً، في البداية كانت تقتصر على الزوار القادمين إلى كربلاء من العراق والمناطق المجاورة، ولكن مع مرور الوقت توسعت المسيرة لتشمل المسلمين من مختلف أنحاء العالم، ومع التقدم التكنولوجي، أصبحت المسيرة تستقطب الملايين من الزوار سنوياً من أوروبا ودول القارة الأمريكية والقارة الافريقية واستراليا(الكرباسي، ٢٠١٥، ص. ١٠٠)، بما في ذلك الأشخاص من مختلف الأديان والثقافات، فهذه المسيرة تمثل حدثاً عالمياً لا يقتصر على الجانب الديني فحسب، بل يعكس أيضاً قيماً إنسانية كالسلام، والتسامح، والتعايش السلمي، إن مسيرة الأربعين تعد أكثر من مجرد ذكرى لحدث

تاريخي، فهي دعوة سنوية للتأكيد على التضحية من أجل الحق والعدالة، فمن خلال هذه المسيرة، يتجدد العهد بمبادئ الحسين ﷺ، ويُعيد الناس التأكيد على التزامهم بالقيم الإنسانية السامية، فقد روي عن الإمام الصادق ﷺ في فضل زيارة الإمام الحسين ﷺ أنه قال: «من أتى قبر الحسين ﷺ عارفا بحقه كتب الله له أجر من أعتق ألف نسمة وكمن حمل على ألف فرس مسرجة ملجمة في سبيل الله»(الكليني، ١٤٠٧هـ، ص. ٥٨١)

ثانياً: القيم الإنسانية في مسيرة الأربعين

تجسد مسيرة الأربعين للإمام الحسين ﷺ القيم الإنسانية النبيلة كالإيثار، والتضحية، السلام، التسامح، الصبر، والتحمل، فضلاً عن التضامن المجتمعي، فهذه القيم التي حملتها المسيرة لا تقتصر على بعد ديني فقط، بل تتجاوز ذلك لتكون دعوة إنسانية للتعايش السلمي بين مختلف الأديان والثقافات، فالإيثار والتضحية كانا من السمات البارزة في ثورة الإمام الحسين ﷺ، إذ قدم الإمام وأصحابه أنفسهم فداءً للقيم الإسلامية السامية في مواجهة الطغيان والظلم، فقد خاطب الإمام الحسين ﷺ أصحابه ليلة العاشر من محرم قائلاً: «من كان فينا باذلاً مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل فإني راحل مصبحاً إن شاء الله»(أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، ١٩٨٥، ص. ٢٣٩)، وهذا يؤكد أن ثورته لم تكن قائمة على إجبار أو طمع دنيوي، بل على قناعة تامة بأن الوقوف ضد الظلم واجب ديني وإنساني، وبالتالي يمكن القول إن ثورة الإمام الحسين ﷺ لم تكن مجرد حدث عابر، بل كانت حركة إصلاحية كبرى غيرت مجرى التاريخ الإسلامي ورسخت قيم الإيثار والتضحية والكرامة والعدالة، ويؤكد القرآن الكريم على مفهوم التضحية في سبيل الله، كما جاء في

قوله تعالى:(إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم) (القرآن الكريم.أسورة التوبة: ١١١)، وهو ما يعكس أهمية الإيثار في حياة الإنسان، هذه التضحية لم تكن مقتصرة على الحسين وأصحابه فحسب، بل كانت مشهدًا عظيماً لشجاعة وتفاني الجميع من أهل بيته ومن تبعه، بل حتى الأطفال الذين استشهدوا على أرض كربلاء كانوا في استجابة لتلك الدعوة المقدسة لتقديم النفس فداءً للإسلام، أما عن السلام والتسامح، فتجسد هذه القيم بشكل واضح في مسيرة الأربعين، إذ يتجمع الملايين من الزوار في مشهد يُظهر الوحدة الإنسانية بعيدا عن أي تعصب طائفي أو ديني، يتميز الزوار من مختلف الأديان والثقافات بالروح السلمية التي يختلط فيها البكاء على الحسين عليه السلام مع الدعوات للسلام والتآخي بين الناس، ففي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الحسين مصباح هدى، وسفينة نجاة»(القمي الصدوق، ١٩٨٤، ص. ٦٢)، نرى أن رسالة الإمام الحسين تتجاوز حدود الزمان والمكان، إذ إن قيمه ومبادئه تسعى لتحقيق السلام في الأرض، كما كان الصبر والتحمل من أبرز القيم التي تجسدها مسيرة الأربعين، فقد تحمل الإمام الحسين وأهل بيته أصعب أنواع البلاء والصعوبات، بدءً من تحملهم للمشاق في طريقهم إلى كربلاء، وصولاً إلى معركة الطف وما تخللها من صبر عظيم أثناء استشهادهم واحداً تلو الآخر، وقد أكد أهل البيت عليهم السلام في أكثر من موقف على قيمة الصبر في مواجهة الابتلاءات، ففي حديث زينب بنت علي عليها السلام حين سألها ابن زياد كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك، فقالت: «ما رأيت إلا جميلا، هؤلاء قوم كتب عليهم القتال فبرزوا إلى مضاجعهم»(الطاووس، ١٤٢٥هـ، ص. ٩٤)، وهو ما يعكس الصبر العظيم في مواجهة المصير المحتوم، فالصبر هنا لم يكن مجرد تحمل الأذى الجسدي، بل كان صبراً على الأذى النفسي، وعلى قسوة الظروف، وعلى التحديات الكبيرة التي فرضتها معركة كربلاء.

أما التضامن المجتمعي فقد تجسد بشكل ملحوظ في مسيرة الأربعين، إذ يجتمع الملايين من الزوار من مختلف أنحاء العالم في مسيرة واحدة، يعبرون من خلالها عن دعمهم لمبادئ الإمام الحسين التي تنادي بالعدالة والمساواة، فهذه المسيرة تمثل نموذجاً حياً للتضامن المجتمعي بين الشعوب المختلفة، فهي تعبير عن الوحدة الإنسانية في مواجهة الظلم والطغيان، ويؤكد على هذا التضامن المجتمعي ما ورد في الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام أثناء المسير إلى كربلاء: « إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»(الحراني، ١٤٠٤هـ، ص. ٢٤٥)، ما يعكس أن التضامن في الشدائد يعزز التماسك الاجتماعي ويسهم في تجاوز الأزمات، وهنا يمكن القول إن مسيرة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام ليست مجرد إحياء لذكرى استشهاد الإمام وأهل بيته، بل هي منصة حية لإظهار القيم الإنسانية السامية مثل الإيثار، التضحية، السلام، التسامح، الصبر، والتحمل، والتضامن المجتمعي، فهي دعوة مفتوحة للجميع من مختلف الأديان والثقافات للتوحد تحت راية الحق والعدالة، كما أن هذه المسيرة تقدم رسالة عظيمة للمجتمعات المعاصرة في كيفية مواجهة التحديات والصعاب بروح من السلام والتضامن.

ثالثاً: رؤية الغرب لمسيرة الأربعين

جذبت مسيرة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام الانتباه على مستوى العالم، إذ يشارك فيها الملايين من الناس في مسيرة سلمية تمتد من كربلاء إلى مدينة النجف في العراق، بالنظر إلى هذا الحدث من زاوية الغرب، نجد أن هناك تبايناً في كيفية تقديمه، إذ تتنوع التغطية الإعلامية الغربية بين الإيجابيات والسلبيات، في وقت يشهد فيه الغرب على صورة محورية للإسلام والمسلمين عبر مسيرة عظيمة كهذه، فمن ناحية

التغطية الإعلامية الغربية، يمكن القول إن العديد من وسائل الإعلام قد قدمت صورة إيجابية لمسيرة الأربعين باعتبارها حدثًا يعكس القيم الإنسانية المشتركة مثل السلام، التسامح، والوحدة بين الأديان. على سبيل المثال، قدمت بعض الصحف الغربية تقارير عن التضحيات العظيمة التي يقدمها المشاركون في المسيرة، مع التركيز على الطابع السلمي والتنظيم الفائق الذي يسود المسيرة. في هذا السياق، تناولت وسائل إعلام مثل ذي ناشيونال البريطانية الحدث بشكل إيجابي، واختارت صوراً من زيارة الأربعين كواحدة من أفضل الصور عالمياً، وذكرت الصحيفة في خبر ترجمته وكالة «المعلومة» أن أعداداً ضخمة من الزائرين من داخل العراق ومن مختلف دول العالم بدأت بالتحرك سيراً على الأقدام نحو مدينة كربلاء لأداء مراسم الزيارة، التي عادة ما تضم حشوداً مليونية تتزايد في كل عام عبر مسيرة ضخمة(وكالة المعلومة، ٢٠٢٤)، ولعل هذه التغطيات الإيجابية عادة ما تكون سبباً في إعلان إسلام بعض المتأثرين بها ومثال ذلك القس الصربي كوران آسيج الذي أعلن إسلامه وتشيعه في يوم ١٦ صفر ١٤٤٠ه، فحين التقاه مراسل قناة كربلاء الفضائية وسأله عن سبب تحوله من المسيحية إلى الإسلام كان جوابه: «زرت العراق خلال زيارة الأربعين وما نراه من تظاهرة مليونية نحو كربلاء المقدسة يعبر في الواقع عن سلامة منهج الإمام الحسين عليه السلام فالحسين حبه مغروس في قلبي كما هو حب أهل بيته الكرام وكل زائر»(الكرباسي، ٢٠٢٢، ص. ٨٢-٨٣).

ومع ذلك، لا تخلو التغطية الإعلامية الغربية من بعض السلبيات، إذ يتم في بعض الأحيان اختزال مسيرة الأربعين في سياقها الديني بشكل ضيق، مما يؤدي إلى تصورات مغلوطة عن الدين الإسلامي فيتم التركيز بشكل مفرط على الطابع الديني والطقوسي للمسيرة، دون التطرق إلى الرسائل الإنسانية الكبرى التي تحملها، كما أن

بعض الإعلام الغربي يصر على ربط هذه المسيرات بالعنف أو بالتحركات الدينية المتشددة، رغم أن مسيرة الأربعين في جوهرها لا علاقة لها بالعنف أو الصراع، بل هي دعوة للسلام والإصلاح حتى يطلع العالم على حجم التضحية الحسينية وما تركته من تراث غني للبشرية(الخزرجي، ٢٠١٨، ص. ٣٤٣).

أما في ما يخص الدراسات الأكاديمية الغربية، فإن هناك اهتمامًا متزايدًا في الآونة الأخيرة بدراسة مسيرة الأربعين من منظور اجتماعي وثقافي وديني، ففي العديد من الجامعات الغربية، تم إجراء دراسات مقارنة بين مسيرة الأربعين وأحداث دينية مماثلة في الثقافات الأخرى، مثل الحج في الإسلام أو مواكب دينية في الهند، لكن المشكلة التي تواجه هذه الدراسات هي العجز عن فهم السياقات الثقافية والدينية العميقة التي تحيط بالمسيرة، فالباحثون الغربيون في كثير من الأحيان يتعاملون مع الظاهرة من خلال عدسة علمية لا تتيح لهم النفاذ إلى الجوهر الروحي والسياسي لهذا الحدث، ما يجعل دراساتهم تفتقر إلى الفهم الكامل، تتمثل التحديات التي تواجه الغرب في فهم مسيرة الأربعين في الصور النمطية التي تم تكريسها عن الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، إذ لا يزال هناك تصوّر عام في بعض الأوساط الغربية أن الإسلام مرتبط بالإرهاب والتطرف، فهما العنوان الأساسي لأي ملف يتعلق بالمسلمين(شاكر، ٢٠١٩، ص. ١٣٨)، فيتوجب على الإعلام الغربي والأكاديميين العمل على كسر هذه الصور النمطية من خلال تقديم تغطية متوازنة ومنصفة للحدث، إذ يتم التركيز على القيم الإنسانية التي يحملها كالتضحية، التسامح، والمساواة والعدالة الاجتماعية، هدف إنساني واحد(رضوان، ٢٠١٦، ص. ٨١).

رابعاً: مقارنة القيم بين مسيرة الأربعين والثقافات الغربية

تحمل مسيرة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام قيماً عظيمة تتلاقى مع العديد من القيم الإنسانية المشتركة في الثقافات الغربية، ولكنها تتميز أيضاً بعناصر فريدة تستند إلى البعد الروحي والديني للإسلام، فمن خلال دراسة هذه المسيرة وتفاعلها مع الثقافات الغربية، يظهر التقاطع بين القيم الإنسانية العالمية كالتضامن الإنساني، فهي قيمة تجسدها المسيرة بوضوح من خلال تضافر جهود الملايين من المشاركين من مختلف الأديان والثقافات. ففي مسيرة الأربعين، نشهد التقاء الناس على أساس إنساني بحت، إذ يتجمع الجميع لتكريم ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، ويعملون معًا في تناغم لتحقيق هدف مشترك(الكرباسي، ٢٠١٥، ص. ١٠٢)، وهي قيم مشابهة لتلك التي تروج لها العديد من الحركات الإنسانية في الغرب، في هذا السياق، يمكن مقارنة مسيرة الأربعين مع بعض مظاهر التضامن الإنسانية التي تجسدت في ثقافات غربية، مثل حملات الإغاثة الإنسانية في حالات الكوارث أو حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة. وتظهر هذه الحركات أيضًا كيف يمكن للأفراد من خلفيات متنوعة أن يتحدوا من أجل قضايا إنسانية عظيمة، على الرغم من هذا التقاطع، هناك فروق جوهرية تتعلق بالبعد الروحي والديني لمسيرة الأربعين التي تميزها عن الحركات الإنسانية الغربية، ففي الثقافات الغربية، يضع النظام العالمي الاعتبارات الإنسانية في أولويات اهتماماته(حسانين، ٢٠٠٨، ص. ٣٨)، في حين أن مسيرة الأربعين محورية في بعدها الديني الروحي. فالمشاركون في المسيرة لا يتجمعون فقط من أجل التضامن الإنساني، بل أيضاً من أجل إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام الذي قدم حياته في سبيل الله، محققًا أعلى درجات التضحية، فقد ورد عن الإمام الحسين عليه السلام في حديثه الشهير: «إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا

برما»(الحلي، ١٩٥٠، ص. ٣٠)، إذ يعكس هذا الحديث بعداً روحانياً عميقاً، وهو ما يميز مسيرة الأربعين عن الحركات الغربية التي غالبًا ما تركز على البعد الاجتماعي والسياسي بدون ارتباط ديني قوي، ومن ناحية أخرى تبرز في مسيرة الأربعين أيضًا قيمة التسامح التي تتلاقى مع العديد من القيم الغربية، إذ يشهد الحدث تفاعلًا سلمياً بين المسلمين وغير المسلمين في بيئة مشتركة من الاحترام المتبادل، العديد من المشاركين من غير المسلمين يعبرون عن تقديرهم للإمام الحسين ودعوته إلى العدل والحرية، فعلى سبيل المثال في ٢٠ صفر ١٤٣٥ه، الموافق ٢ كانون الثاني ٢٠١٤م، وصل إلى كربلاء المقدسة لإحياء مراسم الأربعين وزيارة الإمام الحسين عليه السلام أكثر من ثمانية عشر مليون نسمة حسب التقرير الرسمي وكان نصف مليون منهم من الدول الأوروبية ومجموع الأجانب بلغ ٢،٤٢٧٩٠٣ نسمة، ونشرت وزارة النقل ووزارة الداخلية العراقية تفاصيل دقيقة مبينة بأن القادمين كانوا من جميع دول أوروبا وأفريقيا واستراليا وكذلك من دول الخليج وتركيا وأفغانستان وباكستان، مما يعكس وحدة إنسانية في إطار ديني روحي، وهذا يمثل تقاطعًا مع فكرة التسامح والاحترام المتبادل التي تروج لها الثقافات الغربية الحديثة(الطاووس، ١٤٢٥هـ، ص. ٩٤).

ومع ذلك، الفروق بين مسيرة الأربعين والثقافات الغربية لا تقتصر فقط على البعد الديني، بل تتعلق أيضًا بالجانب الرمزي لعملية التضحية، ففي حين أن التضحية في مسيرة الأربعين لا تقتصر على تضحيات الجسد بل تشمل التضحيات النفسية والعاطفية، فإن الثقافة الغربية تميل إلى التركيز على التضحية الجسدية أو الشخصية في سياقات إنسانية بحتة، كالتضحيات العسكرية أو المساعدات الإنسانية، ومن خلال مقارنة القيم بين مسيرة الأربعين والثقافات الغربية يمكننا القول أن هناك تقاطعات

إنسانية واضحة مثل التضامن والتسامح، لكن هناك أيضًا فروقاً فريدة تتعلق بالبعد الروحي والديني، وبالتالي فإن مسيرة الأربعين ليست مجرد حدث اجتماعي أو سياسي، بل هي حدث يتجاوز الحدود المادية ليصل إلى أعمق معاني التضحية والإيثار في سبيل الله، وهو ما يميزها عن الحركات الغربية التي غالباً ما تفصل بين الديني والإنسانية.

خامساً: التأثير العالمي لمسيرة الأربعين

تستقطب مسيرة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام الزوار من مختلف أنحاء العالم، ما يعكس تأثيرها العميق على المستوى العالمي في جوانب متعددة، فتعزيز الحوار الثقافي والديني من أبرز نتائج مسيرة الأربعين وهو تعزيز الفهم المتبادل بين الثقافات والأديان المختلفة، حيث يشارك في هذه المسيرة المسلمون من كافة المذاهب والطوائف والدول والقارات(الكرباسي، ٢٠١٥، ص. ١٠١-١٠٢)، مما يساهم في بناء جسر من الحوار والتفاهم، فالاحتشاد الجماهيري يتيح فرصة للتعرف على قيم وأخلاقيات الإسلام الأصيل، القائمة على السلم والمحبة والعدالة. في هذا السياق، نجد أن الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(الهندي، ١٩٨٥، ص. ١٦)، وهو ما يشير إلى القيمة الكبيرة للأخلاق والاحترام المتبادل، وهي سمة بارزة في مسيرة الأربعين، حيث يظهر الزوار من مختلف الأطياف كيف يمكن التعاون من أجل هدف نبيل، وتُعد هذه المسيرة نموذجاً حياً لقوة الإسلام الناعمة في التأثير على العالم، فهي تجسد القيم الإسلامية السامية من صبر، وتضحية، ومقاومة للظلم، وهي قيم يسعى الكثيرون للاحتذاء بها، وللمسيرة أثر كبير في جذب السياحة الثقافية والدينية، إذ تشهد كربلاء سنويًا توافد ملايين الزوار، سواء كانوا من المسلمين أو غيرهم(الكرباسي، ٢٠١٥، ص. ١٠١-١٠٢)، مما يساهم في تعزيز السياحة الثقافية والدينية، هذا النوع من

السياحة لا يقتصر على زيارة الأماكن المقدسة فقط، بل يمتد إلى تجربة الثقافة الإسلامية في أبهى صورها من خلال المحاضرات والندوات التي تقام في المساجد والحسينيات، والمشاركة في المواكب والفعاليات التي تروي قصة كربلاء، وإلى جانب الأبعاد السابقة تجسد المسيرة أيضاً تأكيداً على العدالة الاجتماعية، فالزوار يشاركون جميعاً في المسير دون تمييز اجتماعي أو اقتصادي، ما يعكس روح التضامن والمساواة التي دعا إليها الإسلام، والتي عبّر عنها الإمام الحسين ﷺ بقوله: «الناس عبيد الدنيا، وإذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»(الريشهري، ١٣٧٥هـ، ص. ٩٠٧).

وبالتالي فمن خلال مظاهر التضامن والعدالة التي تجسدها، وتوافد الزوار من كافة أنحاء العالم، تساهم المسيرة في رسم صورة مشرقة للإسلام بما يحمله من قيم إنسانية سامية.

سادساً: التحديات والتصورات المستقبلية

تواجه مسيرة الأربعين العديد من التحديات الإعلامية والثقافية التي تتطلب رؤى مستقبلية مبتكرة لتعزيز دورها في الساحة العالمية، فمن التحديات الإعلامية التي تواجه المسيرة هو تشويه الصورة الإعلامية لبعض جوانبها، خاصة في وسائل الإعلام الغربية التي قد تركز على الأحداث السلبية أو الحالات الشاذة دون تسليط الضوء على المعاني السامية للحدث، ففي مواجهة هذا التحدي، يمكن استخدام الإعلام الرقمي ومنصات التواصل الاجتماعي كأداة رئيسية للتصحيح ونقل الصورة الحقيقية للمسيرة، فكما يقول الإمام علي ﷺ: «الناس أعداء ما جهلوا»(الشاهرودي، بدون تاريخ، ص. ١٤٦)، ويظهر هذا بشكل واضح في كيفية تفسير الإعلام الغربي لبعض مظاهر المسيرة التي تنبثق منها رسائل التضحية والسلام، من خلال إنشاء محتوى إعلامي يتسم بالشفافية ويعرض التأثيرات الإنسانية والإيجابية للمسيرة، يمكن تقديم صورة أكثر توازناً.

أما التحديات الثقافية، فهي تتعلق بالاختلافات في التصورات الثقافية والدينية حول طبيعة المسيرة ودلالاتها، فالعديد من الشعوب والمجتمعات قد لا تدرك العمق الثقافي والروحي لهذا الحدث الكبير، مما يقتضي بناء آليات للتثقيف والتوعية الثقافية من خلال برامج تعليمية ومؤتمرات حوارية بين الأديان والمذاهب، على سبيل المثال، يمكن للجامعات والمؤسسات الأكاديمية تنظيم دراسات حول المسيرة لتسليط الضوء على المفاهيم الإسلامية المرتبطة بالعدالة الاجتماعية والصبر(خطيب، ٢٠٢٠، ص. ١٥٦)، ما يعزز من فهم الآخرين لهذا الحدث، وفيما يتعلق بـ تطبيق قيم المسيرة في حل الأزمات الإنسانية، يمكن اعتبار مسيرة الأربعين نموذجاً عملياً للتضامن الإنساني في مواجهة الأزمات، فالقيم التي تجسدها المسيرة، كالإيثار، والعدالة الاجتماعية، والمقاومة ضد الظلم، هي قيم يمكن تطبيقها في سياقات إنسانية متعددة، من الإغاثة في مناطق النزاعات إلى تقديم المساعدة للاجئين. كما أن التضحية التي جسدها الإمام الحسين ﷺ في كربلاء يمكن أن تُلهم الناس في السعي لحل الأزمات الإنسانية عبر تبني الحلول السلمية، حتى أن الكثير من الشخصيات الفكرية والسياسية استلهمت منها دروس العزة والكرامة، فقال المهاتما غاندي، قائد الاستقلال الهندي: «علمني الحسين كيف أكون مظلوما فأنتصر»(العاملي، ١٤٢٢هـ، ص. ٥٦٣)، وهو ما يدل على أن مبادئ كربلاء تجاوزت حدود العالم الإسلامي وأصبحت نموذجاً عالمياً للرفض المطلق للظلم، ولا يمكن الحديث عن الثورة الحسينية دون الإشارة إلى الأثر العميق الذي تركته في الوعي الإسلامي، فقد أصبحت كربلاء رمزًا خالدًا للصمود في وجه الطغيان، وتجسيدًا حيًا لقوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (القرآن الكريم، سورة البقرة: ١٥٥)، فالإمام الحسين ﷺ وأصحابه جسّدوا أسمى معاني الصبر والإيثار، عندما ضحوا بحياتهم من أجل بقاء القيم الإسلامية الأصيلة وهذا يدل على أن المسيرة لا تقتصر على إحياء ذكرى تاريخية، بل تدعو إلى الإصلاح المستمر في الواقع الاجتماعي والسياسي.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ، آذار - ٢٠٢٦م

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة حول الدروس العالمية لمسيرة الأربعين ورؤية الغرب لمفهوم الإيثار والتضحية، فقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها:

- بيّنت الدراسة أهمية مسيرة الأربعين كظاهرة إنسانية عالمية إذ تُعد مسيرة الأربعين للإمام الحسين ﷺ حدثاً إنسانياً ضخماً يعكس قيماً عالمية مثل الإيثار، التضحية، التسامح، والسلام، وتجمع بين الشعوب من مختلف الجنسيات والأديان، فهذه المسيرة تجسد معاني إنسانية تلامس التحديات العالمية المعاصرة، كالتضامن المجتمعي، وتعزيز التعايش السلمي، وتقديم نموذج فريد للعطاء غير المشروط.
- أظهرت الدراسة التحديات أمام فهم الغرب للمسيرة إذ أن الصورة الإعلامية الغربية غالباً ما تقتصر على قوالب سلبية أو قاصرة عن استيعاب البعد الروحي العميق للمسيرة، وفضلاً عن ذلك يظل هناك صعوبة في تجاوز الصور النمطية حول الإسلام والمسلمين، مما يعيق الفهم الكامل للقيم التي تحملها المسيرة.
- أوضحت الدراسة رؤية الغرب لمسيرة الأربعين فبالرغم من بعض التحديات، فإن هناك محاولات متزايدة من الإعلام الغربي والأوساط الأكاديمية لفهم هذه المسيرة من منظور إنساني يعزز من صورة الإسلام كدين يشجع على السلام والتعايش، إذ يجب العمل على تسليط الضوء على القيم الإنسانية للمسيرة في الإعلام الغربي، مما يسهم في تعزيز الحوار بين الثقافات ويعزز الفهم المتبادل.
- بيّنت الدراسة التقاطع بين قيم مسيرة الأربعين والقيم الغربية كالتضامن الإنساني والمساواة والعدالة، ومع ذلك يظل البعد الروحي والديني للمسيرة فريداً ويحتاج إلى مزيد من الفهم والتفسير في سياقات غير دينية.

- أظهرت الدراسة أن مسيرة الأربعين تمثل فرصة هائلة لتعزيز الحوار الثقافي والديني بين الشرق والغرب، إذ يمكن أن تكون منصة لتبادل الأفكار والقيم وتعزيز التفاهم بين الأديان، فمن خلال التفاعل والتواصل المباشر بين المشاركين من مختلف الأعراق والديانات، تسهم المسيرة في بناء جسر للتعاون الدولي.

التوصيات:

- تعزيز التغطية الإعلامية الإيجابية، فيوصى بتكثيف الجهود الإعلامية الغربية لتسليط الضوء على جوانب مسيرة الأربعين الإنسانية والروحية، إذ يجب أن تتضمن التغطية الإعلامية تقارير ومقالات تبرز القيم الإنسانية التي تعكسها المسيرة وذلك لتقليل الفجوة في الفهم بين الغرب والمسلمين.
- تنظيم فعاليات ثقافية ودينية مشتركة فيُوصى بتنظيم فعاليات حوارية ثقافية ودينية بين الشرق والغرب لتبادل المعرفة حول مسيرة الأربعين، إذ يمكن لهذه الفعاليات أن تساهم في تصحيح المفاهيم الخاطئة وتعزيز التفاهم المتبادل حول القيم الإسلامية والإنسانية التي تحملها المسيرة.
- إجراء دراسات أكاديمية موسعة في الغرب، فيوصى بدعم الدراسات الأكاديمية الغربية التي تتناول مسيرة الأربعين من منظور إنساني وديني شامل.
- استثمار قيم المسيرة في معالجة الأزمات الإنسانية، إذ يمكن استخدام القيم التي تروج لها مسيرة الأربعين، كالتضامن المجتمعي والإيثار، في سياقات عالمية كالأزمات الإنسانية، بهدف تعزيز التعاون الدولي والحد من التحديات التي تواجه المجتمعات المختلفة في أوقات الأزمات.

المصادر:

١. القرآن الكريم

٢. ابن الأثير، علي بن أبي الكرام، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.

٣. أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥.

٤. أحمد رشاد حسانين، الغرب وصناعة الكراهية في نقد الإسلاموفوبيا والعولمة، دار اكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٥. إياد صلاح شاكر، ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) في الغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

٦. حسين البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، مطبعة المهر، نشر الصحف، قم المقدسة، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٧. حسن بن علي النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ه.

٨. الحسن بن علي بن الحسين ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ه.

٩. حسين سجادي تبار محمود الأحمديان، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم عليه السلام منظمة الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ه.

١٠. العاملي، الانتصار، دار السيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه.

١١. عبير بيسوني رضوان، ثورات الأمم ثورات مصر وانعكاساتها الإقليمية والعالمية، الدار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

١٢. علي المتقي بن حسان الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥.

١٣. علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، تح: فارس تبريزيان الحسون، دار الأسوة للطباعة والنشر، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥ه.

١٤. محسن الأمين، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.

١٥. محمد الريشهري، ميزان الحكمة، دار الحديث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٣٧٥ه.

١٦. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.

١٧. محمد بن جعفر بن أبي البقاء بن نما الحلي، مثير الأحزان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٩٥٠.

١٨. محمد بن شحات حسين خطيب، دور الجامعة في ترسيخ وتعزيز قيم الانتماء والمواطنة لدى طلبتها في ضوء التغيرات الثقافية ومستجدات العصر، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد ٢٠، ٢٠٢٠.

١٩. محمد بن علي بن الحسين القمي الصدوق، عيون أخبار الرضا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.

٢٠. محمد بن محمد بن المفيد النعمان العكبري البغدادي، الإرشاد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣.

٢١. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٢٢. محمد صادق محمد الكرباسي، الرحلة الأوروبية، بيت العلم للنابهين، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م.

٢٣. محمّد صادق محمّد الكرباسي، تاريخ المراقد (الحسين وأهل بيته وأنصاره)، المركز الحسيني للدراسات، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٢٤. موقع وكالة المعلومة الالكتروني: https://www.almaalomah.me/news/73230 تاريخ الدخول للموقع ١٣ آب ٢٠٢٤.

٢٥. ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

٢٦. نضير الخزرجي، سفر الخلود: رحلة موسوعة الحسينية من مملكة الضباب الى جمهورية القباب، بيت العلم للنابهين، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

الرواية الحسينية بين البحث العلمي والتاريخ الإسلامي والقصة الفنية المعاصرة
(الرواية الأربعينية- مجموعة «زوريه» أنموذجًا)

الروائية والباحثة الإسلامية رجاء محمد بيطار
الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
rajaabitar69@gmail.com

الملخص

لعل الفرق الجوهريّ بين الكتابة العلمية والكتابة الأدبية، وما تقدمه الرواية الحسينية الأربعينية من دمجٍ بينهما، هو أهم ما يرتكز عليه هذا البحث.

إن أهم ما ترتكز عليه الكتابة العلمية هو الموضوع الغني ذو القيمة الأصيلة، واللغة الخالية من العناصر الفنية، والأمانة في نقل الحدث بموضوعية.

وإن أهم ما ترتكز عليه الكتابة الأدبية هو الموضوع الوجدانيّ المؤثر، واللغة الجميلة ذات العناصر الفنية السلسة، والسرد الذاتي الوجداني.

إن العوامل التي بيّنّاها توضح مدى الاختلاف وربما التنافر بين نمطي الكتابة المذكورين، مضمونًا وأسلوبًا، ولكن الرواية الحسينية تطرح بتقنياتها المبتكرة دمجًا لهذين النمطين المختلفين في نوعٍ أدبيّ موحّد، فهي تحاول أن تجمع بين الأضداد، وأن تدخل الأدب من باب التاريخ، وهذا ما يرتكز عليه البحث الذي بين أيدينا، إذ يتم من خلاله طرح الاختلاف بين البحث العلمي التاريخي وبين الرواية الفنية، وكيفية دخول الرواية الحسينية إلى عالمها باستراتيجيات مدروسة، مع إسقاط ذلك على الرواية الأربعينية، وذلك عبر مبحثين وخاتمة.

الكلمات المفتاحية:القصة-الرواية-الأدب الحسيني-السيرة الحسينية-المسيرة الأربعينية-الإمام الحسين عليه السلام-الثورة الحسينية.

The Husayni Narrative between Scientific Research, Islamic History, and the Contemporary Artistic Story

(The Arbaeen Narrative – The "Zuriyeh" Group as a Model)

Novelist and Islamic Researcher Raja Mohammed Bitar

Lebanese University – Faculty of Arts and Humanities

Abstract

The essential difference between scientific writing and literary writing—and the integration that the Husayni Arbaeen narrative offers between the two—is the central focus of this study.

Scientific writing is grounded in a subject rich with authentic value, a language stripped of artistic elements, and a commitment to reporting events with objectivity and accuracy.

By contrast, literary writing is based on an emotional and impactful subject, a language imbued with beauty and stylistic artistry, and a narrative style shaped by personal and emotional expression.

These factors illustrate the extent of difference, and at times even tension, between the two modes of writing in both content and style. Yet, the Husayni narrative—with its innovative techniques—presents a synthesis of these seemingly opposite forms into a unified literary genre. It attempts to bring opposites together, entering literature through the gateway of history.

This research, therefore, examines the divergence between historical scientific research and artistic narrative, and how the Husayni narrative strategically enters into both realms. The discussion is applied specifically to the Arbaeen narrative, explored through two sections followed by a conclusion.

Keywords:Story-Novel-Husseini Literature-Husseini Biography-Arbaeen March-Imam Hussein (PBUH)-Husseini Revolution

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ، آذار - ٢٠٢٦م

منهج البحث والإشكاليات المطروحة:

يتبع البحث منهجًا تحليليًّا استقرائيًّا ينطلق من العام إلى الخاص، ويطرح الإشكاليات الآتية:

أ. إلى أي حدٍّ نجح الروائيون العرب والمسلمون في دمج الرواية بالتاريخ؟

ب. ماذا قدّمت الرواية الحسينية لعالم الأدب من جديد، في إطار دمجها للرواية الفنية بالبحث التاريخي؟ وكيف يمكن للكتابة الروائية أن تستوعب البحث التاريخي بطريقةٍ لا تخلّ بأيّهما؟

ج. إلى أي حدٍّ استطاعت الروايتان(غيّرتها الشمس، و١٤٥٢ عمودًا) من مجموعة «يا أم سعيدٍ زوريه» أن تعكس هذا الدمج الأدبي التاريخي؟

أهمية البحث:

إن البحث الذي بين أيدينا يتطرّق إلى موضوعٍ حيويٍّ ذي أهميةٍ خاصةٍ، وذلك أولًا لجدّته، حيث ندر أن يتناول بحثٌ ما هذا الموضوع من هذه الزاوية، وثانيًا لمعالجته الموضوع بطريقةٍ مبسّطةٍ مفصلة، تصلح لتكون نواة بحثٍ موسع أكثر، لمن أراد التعمّق في نفس التفاصيل، كما تصلح لتكون مرجعًا لمن أراد أن يدخل عالم الرواية الحسينية عمومًا والأربعينية خصوصًا، كروائي أو كقاصّ، وذلك عبر التعرّف إلى الاستراتيجيات الفنية لطرق دمج التاريخ بالرواية، دون الإضرار بأيٍّ منهما، سواءً من الزاوية العقائدية أو العلمية، أو حتى الأدبية.

المبحث الأول

الرواية الحسينية، بين البحث التاريخي والعمل الفنّي

ميّز الناقدون عمومًا بين أنماط الكتابة، وحدّدوا لكلٍّ منها ضوابط ومقوماتٍ وشروطًا ترتكز عليها، وقد تمّ تصنيف معظم الأنماط الكتابية تحت عنوانين رئيسين، هما: الكتابة العلمية والكتابة الأدبية.

وميّز الناقدون أيضًا بين طريقتين لسرد الأحداث التاريخية، السرد العلمي الموضوعي الذي يقوم على نقل الأحداث بأمانةٍ ودقةٍ وموضوعية، بلغةٍ علميةٍ رصينةٍ بعيدة عن الصناعة اللفظية والمعنوية، والسرد الأدبي الذاتي الذي يقوم على صياغة الأحداث التاريخية في قالبٍ أدبي وجداني، بلغةٍ أدبيةٍ شاعريةٍ حالمة، قد تتخللها بعض الصناعة اللفظية والمعنوية.

والمعروف أن كلّ كتابةٍ يكتبها الإنسان تهدف إلى مخاطبة القارئ بصيغة العقل الجمعي، وتقوم على التأثير في ذلك القارئ، إما عن طريق العقل والمنطق والتحليل العلمي المدروس والصبغة العلمية البحتة، وإما عن طريق القلب والعاطفة واستخدام المؤثرات الحسية والوجدانية، للوصول إلى أعلى درجات التأثير.

إن الجمع بين هاتين الطريقتين في الكتابة يؤدي عمومًا إلى فشل الكاتب في صياغة المحتوى الفكري للمادة، وفي الوصول إلى هدفه، وبالتالي فقد تباينتا وتباعدتا بقدر تباعد وسائلهما وأهدافهما، لأن الكتابة العلمية تهدف إلى الإقناع المنطقي، أما الأدبية الفنية فتهدف إلى تحريك العواطف ولا تكترث بقضية الإقناع، فإن أتت كانت في السياق ولم تكن مقصودةً بذاتها.

من هنا فإن كتابة البحث التاريخي العلمي تختلف كليًّا عن كتابة الرواية التاريخية، لأن الأولى تندرج تحت عنوان الكتابة العلمية، أما الثانية فتقوم على السرد الأدبي للأحداث التاريخية، ومع أن محور الكتابة واحد، هو التاريخ، إلا أن الهدف في الأولى هو تبيان الحقائق التاريخية وتحقيقها وإثباتها، أما الثانية فهدفها التأثير الوجداني في نفس المتلقّي، بغضّ النظر عن الأحداث المسرودة، التي يمكن أن يتدخل عنصر الخيال في بعض تفاصيلها.

لكن نظرةً عامةً في أسس كتابة البحث العلمي التاريخي الحسيني، تجعلنا ندرك أن هناك ثمة مدخلٍ ينفتح على كتابة الأدب التاريخي الحسيني عمومًا والرواية التاريخية الحسينية خصوصًا، والتي سنقوم هنا باستحضار تعريف أولي لها.

إن الرواية الحسينية هي مصطلحٌ حديث البروز إلى واقعنا الأدبي، وقد كان لي كباحثة وروائية شرف طرحه للمرة الأولى في العام ٢٠١٦ من خلال مقالي في مجلة الإصلاح الحسيني، ومجلة نور الإسلام، بعنوان: «الرواية الحسينية بين الإبداع الفني وروحانية المثال»، ثم كان لي شرف وضع أسس لهذا المصطلح ولهذا الفن الرفيع من خلال عدد من الروايات الحسينية، والأبحاث النقدية والمحاضرات منها: «القصة والرواية الحسينية، بين السيرة الحسينية والمسيرة الأربعينية»، وهو عنوان بحثي المقدّم لمؤتمر الأربعين السابع، في مركز كربلاء للدراسات، العتبة الحسينية المقدسة، أي قبل عامين من الآن.

يمكننا بدءًا تعريف الرواية الحسينية بأنها «روايةٌ فنّيّةٌ تخضع لمعايير الرواية العالمية، وتسير وفق ضوابطها، وتحتكم إلى عناصرها الفنّية المعروفة مضمونًا وأسلوبًا، ولكنها تتّخذ من الحسين ﷺ محورًا لها، على صعيد المضمون تحديدًا، أما الأسلوب فهو يعود إلى مرتكزاتٍ عديدة، تم عرضها في البحوث السابقة.»

نعود إلى موضوع بحثنا، حيث نجد أن هناك إمكانيةٌ للتوفيق بين الكتابتين والنمطين، التاريخي البحثي والروائي الأدبي، حينما يكون الهدف واحدًا. ولا بد لفهم هذه الفكرة من رصد أسس كتابة كلٍّ من البحث التاريخي والرواية التاريخية، والتعرف على القواسم المشتركة إن وجدت، وكيفية الدمج بينهما.

أولًا: البحث العلمي التاريخي:

البحث التاريخي هو بحثٌ علميٌّ بالدرجة الأولى، ولكي نستكمل التعرّف على هذا النمط الكتابي، لا بد لنا من تتبّع عناصره وضوابطه، لنقوم بمقارنتها مع عناصر وضوابط الرواية التاريخية.

أ.عناصر البحث التاريخي:

١. عنوان البحث :يجب أن يكون العنوان دقيقًا وواضحًا ويعكس محتوى البحث.

٢. المقدمة: يجب أن تقدم فكرة عامة عن الموضوع التاريخي، فتوضح أهمية البحث، والأهداف التي يسعى لتحقيقها، والإشكاليات التي يتناولها، وتعرض السياق الزمني والمكاني للأحداث التاريخية.

٣. مشكلة البحث: صياغة السؤال الأساسي الذي يدور حوله البحث، من المهم أن تكون المشكلة محددة ومركّزة، مما يساعد في توجيه البحث.

٤. أهداف البحث: ما الذي يسعى الباحث لتحقيقه؟ يجب أن تتضمن فهمًا أعمق للأحداث التاريخية وتفسيرًا لأسبابها ونتائجها.

٥. الإطار النظري والدراسات السابقة: مراجعة الأدبيات والدراسات السابقة حول الموضوع.مع تقديم نظريات وتفسيرات سابقة تتعلق بالفترة التاريخية المدروسة، والإشارة إلى الفجوات التي يهدف البحث إلى ملئها.

٦. منهجية البحث: تحديد المناهج المستخدمة في تحليل المصادر التاريخية (مثل المنهج التحليلي، المقارن، أو الوصفي).

٧. تحليل المصادر التاريخية: تقوم على جمع البيانات من المصادر المختلفة مثل الكتب، المقالات، الأرشيفات، والمقابلات، مع تحليل المصادر التي تعتمد تحليل النصوص وتفسير الأحداث استنادًا إلى الأدلة، بالإضافة إلى التحليل النقدي للمصادر، ومراعاة المصداقية والموضوعية.

٨. النتائج: عرض النتائج التي توصل إليها البحث بناءً على تحليل المصادر، وقد تتضمن هذه النتائج فهمًا جديدًا حول أحداث تاريخية معينة أو تفسيرًا مختلفًا للأسباب والنتائج.

٩. المناقشة: تفسير النتائج وربطها بالظروف التاريخية الأخرى، ومقارنة النتائج مع دراسات سابقة وتقديم مقترحات لتفسير الأحداث.

١٠. الخاتمة: وتقوم على تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وتقديم توصيات أو أفكار مستقبلية للبحث في مجالات تاريخية مشابهة.

١١. قائمة المراجع: حيث يتم توثيق جميع المصادر التي تم الاعتماد عليها في البحث، سواء كانت أولية (مخطوطات، وثائق) أو ثانوية (كتب، مقالات، دراسات).

ب- ضوابط البحث التاريخي:

١. الأصالة: يجب أن يكون البحث جديدًا أو يقدم إضافة علمية لفهم الأحداث التاريخية.

٢. التحليل النقدي للمصادر: من الضوابط المهمة في البحث التاريخي هو التأكد من دقة وصحة المصادر، حيث يجب أن يتم التعامل مع الوثائق والمصادر بحذر وتحليلها بعناية.

٣. التحقيق في السياق الزمني والمكاني: يجب أن يتم فهم السياق الذي وقعت فيه الأحداث بشكل صحيح، ومراعاة العوامل الاقتصادية، الاجتماعية، والسياسية التي كانت تؤثر على تلك الفترة الزمنية.

٤. الحياد والموضوعية: يجب أن يكون الباحث محايدًا عند دراسة الأحداث، وألا يتأثر بمواقف شخصية أو انحيازات، كما يجب أن يُحلل الأحداث بشكل موضوعي دون التأثر بآراء أو توجهات معينة.

٥. التوثيق السليم: من الضوابط الهامة في البحث التاريخي توثيق المصادر بدقة، باستخدام أساليب توثيق علمية معتمدة، فإن التوثيق الدقيق للوثائق التاريخية يعزز مصداقية البحث.

٦. المصداقية: يجب أن يعتمد الباحث على مصادر موثوقة فقط. في بعض الأحيان، قد تحتوي المصادر التاريخية القديمة على تحريفات أو انحيازات، مما يتطلب من الباحث التحقق من صحتها.

٧. التسلسل الزمني: يجب أن يكون البحث مرتّبًا ومُنظَّمًا حسب التسلسل الزمني للأحداث أو حسب الموضوعات، وذلك لتسهيل فهم التطورات التاريخية.

٨. التنوع في المصادر: يجب على الباحث الاعتماد على مجموعات متنوعة من المصادر (مكتوبة، شفهية، مرئية...) للحصول على رؤية شاملة ومتوازنة.

٩. الاستدلال العقلي والتفسير التاريخي: يجب أن يتم توظيف الاستدلال العقلي عند تفسير الأحداث، وفهم العلاقات بين السبب والنتيجة في سياق تاريخي معين.

١٠. الأخلاقيات البحثية: احترام حقوق الأشخاص والمؤسسات عند استخدام البيانات التاريخية، مع الحفاظ على الحقوق الأدبية للمؤلفين والباحثين الذين تم الاستفادة من أعمالهم.باتباع هذه العناصر والضوابط، يمكن إعداد بحث تاريخي قوي وموثوق يساعد في فهم الماضي وتفسيره بشكل دقيق.

هذا فيما يتعلق بالبحث التاريخي.

نتابع الآن بعرض العناصر والضوابط الخاصة بالرواية التاريخية، لنتمكن من المقارنة بينهما.

ثانيًا: عناصر وضوابط الرواية التاريخية:

إن الرواية التاريخية هي نوع من الأدب السردي الذي يمزج بين الحقائق التاريخية والخيال الأدبي، وتقوم بإعادة تصوير فترة زمنية ماضية، غالباً من خلال شخصيات وأحداث حقيقية أو مستوحاة من الواقع. ولكي تكون الرواية التاريخية ناجحة ومؤثرة، لا بد أن تتوافر فيها عناصر وضوابط معينة.

أ- عناصر الرواية التاريخية:

١. الزمان والمكان التاريخي: يجب أن تدور أحداث الرواية في فترة زمنية تاريخية محددة، ويتم تصوير المكان بما يتناسب مع تلك الحقبة.

٢. الشخصيات: يمكن أن تكون شخصيات حقيقية (مثل القادة أو العلماء أو الثوار) أو خيالية، لكن يجب أن تتصرف بما يتلاءم مع الواقع التاريخي.

٣. الحدث التاريخي المحوري: تتناول الرواية عادة حدثًا مهمًا مثل معركة، ثورة، سقوط دولة، أو فترة انتقالية، وتقوم بتقديمه ضمن سياق قصصي.

٤. السرد والحبكة: تُستخدم تقنيات السرد المعروفة (وصف، حوار، استرجاع، إلخ) لربط الوقائع التاريخية بخط درامي مشوق.

٥. اللغة والأسلوب: يجب أن تكون اللغة مناسبة للزمن الذي تدور فيه الأحداث، دون أن تفقد قدرتها على التواصل مع القارئ المعاصر.

٦. التوثيق التاريخي: الاعتماد على مصادر تاريخية موثوقة يُعزز من مصداقية الرواية، حتى وإن تم تطويع الأحداث لخدمة الخيال الأدبي.

ب- ضوابط الرواية التاريخية:

١. الصدق التاريخي: يجب احترام الحقائق الكبرى وعدم تحريف الوقائع الأساسية، حتى لو تم تخييل بعض التفاصيل الصغيرة.

٢. عدم الإساءة إلى الشخصيات الحقيقية: خصوصًا الرموز الوطنية أو الدينية، حيث يُفترض التعامل معها بأدب ومسؤولية، حتى إن تم نقدها.

٣. مراعاة السياق الثقافي والاجتماعي: يجب أن يُراعى تصوير الحياة والعادات والتقاليد كما كانت فعلاً في تلك الفترة.

٤. عدم فرض رؤية معاصرة على الماضي: تجنب الحكم على الماضي من خلال مفاهيم الحاضر، بل يجب محاولة فهمه ضمن سياقه.

٥. التوازن بين الخيال والواقع: لا ينبغي أن يطغى الخيال على الحدث التاريخي حتى لا تتحول الرواية إلى خيال محض يفقد قيمته التوثيقية.

٦. التحذير من التزييف الأيديولوجي: يجب الابتعاد عن توظيف الرواية لتبرير مواقف أيديولوجية على حساب الحقيقة التاريخية.

إن العناصر والضوابط التي أوردناها بخصوص البحث التاريخي من جهة، والرواية التاريخية من جهةٍ أخرى، هي عناصر وضوابط عامة، ولكي نتمكن من وضع رؤية متوازنة لدمج هذين النمطين فإن من الضروري أن نلاحظ القواسم المشتركة بينهما، ولذا فإن علينا أن نقوم برصد ما أسلفناه بنظرة شمولية دقيقة، ومقارنتهما معًا، وبما أن هدف هذا البحث هو تبيان إمكانية التداخل الحاصل بين البحث التاريخي والرواية التاريخية الحسينية، فإن علينا إسقاط مقوّمات البحث التاريخي على مقومات الرواية التاريخية وليس العكس.

١. إن عناصر الرواية التاريخية كما أوضحنا تبدأ بزمانٍ ومكانٍ تاريخيين محددين، ولكونها حسينية فإنه ينبغي أن يكون لهذين الزمانين والمكانين موقعًا في التاريخ الحسيني، وهذا لا يتنافى مطلقًا مع واقع البحث التاريخي المرتكز على دراسة موضوعية دقيقة لهذين العنصرين.

٢. إن شخصيات الرواية التاريخية قد تكون حقيقية أو خيالية مع مراعاة تلاؤمها مع الواقع التاريخي، بينما هي في البحث التاريخي شخصيات حقيقية، وهذا ما يتناسب تمامًا مع الرواية الحسينية التي تعتمد على شخصيات تاريخية حقيقية حسينية (الحسين عليه السلام أو أصحابه أو أعداؤه او مريدوه)، مع إمكانية استقدام شخصيات خيالية لا تشكّل محورًا في الرواية، بل تهدف إلى توضيح فكرة معينة، ومعلوم أن مثل هذه الشخصيات لا تكون رئيسية بل ثانوية في الرواية، وقد يتنافى وجودها مع البحث التاريخي ولكنه حتمًا لا يتنافى مع مقتضيات الرواية.

٣. إن الحدث التاريخي المحوري الذي تتمحور حوله الرواية التاريخية، كقيام ثورة أو سقوط دولة أو غير ذلك، هو حاضرٌ بقوةٍ في الرواية الحسينية، التي تتمحور حول واقعة كربلاء، أو حول بعض الوقائع المرتبطة بها كالثورات التي أعقبتها أو ظروف حياة الأئمة المعصومين الذين ارتكزت سيرهم على إحياء النهضة الحسينية بكل سبيل، ومن ثم إحياء الدين المحمدي الحسيني الحنيف. وهذا الحدث بالذات يتناسب تمامًا مع ظروف البحث التاريخي، طالما أنه يتم نقله بدقةٍ ودون تحريف. أما في الرواية الأربعينية فهو أيضًا حاضر، لأنه إسقاط لحالة العشق الحسيني الذي يدفع البشر باختلاف مشاربهم ومذاهبهم وفئاتهم وألوانهم وأعمارهم... للمسير نحو كربلاء الحسين...

٤. إن السرد والحبكة التي تستخدم تقنيات السرد المعروفة (وصف، حوار، استرجاع، إلخ) لربط الوقائع التاريخية بخط درامي مشوق، هي حاضرةٌ بقوة في الرواية الحسينية، حيث يمكن استخدام هذه التقنيات بكفاءة عالية لسرد وقائع

الرواية من أحداث معركة كربلاء، إلى أحداث حياة الشخصيات الحقيقية الأخرى المرافقة، سواء كانت ذات ارتباطٍ زمني قريب أو بعيدٍ عن النهضة الحسينية، باعتبار أن هذه النهضة هي جوهر الرواية ومحورها الأساس، ومن الطبيعي طالما أن السرد لا يخلّ بواقعية الأحداث، أن لا يتنافى من البحث التاريخي المتعلّق بهذه الأحداث نفسها، بل أن يوطئ له ويتقاطع معه في أهدافه.

٥. إن اللغة والأسلوب المناسبين للزمن الذي تدور فيه الأحداث، هما الوسيلة التي يتوسلها الكاتب لتوصيل فكرته وسرد أحداث الرواية التاريخية عمومًا والحسينية خصوصًا للقارئ المعاصر، وبالتالي فإن عليهما أن يحملا هوية الماضي ولكن بسياقٍ يمكّنهما من التواصل مع الحاضر، وبما أن الرواية عمل فني، فاللغة والأسلوب هنا ينبغي أن يكونا أدبيين يتوازن فيهما الأسلوب الخبري والإنشائي، وقد يتدخّل عامل الصناعة اللفظية والمعنوية فيهما أحيانا، ولعل هذه النقطة بالذات هي أبرز ما يتعارض فيه البحث التاريخي مع الرواية التاريخية، لأن لغة البحث التاريخي كما أسلفنا لغةٌ علمية بعيدة عن الصياغة الفنية.

٦. إن التوثيق التاريخي والاعتماد على مصادر تاريخية موثوقة يُعززان من مصداقية الرواية، حتى وإن تم تطويع الأحداث لخدمة الخيال الأدبي كما أسلفنا، وبما أن الرواية الحسينية لا ترتكز على الخيال إلى في بعض التفاصيل غير الأساسية أحيانًا، فإن عنصر التوثيق فيها ممكن، مما يرفع من علميتها وإمكانية تحقيق الأحداث التاريخية المعتمدة فيها، وهنا يفترض بالكاتب أن يرتكز على المصادر المعتبرة، وأن يهمل المصادر الضعيفة، وهنا يتقاطع في وسائله مع الباحث التاريخي، وبهذا تكتسب روايته بعدًا تاريخيا وعمقًا إنسانيا يزيد من قيمتها الفكرية والفنية معًا، أما في حالة الرواية الأربعينية، فلعل التوثيق التاريخي هو باعتماد المشاهدات الحضورية، التي ينقلها الكاتب مباشرةً من الأرض إلى النص، بسردٍ قصصيٍّ مشوق، لكنه دقيقٌ وواضح.

٧. إن الصدق التاريخي هو من أهم ضوابط الرواية التاريخية ذات القيمة الإنسانية، وحريٌّ به أن يكون الأهم في سياق الرواية الحسينية، وبما أن الرواية الحسينية بموضوعاتها وأحداثها تتسم بالعمق الإنساني والقوة التاريخية التي تشكّل عاملًا أساسا في تكوين النهضة الحسينية لا الرواية الحسينية فحسب، فإنه من الطبيعي أن لا تعمد الرواية إلى تقوية موضوعها مثلًا بتوسّل الأساليب التاريخية الملتوية، كما هو حال بعض الروايات التاريخية التي قد تحتاج ذلك لضعف موضوعها الأساس، وهذا ما يجعل الرواية الحسينية تتسم بالصدق التاريخي بشكلٍ تلقائي، وعلى الكاتب أن يحاول إبراز هذا الصدق ما وسعه في روايته، باعتماد المصادر الدقيقة المعتبرة، مما يعطي روايته الوزن الإنساني الذي يجدر بها أن تحمله، بحسب مقتضى عنوانها الإنساني الكبير، وتصدّيها لقضيةٍ عظيمةٍ استثنائية كقضية الإمام الحسين عليه السلام.

٨. إن هذا الصدق هو الذي يكرس مصداقية الرواية الحسينية، كسردٍ قصصي واقعي وحقيقي يعكس صورة الحدث الحسيني، لا من خلال سرد الأحداث فحسب، بل من خلال بناء الشخصيات أيضًا... ولئن كان العنصر العاطفي بارزًا أيضًا في الرواية الحسينية، فهو يأتي في سياق السرد القصصي، ولا يؤثر على مصداقية الحدث، مما يؤكد على انسجام هذه المصداقية مع أهداف البحث التاريخي. وتأتي الاستعاضة بسرد المشاهدات في الرواية الأربعينة، عن ذكر المصادر، لأن الحدث في الزمن الحاضر.

٩. إن التوازن الذي تفترضه الرواية التاريخية بين الخيال والواقع وبين الماضي والحاضر هو أمرٌ حاصلٌ تلقائيًّا في الرواية الحسينية، لأن الخيال فيها نصيبه ضئيل، والحاضر فيها هو مرآة الماضي وبالتالي فإنه يعكسه بمقدار ما هو منسجمٌ معه منبثقٌ منه، ولهذا فإن الرواية الحسينية تتوافق مع البحث التاريخي في هذا الجانب، أما الرواية الأربعينية فهي من الحاضر وإليه، ولذا فالأمر هنا حاصل تلقائيًّا.

١٠. إن مصداقية الرواية الحسينية تنطلق من اعتمادها على الحقائق التاريخية الموثوقة،

ولهذا فهي لا تتوسل التزييف الأيديولوجي للتأثير في القارئ، بل إن مجرد السرد التاريخي للأحداث يمكن أن يعطي من التأثير ما لا تفعله التقنيات السردية الفنية، ذلك أن الحدث الحسيني يتضمن كمًّا هائلًا من الحشد العاطفي الذي ينبعث تلقائيًّا منه، وبنفس الصدقية التاريخية المعتمدة، ولعل هذا من أبرز عوامل الالتقاء بين الرواية والبحث في حقل الأدب الحسيني، وكذا حال الأدب الأربعيني.

تجدر الإشارة هنا إلى أن مجرد الحديث عن المصادر التاريخية للأحداث يتضمن الكثير من التناقضات التي تحتاج للتحقيق من قبل الباحثين، وبما أن الحدث الحسيني بالذات كان موضع تعتيمٍ تاريخي من قبل السلطات الحاكمة على مدى قرون، فقد استطاع هذا الحدث الوصول إلينا بصعوبة، ونحن اليوم لا يمكننا الجزم بصدقيته إلا من خلال المقارنة والتحليل والعرض على المنطق السليم والأحداث التاريخية التي عاصرته، والروايات المعتبرة والمصادر التي نحاول قدر الإمكان اختيارها بموضوعية، ولذا فإن المصداقية في كل ذلك نسبية، ولئن كان فيها ما يطمئن إليه قارئ ما ذو خلفيةٍ معرفيةٍ حرة، فإن قارئًا آخر متحيّزًا للجهة المعاكسة يمكن أن يطعن في مصداقيتها، ويبقى العمل الموضوعي الخالي من التحيّز لفئةٍ دون أخرى بوجود الأدلة التاريخية الثابتة، هو العمل الفني الذي يعبّر بشكلٍ صحيحٍ عن الحدث الحسيني.

إن الموضوعية عمومًا ليست من صفات الرواية الفنية، لكن الرواية الحسينية والرواية الأربعينية تستطيع أن تدّعي إمكانية اتصافها بالموضوعية النسبية، من حيث امتلاكها للمصداقية التاريخية المرتكزة على الأحداث الصحيحة المعتبرة، والمصادر الموثوقة، أما طريقة التعبير فلا مفرّ من الفنية والعاطفية واللغة الأدبية الشعرية التي تعدّ وسيلة التعبير الأمثل للرواية الفنية.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ، آذار - ٢٠٢٦م

المبحث الثاني

الرواية الأربعينية بين العمل الفني والبحث التاريخي

بعدما قمنا في المبحث السابق بعرض عناصر وضوابط كلّ من البحث التاريخي والرواية التاريخية، وبعدما قمنا برصد نقاط التقاطع بينهما من خلال إسقاط عناصر وضوابط البحث التاريخي على الرواية التاريخية عمومًا والحسينية خصوصًا، ننتقل في هذا المبحث إلى الحديث عن الرواية الأربعينية، التي هي فرعٌ من فروع الرواية الحسينية، والنظر في مدى تداخل العناصر البحثية في تفاصيلها.

والرواية عمومًا هي»ليست مجرّد سرد الحوادث أو الشخصيّات، إنما هي قبل ذلك الأسلوب الفني، أو طريقة العرض الّتي ترتّب الحوادث في مواضعها وتحرّك الشّخصيّات في مجالها، بحيث يشعر القارئ أن هذه حياةٌ حقيقيّةٌ تجري، وحوادث حقيقيّةٌ تقع، وشخصيّاتٌ حقيقيّةٌ تعيش» (سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه (الإصدار الثامن)، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣، ص. ٨٨). أما الرواية الحسينية فهي نقلٌ أدبي، وحديثٌ فني، لحياةٍ حقيقية جرت وحوادث حقيقية وقعت وشخصيات حقيقية عاشت... فحري بها أن تتصدر رأس قائمة الروايات الحقيقية، التاريخية إن كان الزمان هو الماضي، والعصرية إن كان الزمان هو الحاضر، كما هو الحال بالنسبة للرواية الأربعينية التي تسرد وقائع حياة الزوار والخدام وكل متعلّقات الزيارة الأربعينية للإمام الحسين عليه السلام.

وبما أن مجتمعاتنا العربية والإسلامية تعيش في هذا العصر «فوضى اجتماعيّة وقِيَميّة عارمة، جعلت النّاس يقعون فريسةً لشعورٍ حادٍّ بالدّونيّة الحضاريّة، ممزوجٍ بإرباكٍ ذاتيٍّ أثقل حركة أيّامهم ونغّص عليهم صفاء أحلامهم، وقوّى لديهم الحاجة

إلى بطلٍ يتماهَون به في لحظات يأسهم العامّ» (عبد الدائم السلامي، كنائس النقد (الإصدار الأول)، ٢٠١٧، ص. ٨٤)...فإن الرواية الحسينية قد سدّت هذه الثغرة عبر طرح عدد كبيرٍ من الشخصيات الحقيقية التي تتصف بكل صفات البطولة والنبل والسمو الإنساني، وعلى رأسها سيد الشهداء ﷺ، وحري أيضًا بالرواية الأربعينية أن تطرح هذه الشخصيات أو امتدادها في العصر الحاضر، من المقتدين بها والسائرين على نهجها، حيث تبرز الصفات البطولية الحقيقية كأجلى ما تكون، وتكون هي الأجدر في سدّ الثغرة الاجتماعية المذكورة، ومعها لا يشعر الناس بالدونية الحضارية مطلقًا، بل هم يتماهون مع أرقى أنواع الحضارة.

مهما تحدّثنا في موضوع التمازج الحاصل بين الرواية والبحث التاريخيّ، فإن دراسة النماذج التي سنذكرها هو الأجدى، لكونها شواهد حية على ما طرحنا من شواهد وأدلة عملية على إمكانية هذا الدمج الفكري والحضاري.

إذًا فنحن في هذا المبحث نقارب الرواية الأربعينية متجسّدةً في نموذجين، هما «١٤٥٢ عمودًا» للكاتبة زهراء حسام الشهربلي و«غيّرتها الشمس» للكاتبة لبنى مجيد الشيخ زيني، وهما روايتين صدرتا حديثًا عن دار الولاء لصناعة النشر – بيروت، ضمن مشروعٍ لتوثيق الزيارة الأربعينية عبر الرواية الحسينية، باسم «يا أم سعيدٍ زوريه» وارتباطها الوثيق بالرواية الحسينية، فكرةً ومضمونًا.

والمشروع بحسب النبذة التعريفية له، والتي تتصدر كل إصداراته، هو «مشروعٌ توثيقيٌّ، لطريق زيارة الأربعين يعملُ على تقديم صور واقعيّة من طريق (يا حسين) ذات قيمٍ عميقة مستقاة من نهضة الإمام الحسين ﷺ، ويسلط الضّوء على مشروعيّة الزّيارة انطلاقًا من وصايا الإمام أبي عبد الله الصّادق ﷺ لأُمِّ سعيد الأحمسيّة.

فقد رُوِيَ عَنْ أُمِّ سَعِيدٍ اَلْأَحْمَسِيَّةِ أنها قَالَتْ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: يَا أُمَّ سَعِيدٍ، تَزُورِينَ قَبْرَ اَلْحُسَيْنِ عليه السلام؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: يَا أُمَّ سَعِيدٍ زُورِيهِ، فَإِنَّ زِيَارَةَ اَلْحُسَيْنِ وَاجِبَةٌ عَلَى اَلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

كما أنَّ المشروعَ يسعى لتجذير المبادئ الحسينيّة في القلوب بأسلوبٍ أدبيٍّ بما يتوافَقُ ومقتضياتُ العصر.» (١٤٥٢ عمودًا، زهراء الشهربلي، دار الولاء، ٢٠٢٣ ص٧).

بهذه الكلمات عرّفت الكاتبات مشروعهن الحسينية، ومنها ننطلق لننظر في تفاصيل الروايات الثلاثة، عسانا نجد فيها الشاهد المطلوب على الدمج الفكري للرواية بالبحث التاريخي كما أسلفنا.

وقد تمّ اختيار هذه الروايات تحديدًا لكونها باكورة المشروع المذكور، وقد خُطّت بأقلامٍ نسائية، لتعكس رؤية المرأة العراقية لمسيرة الأربعين، من خلال السرد الروائي الذي يحكي تلك المسيرة على طريق المشاية، بطرقٍ مختلفة، مجسّدًا أحداثًا وشخصيات ووقائع حقيقية عاشتها الراوية للحكاية وكانت لها معها مواقف سجّلتها بعين القلب والعقل والروح.

أولًا: رواية «١٤٥٢ عمودًا» للكاتبة زهراء حسام الشهربلي:

نعتمد في دراسة مضمون الرواية على استعراض العناصر الرئيسة التي تقوم عليها الرواية، وهي على الشكل الآتي:

١. العنوان:

تطلّ علينا الرواية بعنوانها «١٤٥٢ عمودًا» الذي يعبّر عن رحلة المشي الأربعيني من النجف إلى كربلاء على طريق «يا حسين» في أيام الأربعين.

وطريق «يا حسين» هو أحد الطرق المؤدية إلى كربلاء، للمنطلق من النجف الأشرف، وهو ليس الطريق الوحيد، لكن المشاهدات والأحداث التي تمتدّ على جانبيه تكاد تكون مشتركةً مع الطرق الأخرى التي تمتد من المحافظات الأخرى إلى كربلاء، والتي ذكرت بعضها الرواية الأخرى، طريق بغداد- كربلاء وطريق الحلة- كربلاء وغيرها..

«١٤٥٢» عمودًا هو عنوان الرواية، وهو أحد عناوين طريق يا حسين، وللرواية معه حكاية أخرى، ففصولها معنونةٌ بأرقام الأعمدة المميزة وأحداثها، ولذا فإن العنوان يحكي القصة بتفاصيلها، ويؤرّخ للأجيال القادمة عدد الأعمدة وما ترمز إليه وما يقع عندها من أحداث، في مسيرة الأربعين للعام ١٤٤٤ه.

العنوان رمزي، يصلح لرواية حسينية أربعينية، ويصلح كذلك كعنوانٍ صريح لفقرةٍ تاريخية بحثية تتحدث عن عدد الأعمدة على طريق يا حسين ودلالات هذا العدد.

٢. المكان والزمان:

مكان وزمان الرواية بارزٌ في مطلعها، في الفصل الأول «قاصدًا مشهدك» المقتبس عنوانه من أحد مقاطع الزيارة، من خلال قول الكاتبة «جلستُ على طاولتي، كتبي مصفوفةٌ أمامي... لأكتب أهمَّ احتياجاتِ السّفر، سفر الأربعين الذي سيكون خاليًا من أمٍّ مزهر... أنا وغيري بحاجةٍ إلى هذا الطريق...» (١٤٥٢ عمودًا، ص١٤ و١٥)

إنه طريق يا حسين، والزمان هو قبل المشي في الأربعين ومعه... رحلةٌ تؤرخها الأقلام والقلوب، وتترجمها الخطوات والحروف.

أما أم مزهر، فامرأةٌ تؤرخ الكاتبة لها، فتقول: «ذات التّسع والتّسعين سنةً وهي تتوكّأُ على عصاها، محزّمةٌ بشريطٍ أخضرَ يُسمّى «العلگ» وهي تقول وتجفِّفُ دمعها بيدٍ مرتعشة: «ما دام زينب تمشي آنه أمشي».» (ص١٣)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

وللمكان في الرواية حضورٌ قوي ورمزٌ أقوى، وكيف لا يكون والحكاية هي حكاية المشي في طريق الحسين بكلّ أبعادها، فللشمس لسانٌ وللقمر لسانٌ وللخيمة لسان وللموكب وللطريق وللعمود و...، كلها تحكي وتخاطب الزوار وتذكّر وتعظ، وكلّها جزء لا يتجزّأ من الحكاية: «بدأت الشّمسُ بالأُفول، وبَدَتِ الحمرةُ المغربيَّةُ، كأنَّ دماءَ الرّؤوس المرفوعة التصقت بها، كانت ساكنةً مثلَ سكونِ خطى الزّائرين وهي تتَّجِهُ للصّلاة والرّاحة... ها هو القمرُ يتربَّعُ في السّماء... أُحِبُّ إطالةَ النّظرِ إلى القمر في ليالي الأربعين، أتأمَّلُ الحزنَ في جنباته، أُسائل نفسي: كيف يعبّر عن ألمه، ثُمَّ أخاطِبُهُ: مع انطواء الأيّامِ والعصور وتبدّل كُلِّ الأشياء تبقى كما أنتَ، الذي شاهدْتَ خطواتِ زينبَ، فليتكَ تحكي تفاصيلَ ذاك الطّريق. صمتُهُ يؤلمُني، أطرحُ عليه أسئلةً كثيرةً، تبقى إجاباتها معلَّقةً بين ضوءٍ ودمعة.» (ص٦١) «هذه المواكب منتظمة كحبات المسبحة، وأعدادها لا أحصيها»(ص٣٣)

وللزمان حضورٌ قوي كذلك، ورمزيةٌ لا تنكر، «والصبح إذا تنفس، فصباحات الأربعين مختلفة...» (ص٣٣) « الخدمة الحسينيّة إحدى محطَّات العمر... بل أضفناها للفصول الأربعة، فصولنا خمسة، فحركة الرّياح وشكلُ السّماء ودرجةُ الحرارة، وكثافةُ الغيوم تعتمد على مشاعِرِنا في شهرَي العزاءِ من دون أن نلتفتَ إلى أنَّنا في أيِّ الفصول نحن، في البردِ والحرِّ والمطرِ مواكبُنا موجودة...» (ص٣٥)..هنا تبرز شعرية الرواية وموضوعية الحدث، يتداخلان، رغم جموح العاطفة.

وللاسترجاع الزمني كذلك دورٌ كبيرٌ في القصة، وحضوره يترجم معنى الزيارة، فكلّ ما تحتويه طريق «يا حسين» يشير إلى رحلة سبي زينب ﷺ ويفوح بمرارتها؛ « كانَ بكاءُ الأطفالَ يملأ أُذُنَيها، وكلُّ واحد منهم يصرخ: أينَ أبي؟ فكانت تواجِهُ

كُلَّ ذلك بصبرٍ وعزّةِ نفسٍ وصلاةِ ليلٍ، وعباءةٍ واسعةٍ بلا حَدٍّ، كانت خيمةً لهم.» (ص٤٣) «يُرافق صوتَ القافلة صوتُ حركة السّلاسل الحديديَّة المعقودة على رقبة من يؤدّي دور الإمام زين العابدين ﷺ، وضعتُ يدَيَّ على قلبي كأنّي خشيتُ فقدانَهُ وأنا لا أكاد أفقَهُ كيف لم تنطبق السّماء على الأرض وإمامُ الحياةِ محاطٌ بالسّلاسل تفتكُ به وتُثقل عليه مع المرض، وجّهتُ وجهي صوبَ المدينةِ للسّلام عليه...

أيُّها الإمام الأسيرُ، سلامٌ على معصميك القُدسِيّين، كيف لم يذب حديدُ القيدِ حُبًّا؟!، كيف لم تختنقِ الأرضُ وتلكَ (الجامعةُ) تطوّق عُنقك؟!.» (ص٣٩ و٤٠).

«لماذا أشعرُ بأنَّكِ لا تزالينَ تسيرين في مكانٍ ما هنا، كأنَّكِ بتجدُّد ذكرى الطّفّ تعودين إلى الطّريق نفسِهِ، تمهّدينَ الأرضَ للأربعين، فتصبّين الدّمع في الأعين والنّبلَ في الأفئدة والكرمَ في الأيدي والحرارةَ في الأرجل والعِطْر في التُّراب والرَّحابة في كربلاء؛ ليسيرَ الجميعُ معَكِ إلى الحُسين ﷺ.» (ص٢٣)؟

٣.الراوي:

الراوي لهذه الرواية هي الكاتبة نفسها، أو هكذا يبدو من سياق القصة، فالضمير الغالب هو المتكلّم، وهي فتاةٌ اسمها «صفا» تروي أحداثًا عايشتها في رحلة الزيارة، وهو راوٍ من داخل الحكي أي أنه إحدى شخصيات القصة. هذا الوضع للراوي يمكّنه من سرد الأحداث التاريخية بأمانة، لأنه شاهدٌ حيّ عليها، وهذا لا يعني أن الكاتبة لم تلجأ إلى العودة إلى بعض المصادر في روايتها، خاصةً عندما كان الموضوع يأتي لذكر أمرٍ ديني (علامات المؤمن خمس... «إقبال الأعمال» للسيد ابن طاووس) (ص١٣) ، أو حكمٍ شرعي، أو حديثٍ شريف (روايات الحث على المشي... كتاب «كامل الزيارات» لابن قولويه وكتاب «نور العين في المشي إلى الحسين») (ص١٤)

٤. الشخصيات:

تتراوح شخصيات الرواية بين رئيسة وثانوية، وأخرى تظهر مرةً واحدةً في حدثٍ واحد، باعتبار أن الرواية هي سجلّ أحداثٍ متلاحقةٍ متسلسلةٍ عاشتها «صفا» ودوّنتها، أما الشخصية الرئيسة فهي نفسها الراوية، والشخصيات الثانوية هي أخوها محمد الذي بلغ سن التكليف حديثًا وأصرّ على مرافقتها في الرحلة، والذي ضيّعته عند العمود ١٩ لتلتقي به مجدّدًا عند العمود ٢٠١، وصديقتها آية التي تلتقي بها عند العمود ٢٥٠، وصديقتها مريم، التي تراسلها وتتحول إلى راوٍ في أحد فصول الرواية «سيدة الخادمات»، وشخصيات أخرى كثيرة، كأم مزهر، والمعازيب الذين يتوسّلون للزوار كي يمنّوا عليهم بشرف الخدمة، والزوار من كل الأعمار، الذين تروي حكاياتهم، وجارة بيت الإمام التي «تعيش في بيتٍ متواضع، ليس فيه جهاز تسخين الماء (السّخّان) ولا غسّالة ملابس، ولا مجمِّدةُ الطّعام، ولكنَّها تستقبل عشراتِ الزّوّار يوميًّا،... إنَّها تعملُ عملَ عدّةَ آلاتٍ حديثةٍ؛ كي يسيرَ أمر خدمتها للزّوّار على خير.» (المصدر السابق، ص٥٢ و٥٣) ورهبان وخدام وأصحاب مواكب ومبلّغون ومبلّغات و... و... إلى آخر ما هناك من صنوف البشر الذين يمشون في حلقاتٍ متصلة ومنفصلة متجهين نحو الحسين عليه السلام.

ولعل من أبرز الشخصيات الثانوية المؤثرة في الرواية الأطفال، فهم حاضرون في جو القصة بلطفهم وبراءتهم ووعيهم وفطرتهم السليمة، والتي توحي بالكثير، وتذكّر برقية طفلة الحسين الشهيدة: «كُلُّ الأطفالِ يُذكِّرونَنا بكِ، كُلُّ الأطفال خدّامُكِ، مع كُلِّ مشاغباتِهِمْ وألعابِهِمْ وعوالِمِهِمْ، لكن انظري كيف هم في طريق الأربعين يُقلِّدونَ الكبارَ، بل هم كبار، يسابقون آباءَهُمْ وأمّهاتِهِمْ وأصحابَ المواكب، يحملون إناءً كبيرًا لإطعام الزّوّار، وأكوابَ القهوة، وأقداح الماء وعُلَبَ المناديل الورقيّة، ويا لفرحتهم لو أخذنا منهم شيئًا، حينها نكون كأننا أعطيناهم عيديَّةً أو لعبةً يحلمون بها.

يا رقيّة هؤلاءِ الصّغارُ الذين يتذمّرون من شيءٍ بسيطٍ ويطلبونَ من آبائهم حملَهُمْ على ظهورهم لو ساروا مسافةً قليلةً من بيتهم إلى السّوق، اليومَ في هذا الطّريق يسيرونَ ويُهَرْوِلونَ بِكُلِّ نشاط.

حتَّى الطّفلُ الذي بدأ لتوّه بخطواته الأولى، يتهادى في مشيته، يأتي به والدّاه؛ ليخطوَ في طريق المشّاية، لتكتملَ خطواتُهُ، فتعتادَ راحَتَا قَدَمَيْهِ على هذا الطّريق، لتنتقلَ حرارةُ ترابِهِ إلى دماء قَدَمَيْهِ، فتتحرَّكا من تلقائهما حينما يحينُ الموعدُ، وتدقُّ ساعةُ الأربعين.»

الشخصيات كلها حقيقية، وهي توثّق الحدث بقدر ما ترويه، وتقدم الواقع الصرف ممزوجًا بالعاطفة والتفاعل الوجداني... إنها شخصيات روايةٍ وفي نفس الوقت هم أشخاص حاضرون ليسجلوا مواقف للتاريخ.

٥.سير الأحداث- الحبكة:

الرواية هي يوميات زائرة تمشي على طريق «يا حسين»، هكذا نختصر الحكاية، وهي تقتطف من هذه اليوميات أبرز مشاهداتها، وترويها لنا مع الشواهد الدينية والقناعات الفكرية التي تحملها، والخلفية التاريخية التي تشير إليها.

تبدأ من التجهيز للرحلة، الحماس للبدء، الوعي لأهمية الحدث وروحانيته، حشد عاطفيّ يسبق المسير، وتترجمه الخطوات فيما بعد، لا لتنفثئ العاطفة بل لتشتد احتشادًا مع كل خطوة، وتتصاعد الأحداث مع كل عمودٍ تتخطاه الزائرة، تقاطعها أحداثٌ عادية، كضياع أخيها، لتتحول إلى أحداثٍ غير عادية، بسبب الحشد العاطفي والروحي؛ «لو سألني أحدٌ: ما هي الاحتمالات التي دارت في رأسكِ عند تضييعك أخاكِ لقلتُ: لا شيء، لقد طويتُ كُلَّ هذه الأعمدة ولا أزالُ أطوي وأنا أُفكِّرُ في تلك السّاعة التي

غادرت فيها زينب ﷺ كربلاءَ، بعد أفدحِ مصيبةٍ في الكون، معها نساءٌ أراملُ وأطفالٌ أيتام.» (ص٤٣) وكلقائها بصديقتها، عند العمود ٢٥٠، « عانقتُها، والدّمعُ يملأُ آماقَنا، إنَّه ليس دمعَ اشتياق صديقتين، وإنَّما هو دمعُ الاشتراكِ في المصيبة، دمعُ المواساة، والفكرةِ ذاتِها والحرارةِ نفسها، دمعُ من تذكَّرْنَ زينب في اللّحظة ذاتها؛ لأنَّ آيةَ اعتادت على أن تسأل مثلَ سؤالي: لماذا أشعرُ بأنَّكِ تسيرين في مكانٍ ما هنا...!» (ص٥١).

كل الأحداث تسير كما لو أنها تمضي بموازاة الركب الحسيني الفاقد الأسير، والحبكة تبدأ من اللحظة الأولى، توقعًا لما يحدث، تماهيًا مع كل حركة وسكون، ودورانًا في فلك عشق الحسين، ورصد ذاك العشق في الخدمة والزيارة، التي تلخص كل المسيرة الأربعينية من الألف إلى الياء...

والأحداث أيضًا تواكب العقيدة الشيعية التي تذوب في عشق الحسين، وتحاول أن تميط اللثام عن شبهاتٍ وردود، فتأتي في سياق القص ورحلة المشي، ويبرز ذلك في قولها: «كان هناك سؤال يؤرِّق أخي، فهو يسمعُ من هنا وهناك أنَّنا نحن العراقيّين من قتلَ سيِّدَ الشّهداء ﷺ، فيبحث عن مصدرٍ يرجعُ إليه؛ ليفهم أكثر، تبسّم السّيّد وقال له مشيرًا إلى الطّريق: هؤلاءِ هُمُ العراقيّونَ، وهم خُدّام الإمام الحسين ﷺ، أمَّا قتلتُهُ فراجع في ذلك كتاب: من هم قتلة الحسين؟ للسّيّد عليّ الميلانيّ» (ص٤٥) وقولها: « نعم، أطول صلاة موحّدة في العالم يقيمُها شيعةُ عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، وهم في طريقهم إلى ولده الذّبيح، فلا يزايدُ على إسلامِهِمْ وتوحيدِهِمْ غير خوّانٍ أثيم؟» (ص٥٠).

كل هذه الأحداث تاريخ، تسجلها الراوية للأجيال ليعرفوا كيف هو المسير إلى الحسين، وما هي ظروفه وحيثياته، ولا تبخل عليهم بالنظرة الشاملة نحو الماضي القريب أيضًا، فتدوّن فيها تدوّن جرائم النظام البعثي بحق زوار الأربعين:

«كانَ النّاسُ في ذلك الزّمن الأسود يُقطِّعُ الشّوقُ نياطَ قلوبهم لرؤية كربلاءَ ولزيارة الأربعين، فيخرجون ليلًا، ويسلكون الطّريقَ الزّراعيَّ، أو ما يُسمَّى (طريقَ العلماء) للمشي إلى كربلاء، الأعدادُ الكثيرةُ من النّاس حاليًّا تسيرُ فيه، إنَّهُ مكانٌ مليءٌ ببساتين النّخيل والخُضرة وعيون الماء، يُحاذيه نهرُ الفرات، نسائمُهُ عذِبة.

فإذا أخافَهُمْ صوتٌ ما أو شعروا بمراقبةِ أحدٍ لهم، سارعوا في الاختباء وسطَ العشبِ الطّويلِ، وخلفَ الأشجار.

وقد نصبَ بعضُ البعثيّة سيطرةً لإيقاف الزّوّار، وفي إحدى المرّات وبعد مرور عددٍ من المشّاية أوقَفَهُمْ هذا البعثيُّ ذو اللّسان البذيء، ولم يكتفِ بذلك حتَّى أمسك بزائر كبيرٍ في السّنّ ورماه في نهر الفرات!» (ص٧٤ و٧٥)

وتستثمر الراوية كل المشاهدات لتقدّم الفكرة، مشاهداتٌ حقيقية حصلت معها، أو أخبرها بها كتابٌ ما، ومنها حضور التنوع الديني في هذه المسيرة المحتشدة، وهي لا تكتفي بسرد ما رأت، بل تخرج منه إلى سرد ما عرفت، ثم بخلاصة ذلك كله، وعلاقته بعالمية المسيرة وصاحبها... « فاجأتني آية: صفا انظري، هل هذا صليب؟!

- أين؟

إنَّه رجلٌ بثيابٍ غريبةٍ عن ثيابنا، سوداءَ بأشرطةٍ حمراءَ تلتَفُّ على وسطه وعلى قبعةِ رأسه، يرتدي الصّليبَ نعم! وآخرُ بملابسَ زرقاءَ يحملُ عصًا طويلة. إنَّهُمْ بالقرب من موكب للجنسيّات والأديان المختلفة، فيه مترجمون لكُلِّ اللّغات. واقفٌ يتأمَّلُ، يلتفتُ يمنةً ويسرةً، تارةً إلى المواكب، وتارةً للمشّاية، يُمعن النّظرَ في أرجلِهِمْ، يحملُ في يده دفترًا يكتب فيه، ثُمَّ يُلقي نظرةً، ويرجعُ ليكتب... إنَّه يحفظُ ملامحَ الأربعين، كما حفظ ذاك الرّاهبُ ملامحَ رأس أبي عبد الله في أحد المنازل

التي مرّ بها الرّكب الزّينبيّ عند مروره بأحد الأديرة في طريقه من العراق إلى الشّام.» (ص٦٥ و٦٦) «لعلّنا نظنُّ أنَّ هذا الطّريقَ يأسرُنا فقط دونَ غيرِنا، يجذبنا ويُلصِقُنا بِهِ، نُدْمِنُ عِطْرَهُ وترابَهُ، كلّا، فأنا أُحِبُّ أن أرى الإمامَ الحسينَ عليه السلام بعيون غيرِنا، أحِبُّ أن أرى نورَهُ وهو يتسلَّلُ لِكُلِّ الأفئدة، ويمتدُّ إلى آخر العالَم...»

ثم تسرد قصة المصورة الإيطالية العاشقة للحسين، كلوديا بورجا، والتي وصلت إلى هنا وشهدت هذا المشهد العظيم، وهنا تتساءل الراوية: «ما الذي يدعو المسيحيَّةَ والعشراتِ غيرَها إلى التّنقيب عن زينب عليها السلام، وأن تبحثَ في روما؛ لتدرسَ شخصيَّتَها ومواقفَها؟ أليس ذلك؛ لأنَّها وجدت فيها صفاتِ المرأةِ الكاملة، القدوة، الخالدّة، التي لا يمكنُ أن يكونَ غيرُها بديلًا عنها.» (ص٦٩).

وتتصاعد الأزمة مع قرب الوصول، تتكاتف الفكرة والنبضة والنظرة، والزمان والمكان والحدث، لتحمل الزائرة إلى ذلك الهدف المأمول، ونلاحظ كيف يتأزم الموقف مع قرب البشارة، التي تلوح خلف المنعطف، فعند العمود ١٤٥٢، وهو آخر الأعمدة، تقول الراوية: «إنَّه صُبحُ الأربعين، وصلْنا إلى ختام الأعمدة، هذا العمود يبشِّرُنا بالوصول، إنَّهُ الأقرب إلى الجنَّة، لحظةُ اللّقاء تشغلُ فكرَنا، يا تُرى كيف سيكون، أتمنَّى أنِّي عانَقْتُ القبّةَ، واتّسعت يداي لأن تُحيطا بالشّبّاك، أو أمسحَ كفّي بكُلِّ جدران الصّحن.» (ص٧٩).

وعند الوصول تختصر المسيرة حكاية العمر، وتتجمد اللحظة وتطول، فتودّ أن لا تنتهي أبدا: «تتطاول الأعناقُ، تشخَصُ الأبصارُ، ترتفع الأيدي، أين المناراتُ، أين القبَّةُ، شدّت آيةُ على يدَيَّ بقوّة، وأخي محمّد رفعَ أطرافَ أصابعِ أقدامِهِ؛ لينظر، أطرقْتُ قليلًا تأهُّبًا لتلك اللحظة، هل أرفعُ رأسيَ الآن أم أنتظِرُ، تجرَّأْتُ فرفعتُهُ...

بكلتا يدَيَّ أباعِدُ الدّمعَ عن عينيَّ، لا أريدُ أن يحجبَ عنّي رؤيةَ هذه اللّحظة، ليت كُلَّ لحظاتي مثلُها، ليتَ كُلَّ يومٍ وشهرٍ وسنةٍ تكونُ نهاياتُها قُبّتَكَ، ليتَ كُلَّ نهاياتي حسينيّة.» (ص٨٠).

وتختصر حكاية تداخل الماضي مع الحاضر والمستقبل، لتقوم بمهمة دمج الرواية بالتأريخ: «سنعودُ إلى ديارنا، بينما تبقى مولاتنا زينب ثلاثةَ أيّامٍ تنوح عليك، ثُمَّ تعود إلى المدينة من دونك.

سنعود وينتهي صفر، ونخبِّئُ ثيابَنا السّوداءَ نرشُّها بالمسك على أمل اللّقاء، نكتب على قدورنا (وقف للحسين) ونضعُها في المخازن، نتعاهد: «الله يُعَوِّدكم» والحرارةُ التي في القلوب تشحذُ نفسَها؛ لتتوقَّدَ أكثرَ في المحرَّمِ التالي...» (ص٨٣)

نهاية الرواية هي حلّ عقدتها، الوصول إلى الحسين، واستمرارية النهج الحسيني إلى الأبد، وهي تكرّس العقيدة الحسينية التي ترى الكون كله بعين كربلاء، ولكنها مع ذلك لا تخالف الرؤية الموضوعية في كل شيء، لأنها تنقل الحقائق والمشاهدات، بكل أبعادها، ولئن لم يكن في الرواية ذكر للمصادر والأسانيد إلا فيما يتعلّق بالخبر الماضي، فلأنها من بنات الحاضر، والشاهد فيها ليس بغائب.

ثانيًا: رواية «غيرتها الشمس» للكاتبة لبنى مجيد الشيخ زيني:

هذه الرواية هي صورة أخرى من صور المسير الأربعيني، تنقلها رؤية أخرى لكنها توأمٌ للرؤية الأولى، فهي تنقل الحدث بنفس الأقلام والعيون النسائية والقلوب والأرواح، مع فارقٍ في التفاصيل، التي تكرّر المشهد الأول وتزيد عليه، وتضفي عليه غنًى معرفيًّا من نوعٍ جديد، لكنه حتمًا يصبّ في نفس المجرى... الطريق إلى الحسين.

ومع اختلاف القصة تختلف العناصر، ربما لتتلاقى في كثيرٍ من دلالاتها، لكن استعراضها يعيننا على فهم تلك الدلالات، ورصد حركة التأريخ فيها، حيث تقوم بدورها في البحث والتوثيق، لتغدو مرجعًا لمعرفة تفاصيل المسيرة الأربعينية، من طريقٍ جديد.

١. العنوان: «غيرتها الشمس»

عنوانٌ رمزيٌّ بامتياز، فهو مستلٌّ من الحديث الشريف للإمام الصادق ﷺ، الذي يتحدّث فيه عن زوار قبر الإمام الحسين ﷺ ويدعو لهم: «...فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس...» (بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٩٨، ص٨)

اختيار العنوان مناسبٌ تمامًا، فالقصة هي عن هؤلاء الذين غيرت وجوههم الشمس على طريق زيارة سيد الشهداء، فلم يبالوا، بل كانت لهم تلك الصفة مكرمة ومفخرة، واقتباس كلماتٍ من حديثٍ شريفٍ موثّقٍ، هو دورانٌ في فلك تلك الكلمات، التي تبرز شعريتها كعنوانٍ للرواية، ومصداقيتها كجزءٍ من حديثٍ مسندٍ معتبر، قاله أحد أئمة أهل البيت ﷺ ، ليؤكد على أهمية هذه الزيارة العظيمة، رغم المشقة والعناء اللذان يحفّان بكل تفاصيلها.

٢. المكان والزمان:

الزمان والمكان محدّدان في الرواية، لا شك في ذلك، وهما حاضران بقوة، كما في الرواية السابقة، وهذا أمرٌ طبيعي، فالقصة هي حكاية المسير الأربعيني إلى كربلاء، وبالتالي فالمكان هو طريق الأربعين بكل تفاصيله، والزمان هو فترة ما قبل الزيارة وخلالها، فهما إذًا موجودان ضمن الرواية كأمرٍ تلقائي، كما أن دلالات المكان والزمان تبرز في مواضع عديدة: «ها قد وصلنا إلى الشارع الرئيس؛ طريق مزدحمةٌ بالزوار من مختلف الجنسيات... حركة السيارات صعبة، أعلامٌ ورايةٌ كبيرةٌ، ومواكب عامرةٌ بالخدم والزوار.

أشعر أن الدنيا كلها هنا... كربلاء هنا، مع أننا نبعد عنها مئات الكيلومترات.» (ص٢٥).

وتتكرّر أسماء لمدن شتى على طريق المسير: «بساتين عفج، قرية الفاضلية، مدينة سومر، الدغارة، صدر الدغارة، الحلة، شارع الطاقة، منطقة الهندية، طويريج، سيطرة أم الهوى...»، مع تحديد المواقع الجغرافية لكلّ منها... إنه توثيق دقيق لكل خطوة، لا يخلو من دلالاتٍ فنية، تجعل القصة تقترب حينًا من البحث التاريخي وتغوص حينًا في أعماق المشاعر التي يستثيرها المسير... والحديث يعطينا فكرةً واضحة عن تعدد دروب المسير إلى كربلاء: سابقًا عند مدخل الديوانية، سلك قسم من الزوار باتجاه مركزها، ثم الشامية نحو النجف ومنها الى كربلاء، وقسم اتجه الى الدغارة، ثم صدر الدغارة، مرورًا بمدينة القاسم، ومنها عبر الحلة عن طريق طويريج الى كربلاء.

وقد تنقسم هذه الطرق أحيانًا إلى فرعية، ثم تعود لتلتقي في الشارع العام» (ص٨٥).

كما أن تفاصيل الأماكن تعطي فكرةً واضحةً توثيقيةً عنها، فهي تصلح لتكون مرجعًا في فهم حديث الزيارة والمسير، وهذا ما يجعل هذه الرواية تميّز بدقتها وموضوعيتها في النقل، لأن عنصر التوثيق الدقيق بارزٌ فيها...

ولا تختفي الأعمدة وأرقامها في هذه الرواية، لكنها ليست بمثل بروزها في الرواية الأولى، على أن تفاصيل الأمكنة هنا بارزة، ولها دلالات عميقة، غالبها يتمحور حول الخدمة... «تتعثّر بهم في كل خطوة، فالطريق هنا تتحول لمجالس، حيث وضعت قطع الأثاث من المنازل أمام أبوابها، على حافات طريق الزوار، أطقم أرائك مختلفة، فهم يوسعون مساحة البيت لخدمة الزوار من جهة، ويفسحون المجال ليجلس عليها

الزوار للاستراحة من جهةٍ ثانية؛ أثاثٌ فخم، حاجات بيت عزيزة، بل إني رأيت بيوتًا جديدة، كانت قد بُنيت واكتملت سابقًا، وأصحابها ينتظرون موسم الحسين ليبدأوا بالسكن فيها واستخدامها، وذلك تبرّكًا بدخول الزوار وخدمتهم قبل انتقالهم إليها.

الطريق في الحلة يتلخّص بالآتي: مواكب متجاورة، وبيوت قريبة من الشارع، كلها مفتوحة للخدمة وتوزيع الطعام!» (ص٩٠).

أما الزمان في الرواية فهو حاضرٌ بدلالاته المختلفة، وهو توثيقيٌّ حينًا وإيحائي حينًا آخر، كما أن معظم فصول الرواية تبدأ بتوثيقٍ زمني، «إنه الرابع عشر من صفر، أول خروجنا من المنزل.» (المصدر السابق، ص٢٥) «السّاعة السّابعة صباحًا... أنظر إلى عقارب الساعة تتحرَّكُ، أتأمَّلُ فيها خطواتِ الزّائرين، أفكِّرُ في حوراء، وأتمنَّى أن تتَّصل. أحترم لحظاتِ ذلك المسير، حيثُ يعود الإنسان إلى نفسه، ثُمَّ ينساب سهلًا في ذلك الجَوِّ المفعم بالحياة.»(ص٢٧) «إنها الثالثة عصرًا.»(ص٢٩) «عندما تقترب من كربلاء يختلف الأمر، فاللّيلُ والنّهار لن يكونا مقياسًا لسيرِكَ ومنامِكَ، فأنتَ تسير ما أمكنك، وتنامُ ما اضطُرِرْت إلى النّوم. كُلُّ شيء يكون يقظًا على مدار أربعٍ وعشرين ساعة...» (ص٩٣) بل إن عناوين بعض الفصول هي شواهد زمنية: «البداية... ساعة الغروب... قبل أسبوع... الحلة من الشفق إلى الغسق...الصباح الميمون»... والزمن دائمًا شاهدٌ على تواصل حكاية المسير الأربعيني الذي لم يتوقف أبدًا منذ بدأ، والشاهد ما أتى في مقدمة الرواية على لسان الكاتبة: «أخبرتُهُمْ أكثرَ من مرَّة، أنَّ الاقترابَ من كربلاء لا يشفي الغليل، بل يزيد الجمرَ لظًى، وأنِّي وجدتُ روحي هناك، وكأنَّما هي منذ نشأتها الأولى تنتمي لذلك العالم وتحنّ إليه.

أُغْمِضُ عيني... أفتَحُها...

يتغيّر إحساسي بالزّمان والمكان كُلَّما قرُبَ موسمُ الأربعين، وكأنَّ روحي تَشِفُّ؛ لترقبَ أخبار السّماء، في انتظار حلول نعمة المنّان عليها في التّوفيق للمسير، إلى قبلةٍ ترضاها هذه النّفسُ التّائقةُ للوصال.

يتوقف كُلَّ شيء ما عدا ذلك. ها هي بوصلة الوجود تُشيرُ إلى كربلاء.» (ص١٣)

٣.الراوي:

في الرواية تعددٌ للرواة، فهناك راوية رئيسة، وزّعت الأدوار على ثلاثة رواة!

الراوية الرئيسة هي كاتبة الرواية على ما يظهر، لأن خطابها للقارئ منذ بداية الرواية كان حقيقيًّا، ولم تتستر خلف شخصية أخرى، كل ما في الأمر أنها جعلت من صديقاتها الزائرات، حوراء وكوثر وزينب، رواةً لروايتها، فهنّ كنّ على اتصالٍ بها خلال فترة المسير، وكانت كل واحدةٍ تروي مشاهداتها ومشاعرها وما يجري معها من أحداث، وقد قامت الكاتبة بنقلٍ أمينٍ موضوعيٍّ لمحادثاتهن، مع صياغةٍ فنية لها في بعض المواقع، مما جعل الرواية أقرب لتوثيق مشاهداتهن، لكن بأسلوبٍ أدبي فني، وهي في بداية الرواية تصف شوقها للزيارة، وتوسلها بأم البنين (ع) لتحقيق طموحها ذاك، ثم تنتقل خلال الرواية لتجعل من راوياتها لسان حالها الناطق، وتروح تسرد على أسنتهن ما تعيشه بروحها دون جسدها، على أن أملها يتحقق في النهاية، حيث تخبرنا بذلك في أواخر الرواية، ولكنها تكتفي بجعل روايتها سجلًّا لمشاهدات صديقاتها فحسب: «بعد التوسل بأم البنين ﷺ إلى الله، تهيّأت لي الأسباب للزيارة والخدمة، لكني آليت على نفسي أن أمضي قدمًا، في تدوين ما كان يصلني من رسائل صوتية لرفيقاتي، في مشروع التوثيق للزيارة، لا سيما أن وجودي كان في مركز كربلاء، فكنت أتطلع

نحو النجف أترقب مقدم كوثر بأهلها... ونحو طويريج وطريق «يا حسين» الممتد من الجنوب قادمًا بحوراء ومجموعتها، ثم أعود فأترقب طريق بغداد، فقد طال انتظاري لزينب، عزائي أن لزينب ربٌّ يحميها...» (ص١١١).

يسيطر ضمير المتكلّم على جوّ الرواية، والصفحات من ٢٥ إلى ٦٥ تقريبًا هي على لسان حوراء، ومن ٧٤ إلى ٨١ على لسان كوثر، ومن ٨٨ إلى ١١٠ تعود حوراء لتسرد، لكنها تتحول إلى ضميرٍ غائبٍ أحيانًا، لتستلم الراوية الرئيسة الدفة عنها وتحاورها، أما زينب فبقية الرواية هي مسرحها، من الصفحة ١١٣ حتى الصفحة ١٣٦، حيث تتحول الفصول إلى اثني عشر رسالة، هي ختام الرواية، تنقلها الكاتبة بصيغتها الأصلية، وكأنما هي توثّق الحدث على لسان أصحابه، وهنا تبرز موضوعية النقل، وهي طريقةٌ من طرق البحث التأريخي دون شك.

٤. الشخصيات:

بما أن رواة الرواية هم من داخل الحكي، أي أنهم بعض شخصياتها، وبما أنهم يسردون مشاهداتهم وتفاعلهم معها، فإنهم (أي الكاتبة وحوراء وكوثر وزينب) هم الشخصيات الرئيسة، وبقية الشخصيات ثانوية، تتنوع بين الزوار والمعازيب وأطفالهم، الذين يقومون بمهمة استدراج الزوار إلى البيوت لنيل شرف استضافتهم، وأصحاب المواكب، وحتى أفراد القوى الأمنية المكلفون بحماية الزوار، فإن لهم نصيب من الحديث...

والأطفال في القصة لهم حضورٌ قوي وبارز، إلى جانب كبار السن والعجائز، وبالأخص في الرسائل الاثني عشر التي أتت على لسان زينب في آخر الرواية، فهناك نرى الطفل الحسيني يعيش حالة الخدمة بأبهى معانيها، والعجوز الذي يجر خطواته

بصعوبةٍ فإذا هي على طريق الحسين نشيطةً دؤوبة، ويغدو الصغار والكبار مدرسةً للإخلاص والتفاني: «فداءً لصوتكم الدّافئ، لضجَّةِ أقدامِكُمْ وعربات أطفالكم، لصوت عُكَّاز كباركم... فداءً لهذا العطر الجميل، لهذه الخدمة الرّاقيّة، لهذا الأمان السّماويّ...» (ص١١٤) « وقبل أن ألتفت كان هناك صبيّان دَعَواني للاستراحة والمبيت في منطقه أبو دشير... قلت لهما: «لقد أرسلكما الله إليّ»، فقال أحدهما: «بل إنَّ الله أرسلَكِ إلينا، نخدمُكِ ونطلبُ دعاءَكِ... أنا مصاب بمرض السّرطان يا خالتي، فادعي لي بالشّفاء، فدعاء المشّاية مستجاب»... قالها وركض إلى عمله وهو يجمع الزّوّار وأوصلني الآخَرُ إلى المبيت وعادَ ليأخذ غيري.» (ص١١٥ و١١٦) «أحضروا أولادكم إلى هنا، هنا سيتعلمون الفضائل!» (ص١١٨)، «رجلٌ ستّينيٌّ يجمعُ النّفايات من الطّريق، وينظِّفُ المكانَ حول الموكب، ويستمرّ بعملِهِ لمسافة بعيدة.

لماذا ينظف هذا الرجل الشارع؟! إنه بعيدٌ عن موكبه كثيرًا!!

ما هذا التّفاني؟! لماذا لا نفعل ذلك في حياتنا اليوميّة؟! هو يعملُ الآن حبًّا بالحسين عليه السلام...» (ص١١٩)

«تذكَّرْتُ العامَ الماضي: كيف كان أحدُ الأطفالِ يُوزِّع الشّربت، ويُصِرُّ عَلَيَّ وأنا أشكره بِكُلِّ العبارات، فلمَّا يَئِسَ منِّي استوقفني بكلتي يديه، وهو يقول ترغيبًا لي بِكُلِّ عفويّة: «خالة، هذا الشربت ليلة كاملة أجهزه وأعصر فواكه طبيعيّ»، تذوّقْتُهُ... كان طبيعيًّا فعلًا! أخذتُهُ لأجبرَ خاطِرَهُ، وكان يدعو لي بالقبول والسّلامة، ويسألني الدعاء؛ كان بإمكانه أن يستخدمَ أيَّ نوع من الشّربت أو الماء؛ لنكون له ممتنِّين، فما الذي جعلَ صبيًّا يسهرُ اللّيلَ؛ ليعصر الفواكه؟! مَنْ رآه؟! مَنْ شجَّعَه؟!» (ص١٢٣ و١٢٤)...

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

على أن أحد الأطفال في الرواية كان له موقفٌ خالدٌ حقًّا، فقد جاء ذكره على لسان حوراء، فقالت: «وعلى الرّغمِ من كثرة الأطفال المشاركين في الخدمة، فإنَّني لاحظت هنا في آخر الدّغارة أمرًا فريدًا: كان طفلًا هادئًا يعمل بصمتٍ مع أهله... شيءٌ ما جذبني إليه وأردت توثيقَهُ بصورة، فإذا بهذا الطفل يُخفي وجهَهُ عنّي، وهو يقول بصوته الطّفوليّ: «نريدها للحسين!». كنايةً عن عدم الرّغبة في الظّهور خوفَ الرِّياء والعُجب... كم صدمني هذا الرّدّ، فقلت له في خجل: «أنا أوثّقها من أجل الحسين أيضًا». فسكت...

من أينَ تعلَّمْتَ هذا أيُّها الصّغير؟!، متى تجمَّعَ هذا اليقين في قلبك، حتَّى أخرجَهُ سالمًا من حُبِّ الدّنيا؟!.

فعلًا، إنَّ عجائب الدّنيا تنتهي، وإنَّ دروسَ طريقِ الحسينِ عليه السّلام لا تنتهي!.» (ص٥٨)

الملفت في القصة هنا أن الرواة ينقلون الكثير من الأحداث بلغةٍ توثيقية عالية، فهم يوفرون لكل زائرٍ يأتي بعدهم، ومن أي طريق من طرق المشاية سلك، دليلًا سياحيًّا يمكنه الركون إليه والاستعانة به، وهم فضلًا عن وصف مشاعرهم وتفاصيل زيارتهم الصغيرة والكبيرة، يقومون بنقل الكثير من التفاصيل التي تهم كل زائر، فضلًا عن إعطاء صورةٍ شموليةٍ لحالة الزيارة، كما هي: «يزدادُ زخم الزّوّار المنتشرين بين النجف وكربلاء، القادمين من مختلف الدّول، يتحدّثون بلغاتٍ شتَّى ولهجاتٍ مختلفة... يرفع بعضُهُمْ أعلام دولهم، بملامحَ مختلفةٍ، وألوانٍ مختلفة... كُلُّ شيءٍ مختلف وكُلُّ شيءٍ مؤتلف، فلا أحدَ يُصَدِّقُ أنَّ بإمكان شخصٍ لا يعرف لغةَ أهلِ العراق أن ينزلَ النّجف، ويسيرَ ثلاثةَ أيّامٍ مشيًا إلى كربلاء، وهو يرفعُ عَلَمَ بلده، الذي لعلَّكَ لم تسمع به قبلًا؛ لتكونَ كُلُّ حاجاته مجابةً، حتَّى لَكَأنَّ الجميعَ يتحدَّثون بلغةٍ حسينيَّة موحّدة.

وأكثرَ من ذلك، فإنَّكَ تُشاهِدُ بعضَ الأجانب وهم يشاركون في الخدمة بشكل فرديّ وبشكل رسميّ هذه السّنة، وينصبون المواكب ويخدمون، وكأنَّهم سفراءُ بلادهم عند الحسين ﷺ، ثُمَّ تسمع صوتهم عاليًا: «هلا بزوّار أبي عليّ»... «تفضل يا زاير»... «جاي أبو علي»... وكلّ جمل الخدمة المعهودة، وهو يكرِّرُها بالعربيّة، ولكن بلهجة قومه، فهو يُدْرِكُ معناها في التّرحيب دون فهمِ لغتها... (ص٦٨ و٦٩).

٥. سير الأحداث والحبكة:

الرواية هي يوميات ثلاث زائراتٍ يسرن على طريق المشاية من طرقٍ ثلاثةٍ مختلفة، وكأنما الكاتبة تريد أن تخبرنا أن كل الدروب تؤدي إلى كربلاء، وأنه مهما كانت الطريق التي يسلكها الزائر فهي في تفاصيلها واحدة، لأن روح الزيارة والخدمة واحدة، والمنطلق والهدف واحد، تمامًا كما هي الحياة الدنيا ممرٌّ للعبور نحو الجنة، كذا هي الزيارة الأربعينية، وقد كان بإمكان الكاتبة أن تجعل من كلّ نصٍّ قصة منفردة، ولكنها دمجتها جميعًا في بوتقةٍ واحدةٍ لأنها قصة واحدة بخطواتٍ متشابهة، تختلف في بعض الجزئيات التي لا تغير وحدتها...

والمضي قدمًا مع الأحداث يجعلنا نرى صيغة التأريخ والبحث والتوثيق واضحة، فالكاتبة لا تكتب لتعكس مشاعرها بقدر ما تكتب لتبين فكرة وتوثق موقفًا وتعطي دلالاتٍ لصورٍ حياتية كثيرةٍ تصادف الزائرات أثناء المسير.

الزائرة الأولى، حوراء، تنطلق من مكانٍ ما هناك، على بعد مئات الكيلومترات عن كربلاء... «حتى أن سبعة أيامٍ من السير لا تكفينا كنساءٍ لنصل مشيًا من مدينتنا إلى كربلاء...» (ص٢٥)... ومع أنه كان من المفترض بالكاتبة أن توضح نقطة انطلاق حوراء ليكون التوثيق دقيقًا، لكن مسارها واضحٌ فهي قد انطلقت من الجنوب.. وصلت أولًا إلى مدينة عفج، ثم بعدها إلى الفاضلية، ثم إلى مدينة سومر، فالدغارة... وهكذا

تتصاعد الأحداث مع الانطلاق لتكون سلسلةً مترابطةً من المشاهدات الحية ذات الدلالات الغنية، وتتفاعل الراوية مع الشخصيات المحيطة التي تلتقي بها، الزوار، أصحاب المواكب، المعازيب، الأطفال... وكالعادة تحضر صور الركب الحسيني أولًا، ثم الركب الزينبيّ ثانيا، في الأذهان والقلو، فإذا كل صورةٍ للحاضر تعكس الماضي بكل أبعاده، (ص٣٧).

روحية الزائر والخادم تبرز بقوة في كل التفاصيل، «هي صعوبة الطّريق حينًا، وحرارةُ الجوِّ وازدحامُ المشّاية أحيانًا، لكنَّك ما أن تميلَ يمينًا أو شمالًا حتَّى تنهل من الخدمة ما تشاء، وبقدر ما يُهوّن علينا ذلك مشقَّةَ المسير، يكونُ قدْرُ ما يُخْجِلُنا ويوجبُ علينا الاعتذار.

لقد خطَوْنا خطواتنا الأولى ونحن ننوي السّيرَ قربةً إلى الله ومواساةً لآل محمّدﷺ في مصابهم وسبي نسائهم، فإذا بنا نسير مخدومين منعّمين آمنين، فتنحني رؤوسُنا أسًى، ونُشيحُ بوجوهنا وقد ابتلّت بدمع غزير...»(ص٤٩) (هكذا يكون الزائر، أم الخادم، فتلك حكاية أخرى، وهي تحت عنوان «سوق الخدمة»: يُراوِدُني أحيانًا أنَّ شيئًا ما أصاب رؤوسَ هؤلاء النّاس، أصحابِ المواكب، حتَّى غَدَوْا يُنادون إلى مواكبهم وكأنَّها بضاعةُ سوق يتنافسُ فيها المتنافسون، وهم على يقين من البركة والرّبح العظيم، فهم بين غنيٍّ وفقير يقدِّمون كُلَّ أنواع البذل، ... فيختلط الأمر على الحاضرين؛ هل أنَّ هؤلاء يتعبون ويبذلون المال، أم أنَّهُمْ يجنونه؟ لست أدري... لا بُدَّ من أن لهم ما يكسبونَهُ، وأنَّ لهم مع الله عزَّ وجلَّ تجارةً لن تبور!»(ص٥١).

وحتى أفراد القوة الأمنية لهم نصيبٌ من الحديث: «إنَّهُمْ بالطبع لهم نصيبٌ من زيارة الزّوّار جميعًا، وهم يَهَبُونَ لهم الزّيارات ممتنّين لبذلهم الغالي والنّفيس، في سبيل الحفاظ على استمرار الزّيارة وأمان هذا الوطن.» (ص٥٤).

أما الراوية الثانية كوثر، التي توثق مشاهداتها وانفعالاتها في فصل واحد «وجدتها»، فإن الكاتبة تترك لها لسان السرد لتحكي قصتها عبر ثلاثة أيامٍ من المشي انطلاقًا من النجف نحو كربلاء، في أواخر أيام الزيارة أي قبيل الأربعين بثلاثة أيام... والمميز هنا أن كوثر تسير برفقة أولادها، وهو حدث اعتيادي للزائرين، لكنه مميزٌ في تطبيقه وفي عنائه ولذته، وهي تكاد تضع من خلاله خطة للزائرات ذوات الأولاد، ليكون لديهم دليلٌ على طريقة السير بأقلّ معاناةٍ ممكنة مع مسؤوليات الأطفال، فهم يمشون حتى نقطةٍ معينة، العمود رقم ١٠ في اليوم الأول، ثم يعودون ليبيتوا في بيتهم بالنجف، وفي اليوم التالي يأتون بالسيارة إلى نفس العمود، ليتابعوا المشي منه، وهكذا، تتكرر العملية حتى العمود ٤٤٠، وتتكرر العودة ثم القدوم بالسيارة في اليوم التالي، وفي اليوم الثالث يأتون بالسيارة إلى العمود رقم ٤٤٠، ليتابعوا السير حتى العمود ١٣٠٠، وفي اليوم الأخير يتابعون بنفس الطريقة، وينهون رحلة المسير في الأربعين...

طريقة المشي ملفتة حقًّا، فلا يعتذرنّ أحدهم لأنه لا يستطيع المبيت إلا في منزله، لأن مثل هذه الطريقة تجعل المستحيل ممكنًا... لا عوائق ولا مستحيلاتٍ أمام أمٍّ أرادت أن تعيش الأربعين وأن تعلم أولادها في مدرسته...

الأحداث تتصاعد حتى الوصول إلى يوم الزيارة المقصود، والكل في همّ واحد، كيف يصلون ومتى... وأي خيرٍ وفيرٍ يجنون... على أن العودة على حكاية زينب «رحلة الأربعين بعيون زينب» كما سمّتها الكاتبة، كانت على شكل رسائل متتالية، هي أكثر صفحات الرواية تغلغلًا في المشاعر، فزينب ترى كل شيء بعين القلب، وتعكس رؤيتها على قلب القارئ فيشعر بها حقًّا، فمع الرسالة الأولى تقول: «بسم الله وفي سبيل الله وعلى سنّة رسول الله، هكذا خرجت من منزلي بِكُلِّ رحابة صدر، لا آبَهُ بما تركت، ولا أخاف ممَّا سألقى؛ يكفيني أنَّني وُفِّقْتُ أخيرًا للمسير إلى الحسين عليه السلام.

من باب منزلي ولمدَّة ساعتين، كان كُلُّ شيء موحشًا: شوارعُ خاليةٌ من طعم الحياة الحقّة، تشبه حياتنا الدّنيا، علَّمَتْني أنَّ الاستعانَةَ بالله وبأهل البيت ﷺ هو الأنس الوحيد الذي يُرافقنا إلى الأبد، وأنَّ كُلَّ ما حولنا سنفارِقُهُ يومًا ما، وسيغدو موحشًا...

هنا شعرت بأنّي وصلت إلى حدود المدينة المثاليّة... خرجت من عالم المادَّة إلى عالم الحسين ﷺ.» (ص١١٣ و١١٤).

وتكثر في الرسائل الأسئلة وعلامات الاستفهام... والأجوبة المستلة من زيارة الحسين (ع) وحبه: هل رأيتم عسلًا يُجنى بغير سعي؟

هل رأيتم حبًّا كبيرًا لا يعذّب شوقُه القلوب؟» (ص١١٥)

إنها تمشي على رمشها وترى بقلبها... كل الأشياء لها ألوان مختلفة، وتطرح أسئلةً كثيرة:

«أفكِّر: ماذا لو كانت حياتنا كُلُّها هكذا؟» (ص١٢١)

« لماذا ينظف هذا الرجل الشارع؟!

إنه بعيدٌ عن موكبه كثيرًا!!

ما هذا التّفاني؟!

لماذا لا نفعل ذلك في حياتنا اليوميّة؟!

هو يعملُ الآن حبًّا بالحسين ﷺ...

فلنعمل ذلكَ كُلَّ يومٍ حُبًّا بالحسين...» (ص١٢٣)

«إنَّ احتمال هذا الجهد يُنبِئُكَ بأنَّ أرواحهم كانت تشتغل، لا أجسامَهُمْ فحسب، فالجسدُ يضيقُ والرّوح تتّسع.» (ص ١٢٣)

وتختم مشاهداتها كما بدأتها، بنفس الحرارة والعشق، فالوصول إلى الحسين يزيد لهيب الشوق إليه:

«في جواره هامت أرواحنا...

افترقنا من غير خوف، فإذا كان هذا يومَ الحشر، فمرحبًا بالحشر عند الحسين عليه السلام...

كنَّا نتحرَّى المكان الذي لا يُضِرُّ بحجابنا، وكانت لكلٍّ منَّا قِصَّتُها، وكان للملايين حولَنا قصصٌ مختلفة... وكلٌّ منَّا يرى أنَّه في رعاية إمامه وعينه...

فيا له من مذبوح تلوذُ به الجموعُ طلبًا للأمان، ومن عطشان يُسقى باسمه في كُلِّ مكان!.» (ص١٣٦).

هكذا أرّخت الكاتبة ووثّقت لزيارة الأربعين، من خلال ثلاثة دروبٍ مختلفةٍ، تشترك في هدفها وكيفيتها وزائريها وخدامها ومواكبها، فالكل يبدأ بالحسين وينتهي به.

بكلمةٍ أخيرة، مشاهدات الروايتين تصلح مصدرًا لمعرفة طريق الزيارة، وتحمل إلى جانب الشحن العاطفي نقلًا أمينًا للأحداث كما هي... إنه الجانب البحثي من الرواية... ولئن لم تستطع الرواية أن تكون بحثًا لاختلاف مطلبهما والكثير من عناصرهما، إلا أنها أثبتت أنها قادرةٌ على ولوج باب التأريخ والتوثيق، مع محافظتها على روحية القص والتشويق.

الخاتمة

يخلص هذا البحث إلى استنتاجٍ عام يتعلق بالرواية الحسينية عمومًا، وآخر خاص يتعلّق بالرواية الأربعينية، فيؤكّد على خصوصية كلٍّ منهما وانفرادهما بذلك الدمج بين التاريخ والقصة، والبحث العلميّ والسرد الفني، مع تميّز كلٍّ منهما بعناصر خاصة تعطيهما هوية أدبية ذات طابعٍ عصري.

إنها الرواية الأربعينية إذًا، حسينية الانتماء تمتدّ بجذورها إلى أعماق التاريخ، فتستمدّ من تربته الغنى والعطاء، وتخيّم بفروعها وأوراقها على عوالم الحاضر، فتستمدّ من شمسه النور والغذاء، وتتّجه ببراعمها وثمارها نحو المستقبل القريب والبعيد، لتفتح آفاقًا جديدةً لهذا النوع العتيد من الأدب الحسيني الخالد.

الرواية الأربعينية تمشي مع المشاية، تحكي حكاية شعوبٍ وصور، وقلوبٍ وبشر، وتنفتح على العالم أجمع، لأنها تدوّن للحاضر والمستقبل ما يحمله الماضي من عبر، وما يعيشه أبناء الحاضر من عشقٍ تترجمه الخطوات والأصوات والآهات والصرخات، وكل الحياة حين تتحوّل من أحداثٍ عابرةٍ إلى وقائع متجذّرة، وهي تحكي بقدر ما توثّق، وتروي بقدر ما تؤرّخ، وتقدّم القصة مطعّمةً بالحقيقة الناطقة.

المصادر والمراجع

١. ابن طاووس، «إقبال الأعمال»

٢. ابن قولويه، «كامل الزيارات»

٣. العلامة المجلسي، «بحار الأنوار»

٤. زهراء الشهربلي، «١٤٥٢ عمودًا»، بيروت، دار الولاء، ٢٠٢٣

٥. سيد قطب، «النقد الأدبي أصوله ومناهجه» (الإصدار الثامن)، القاهرة: دار الشروق

٦. عبد الدائم السلامي، «كنائس النقد» (الإصدار الأول)، ٢٠١٧

٧. لبنى مجيد الشيخ زيني، «غيّرتها الشمس»، بيروت، دار الولاء، ٢٠٢٣

٨. محمد حسين الأصبهاناتي، «نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين (ع)»، شبكة الفكر

الزيارة الاربعينية في المهجر
دراسة في أثرها الروحي والاجتماعي
على الجالية الشيعية في كندا

م.م نيران سالم داغر السراي
ماجستير علوم القرآن والتفسير
ladymasoumehneighbor@gmail.com

الخلاصة

زيارة الأربعين في دولة كندا ظاهرة اجتماعية وروحية تعبر عن ارتباط الجالية الشيعية العميق بالإمام الحسين عليه السلام وقيمهُ السامية.

تجسد هذه المسيرة مبادئ التضحية والتكافل وتعزز الترابط بين أفراد الجالية كما تسهم في رفع الوعي الديني لدى الشباب وغرس القيم الحسينية في نفوسهم. وتقام فعاليات رمزية كالمَسيرات ورفع الرايات وتوزيع الطعام مما يلفت انتباه المجتمع الكندي لما تقوم به الجالية كل عام بحيث تشكل المسيرة محطه سنوية لتجديد الايمان وتعزيز الولاء وتساعد في الحفاظ على الهوية الإسلامية بمواجهة تحديات الذوبان الثقافي.

-من أبرز الدلائل الواقعية الدلائل الواقعية على تأثيرشعائر الأربعين في المجتمعات الغربية ما يلي:

أولا- تنظيم مسيرة الأربعين من قبل المؤسسات والمراكز الإسلامية في جميع مدن كندا:

حيث بدأت هذه المسيرة بمشاركة عشرات الأفراد ثم تطورت لتنظم المئات، بل الالاف من أبناء الجالية الشيعية إضافة الى مشاركة عدد من غير المسلمين من الكنديين وغيرهم مما يعكس اتساع أثر هذه المناسبة وتنامي حضورها في المجال العام الكندي.

ثانيا- تولي المؤسسات الدينية اهتماما خاصا ببرامج زيارة الأربعين :

حيث تنظم محاضرات دينية وخدمات اجتماعية ونشاطات شبابية تشارك في تنظيم المواكب مما يسهم في ترسيخ الجانب التربوي لمسيرة الأربعين ويعزز من تنمية المهارات والانتماء الديني والمذهبي لدى أجيال الجالية الامر الذي يعد مهما جدا في بيئة الاغتراب.

ثالثا: تناقش هذه الدراسة أيضا التحديات التي تواجه القائمين على تنظيم المسيرة وأبرزها:

١. القيود القانونية على التجمعات العامة في بعض المناطق كالشوارع الرئيسية والساحات التي تخص المباني الحكومية وهذه تحتاج الى بعض الإجراءات للحصول على الموافقة للمسيرة الحاشدة.

٢. صعوبة إيصال رسالة شعيرة الأربعين الى غير المسلمين في ظل اختلاف الثقافة واللغة.

رابعا: تتضمن الدراسة مجموعة من العناصر التوثيقية من بينها:

١. صور فوتوغرافية توثق المسيرة كالمواكب ومشاركة الأطفال والشباب وهم يرفعون رايات الحسين عليه السلام وصور توزيع الطعام وكذلك صور توثق مشاركة المارة من الكنديين في المسيرة.

٢. استبيان يبين عدد المشاركين من مختلف الجاليات في المسيرة مثل الجالية اللبنانية والباكستانية والعراقية.

٣. مقابلات قصيرة (حوارات) مع بعض الجنسيات حول تساؤلاتهم المتعلقة بأهداف هذه المسيرة وانطلاقها كل عام وسر احياء هذه الشعيرة وتعلقنا بقضية الامام الحسين عليه السلام.

٤. عرض نماذج من الفلايرات (flyers)التي توزع خلال المسيرة لتشرح قضية الامام الحسين عليه السلام بشكل مختصر.

٥. استبيان احصائي يظهر أعداد الزوار المشاركين من قارة أمريكا الشمالية وبالخصوص من كندا للسنوات السابقة.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين في كندا-الجالية الشيعية-الهوية الإسلامية الوعي الديني-القيم الحسينية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ ، آذار - ٢٠٢٦م

The Arbaeen Pilgrimage in the Diaspora: A Study of Its Spiritual and Social Impact on the Shia Community in Canada

Asst.Lect. Niran Salem Dagher Al-Saray
M.A. in Quranic Sciences and Exegesis

Abstract:

The Arbaeen pilgrimage in Canada represents a social and spiritual phenomenon that reflects the deep connection of the Shi'a community with Imam Hussain (peace be upon him) and his noble values.

This annual procession embodies the principles of sacrifice and solidarity, strengthens bonds within the community, and contributes to increasing religious awareness among the youth by instilling the values of Imam Hussain in their hearts. Symbolic events such as processions, banner-raising, and food distribution draw the attention of Canadian society to the efforts of the community each year. As a result, the Arbaeen walk becomes an annual occasion to renew faith, reinforce loyalty, and preserve Islamic identity in the face of cultural assimilation challenges.

This study presents real-world evidence of the impact of Arbaeen rituals on Western societies, including:

-First:The organization of the Arbaeen Walk by the Imam Hussain Foundation in Windsor, Ontario, Canada. Initially attended by dozens of individuals, the event has grown to include hundreds of Shi'a community members, along with participation from non-Muslim Canadians and others—reflecting the growing presence and influence of this commemoration in Canadian public life.

-Second:The foundation devotes special attention to Arbaeen-related programs by organizing religious lectures, social services, and youth activities, where young people help organize the processions. These efforts strengthen the educational aspect of the Arbaeen walk and contribute to developing skills and a sense of religious identity among younger generations—an especially important goal in a diasporic context.

-Third:The study also explores the challenges faced by organizers, the most notable being:

1. Legal restrictions on public gatherings in certain areas, such as main roads and public squares near government buildings, which require specific procedures to obtain approval for large-scale marches.

2. The difficulty of conveying the message of Arbaeen to non-Muslims due to cultural and linguistic differences.

-Fourth:The study includes a range of documentary elements, including:

1. Photographs documenting the procession, such as participants, children and youth carrying banners of Imam Hussain, food distribution, and images of Canadian passersby engaging with the event.

2. A survey showing the number of participants from various communities, including Lebanese, Pakistani, and Iraqi communities.

3. Short interviews with individuals of different nationalities addressing their questions about the purpose, origins, and significance of the Arbaeen procession and the community's devotion to the cause of Imam Hussain (peace be upon him).

4. Samples of flyers distributed during the procession that provide a brief explanation of Imam Hussain’s message.

5. A statistical survey showing the number of Arbaeen visitors from North America—especially Canada—in previous years.

Keywords: Arbaeen Pilgrimage in Canada – Shia Community – Islamic Identity – Religious Awareness – Hussaini Values

المقدمة

يتناول البحث ظاهرة احياء زيارة الأربعين لدى المغتربين الشيعة في دول المهجر وبالخصوص في دولة كندا بوصفها ظاهرة اجتماعية وليس بوصفها شعائر دينية فقط لأنها تعبر عن الارتباط العميق بالأمام الحسين عليه السلام ومبادئه وأهدافه وتضحياته والسيرعلى خطى دربه لأحياء وتجسيد القيم الإنسانية العليا مثل التضحية والصبر والايثار والعدالة وبناء العلاقات الاجتماعية والقيم الاجتماعية والدينية، فأن لمسيرة الأربعين تأثير اجتماعي على مستوى المجتمع بأكمله فهي تعكس التكافل الاجتماعي والترابط بين أفراد مجتمع الجالية الشيعية في كندا .

وهناك تأثيرات اجتماعية أخرى مثل التعاون والتعاطف بين افراد المجتمع وزيادة الوعي الديني بقضية سيد الشهداء وتضحياته من اجل احياء دين النبي صلى الله عليه وآله وما لهذا الدور من تأثير للقيم الاجتماعية على نفوس شباب وأطفال الجالية وهم يشاركون المسيرة الحسينية بكل حب وحماس وهم ينادون لبيك يا حسين من أقصى الأرض رغم بعد المسافة الجغرافية عن بقعة التضحيات المقدسة عن ارض الحسين عليه السلام .

تحي الجالية الشيعية في كندا هذا النداء الخالد وتشارك السائرون نحو ارض العشق من خلال مسيراتهم الرمزية حيث ترفع رايات الحسين وتقرأ القصائد والمراثي الحسينية وتوزع الأطعمة في مشهد يلفت انظار الأجانب من غير المسلمين وهم يتساءلون من هو شهيدكم المقدس الذي تحيون ذكراه كل عام بكل حب وعاطفة وولاء وتمسك بمبادئه صغاركم وكباركم. مشهد يعكس القيم الأخلاقية لزيارة الأربعين ويعزز الهوية الدينية في المهجر.

تظهر هذه الدراسة كيف ان مسيرة الأربعين تساهم في تعميق الروحانية حيث يرى المشاركين ان هذه المسيرة محطة سنوية للتجديد الايماني وتعزيز العلاقة الولائية والروحية بالأمام الحسين ﷺ كما انها تساعد في احياء التعاليم الإسلامية وتحدي موجات الانحلال والفساد الغربي.

وتعزز وحدة الجماعة والمشاركة الجماعية , بحيث تلفت انتباه الشباب المسلم كيف ان تعاليم دينهم تدعوهم الى الترابط ووحدة المجتمع والتعاون وكيف ان المجتمع الغربي متفكك وغير مجتمعي بالإضافة الى تعميق ثقافة التضحية والايثار من واقعة الطف والتي بطلها العباس ﷺ وذلك مقابل الفردية الغربية وأيضا مقاومة ضغوط الذوبان الثقافي الغربي خاصة عند أجيال الجالية.

ومن أبرز الدلائل الواقعية هي:

أولا: تنظيم مسيرة الأربعين في مؤسسة الامام الحسين ﷺ في مدينة ونزر اونتاريو كندا Canada Imam Hussain foundation Windsor, Ontario, وكذلك تنظيم مسيرات الولاء في مدينة تورنتو واوتاوا وأدمونتون ومدن مختلفة من جميع انحاء كندا حيث تجمع الموالين الشيعة.والتي بدأت بمشاركة عشرات الافراد والان تضم المئات، بل الالاف من المشاركين في هذه المسيرة من الجالية الشيعية وحتى من الأجانب.

ثانيا: تركز المؤسسات والمراكز الاسلامية وتهتم على تنظيم برامج خاصة لأيام الأربعين تشمل محاضرات وخدمات اجتماعية بمشاركة شباب الجالية في تنظيم المواكب وهذا ما يعزز الجانب التربوي لمسيرة الأربعين في تنمية المهارات والانتماء للدين والمذهب وهذا أمر جدا مهم لأجيال الجالية في دول المهجر.

كما يناقش البحث بعض التحديات والصعوبات التي يواجها القائمون على تنظيم هذه المسيرات مثل القيود القانونية على التجمعات وكذلك صعوبة نشر وتوصيل رسائل الشعيرة الى غير المسلمين.(باحثة، ٢٠٢٤)

ويخلص البحث الى ان زيارة الأربعين في كندا ليست فقط شعيرة دينية تحيها الجالية، بل هي مدرسة تربوية لأجيال الجالية ووسيلة فعالة لترسيخ الهوية ونقل القيم وكذلك تحقيق التعايش مع المحيط المجتمعي الكندي ما يجعلها تجربة ثرية تستحق المزيد من البحث والدعم.

نبذة تعريفية لزيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام :

زيارة الأربعين هي قصد الشيعة ومحبي اهل البيت عليهم السلام لزيارة قبر الحسين عليه السلام في يوم الأربعين الذي سمي بهذا الاسم لوقوع احداثه بعد أربعين يوم من معركة كربلاء التي استشهد فيها الامام الحسين وأولاده واصحابه.

حيث عادة السيدة زينب عليها السلام بنت علي بن ابي طالب واخت الامام الحسين الى كربلاء لزيارة قبور قتلى واقعة الطف لذلك تعتبر زيارة الأربعين هي احدى أكبر المناسبات الدينية في العالم والتي يحيها المسلمون وخاصة اتباع المذهب الشيعي حيث يقوم المحبين بالمشي سيرا على الاقدام نحو قبة الاحرار الى ضريح أبا عبد الله الحسين عليه السلام تقليدا وتقييدا بهذه الحادثة الأليمة بعد مرور أربعين يوما على استشهاد الامام الحسين في معركة كربلاء سنة ٦١ للهجرة في العشرين من صفر.

تمثل هذه الزيارة رمزا للوفاء والولاء لقيم الامام الحسين عليه السلام الذي ضحى بنفسه دفاعا عن مبادئ العدالة والكرامة الإنسانية. (Sind Q، بدون سنة)

ان الزيارة الأربعينية في دول المهجر وفي المجتمع الغربي ليست فقط مناسبة دينية، بل نافذة دينية وثقافية وحضارية وعقائدية، بل هي رسالة عالمية إنسانية تدعوا للتواصل الإنساني الفعال إذا تم توظيفها بشكل إيجابي وتقدم الامام الحسين عليه السلام كرمز عالمي للعدالة والحرية وتثبت ان القيم الحسينية قادرة على التواصل والتفاعل مع العالم بأكمله.

الهدف من البحث:

يهدف البحث الى دراسة الزيارة الاربعينية واستكشاف وتحليل أثارها الاجتماعية والروحية على حياة الفرد الشيعي في دول المهجر ويسعى البحث الى فهم كيف لهذه الشعائر الدور الكبير في تعزيز الروابط الثقافية والدينية والحفاظ على الهوية الشيعية وتنمية الوعي الجمعي وتعزيز الروابط الاجتماعية داخل الجالية وتحفيز المشاركة المجتمعية وبناء حالة من الانتماء والتواصل الروحي مع مبادئ وقضية الحسين عليه السلام وتعزيز الثقة والايمان بالجذور الدينية والتاريخية.

وكذلك الدعوة لمزيد من الدراسات حول ممارسة الشعائر الحسينية وبالأخص أيام زيارة الأربعين للمغتربين في دول المهجر وتسليط الضوء على اهم الصعوبات والتحديات التي تواجه المغتربين في بيئات غير إسلامية وغير مألوفة ثقافياً واجتماعياً. وكذلك درج اهم الفرص من خلال الاهتمام بأحياء شعائر الحسين عليه السلام ومالها من دور فعال على روحية المغتربين وثرها الإيجابي على تربية أجيال الجالية على تعاليم الدين الاسلامي الصحيح ومبادئ واهداف الحسين حيث أصبحت هذه الشعائر مصدر قوة دائمة ورصينة.

المحور الأول

الأثر الاجتماعي للزيارة الاربعينية بصيغتها الممارسة في المهجر للجالية الشيعية في كندا

اولا: فهم الأثر الاجتماعي والمجتمعي لممارسات الزيارة الاربعينية:

تعد زيارة الأربعين أكبر تجمع انساني عالمي تجاوزت بمفاهيمها وابعادها وأهدافها المادية والمعنوية الطابع الديني. صحيح ان الشعائر بشكل عام تشكل منظومة مهمة في دائرة المعارف الشيعية هذا مما لا شك فيه ولاريب على مر التاريخ ولا يمكن لأي أحد ان يناقش في مثل هذه القضية.

ان زيارة الأربعين للإمام الحسين اخذت موقعها المحوري في منظومة الشعائر الدينية عامةً لما لها من أهمية واثر اجتماعي خاص لأنها ليست شعيرة فردية ولا مجرد طقس جامد عبارة عن مراسيم حزن ولطم وينتهي بانتهاء الوقت بل ان قضية زيارة الأربعين هي قضية اجتماعية واسعة النطاق ولها اثار مهمة وواسعة على حياتنا الفردية والمجتمعية لأنها تشكل حدثا اجتماعيا غير مسبوق في العالم لما تجمعه زيارة الأربعين من دلالات على الأصعدة والمستويات التربوية والثقافية والإعلامية والعقائدية وتحمل بين طياتها اكبر عملية تفاعلية من عدة مستويات حيث الارتباط بين عالم الغيب وعالم الشهود وكذلك امتداد الماضي والحاضر والمستقبل ومفاهيم بناء النفس الإنسانية وديناميكيات الثورة الإصلاحية وعناصر واهداف الثورة العاشورائيةً ومن اعظم نهج ترسخه الزيارة هو الصراع ضد الباطل فكريا وعقائديا عبر ادامة حالة الصراع مع الظالم وترشيد القواعد الشعبية وربطها بالفكر والمشروع الحسيني عبر منظومه من القيم والمفاهيم وتحديث حالة التفاعل الفكري والارادي بكسر الأنماط الفكرية البالية وتحرير المنظومة والخروج على صمود الوعي وتفعيل

حالة المواجهة واستعادة الدور المطلوب والمسار الصحيح فميزة زيارة الأربعين وان تختص بالمذهب الشيعي لكنها تعبر عن عمق القضية الحسينية في ضمير المسلمين عموما والضمير الإنساني للعالم اجمعين لأنها واقعا نبض حياة متجدد للفكر الثوري الجهادي للباحث عن الحرية من سلطة الظالمين وكذلك انعتاق الروح من قيود مفاهيم الخضوع والذل والانكسار.

ثانيا: أبرز التحديات والفرص في ممارسة الشعائر في دول المهجر:

عندما نتحدث عن التحديات او الصعوبات التي تواجهها الجالية الشيعية في دول المهجر فأنها عديدة لاتعد ولا تحصى اما ما يخص ممارسة شعيرة مسيرة زيارة الأربعين في مجتمع متعدد الأديان ومختلف الثقافات فنحن نتحدث عن مجتمع لا توجد لديهم خلفية كافية عن فهم مضامين وابعاد القضية التي نحي ذكرها كل عام والتي نعبر عنها نحن كمغتربين بهذه المسيرات الحاشدة قد يفهمها المجتمع الكندي انها طقوس دينية موسمية تمارس كل عام وتنتهي بانتهاء وقتها لا يفهم هذا المجتمع انها رسالة تحمل عبر الأجيال للإنسانية كافة لمختلف خلفياتهم الثقافية والدينية لأنها للإنسان عموما.

لذلك نواجه كشيعة مغتربين صعوبات في إيصال قضية ورسالة الامام الحسين لمجتمع لم يسمع ولم يعرف عن الهدف الأسمى الذي استشهد وضحى من اجله الامام الحسين عليه السلام لذلك يواجه بالخصوص المسؤولون القائمون على تنظيم مسيرات الأربعين تساؤلات المجتمع الكندي عن القضية التي نحييها كل عام وصعوبة إيصال هذه الرسالة بلغة غير اللغة العربية لان الجانب العاطفي والمعنوي المعبر عن القضية قد يضيع عندما يعبر بالغة أخرى وهذا يندرج تحت صعوبة اللغة والاعلام للقضية الحسينية .

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

رغم هذه الصعوبات نجد العديد من الكنديين يستأذنون للدخول معنا في المسيرة والمشاركة في السير وبقراءة ما يقدم لهم من (flyers) التي تتضمن ملخص لقضية الحسين عليه السلام.

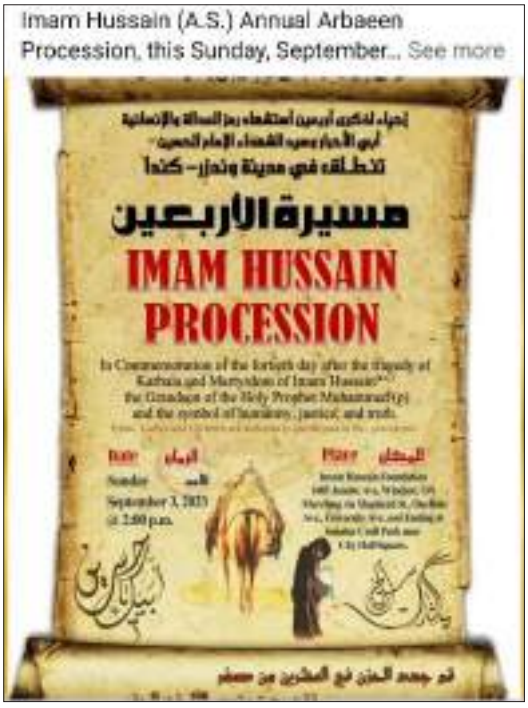

ذكر المسؤولون العاملون في مؤسسة الامام الحسين في مدينة ونزر كندا في أحد الأعوام زارت المكان أستاذة في جامعة ونزر وتساءلت حول مراسيم مسيرة الأربعين وما تقوم به الجالية الشيعية كل عام لأحياء هذه المناسبة وبعد المحاور دخلت هذه الأستاذة الى الإسلام والى مذهب التشيع.(Imam Hussain Foundation، بدون سنة)

ان مسيرة الامام الحسين عليه السلام وانتشار رايات الامام الحسين وانتشار مظلوميته واعلام أهدافه وتعاليمه في كل بقاع الأرض سبب كبير في انتشار الإسلام والاهتداء الى طريق الحق المتمثل بمذهب اهل البيت عليهم السلام.

يذكر مركز الاعلام الدولي في قسم اعلام العتبة الحسينية ندوة حوارية مع السيد سعيد الخلخالي معتمد المرجعية الدينية العليا في لندن الموافق تحت عنوان (التحديات التي تواجه الشيعة في دول المهجر)

تحدث عن أبرز التحديات التي يواجها الشيعة اليوم في دول المهجر وتحديدا في مجال الحقوق والحريات حيث قال: (من نعم الله انتشار التشيع في بقاع العالم حيث انتشرت رايات الشيعة في بقاع الأرض وبدأ العالم يتعرف على مبادئ الشيعة)

كذلك الاخوة السنة كان اكثرهم يجهلون من هم الشيعة وحقائق المذهب هل الشيعة تعني الشيوعية؟ لحد هذه الدرجة، ولكن بعد الاختلاط تأثر الكثير منهم بالمذهب.(سلطان،٢٠٢٥)كما ويستخدم دعاة الشيعة في كندا عدة اساليب للتبليغ اهمها توظيف وسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة كالفيسبوك وتويتر وغيرهما من مواقع التواصل الاجتماعي الاخرى للتعريف والتبليغ بمنهج أهل البيت كذلك يدعون بعض الشيعة الذين لديهم نشاطات يقومون بتوظيفها في انتاج الافلام، والمسلسلات التي تتناول سيرة الانبياء والائمة المعصومين عليهم السلام لدى الشيعة لتحاكي عقول

ومشاعر الاخرين وعادة ما تكون هذه الافلام والمسلسلات باللغة الانجليزية كونها اللغة الاكثر انتشارا في العالم ويتعمدون انتاج أفلام وثائقية حول سيرة أهل البيت الائمة المعصومين عليهم السلام وخاصة سيرة الامام الحسين عليه السلام وما جرى له من اجل التأثير على مشاعر الاخرين وجلبهم واستعطافهم الى المذهب الشيعي.

عندما تحترم حرية الاديان وحرية المعتقد هذا مما يسهل للجالية ويتيح لهم ممارسة الشعائر الحسينية وفعالياتهم الدينية بكل حرية ودون ضغوطات فمن إطار القانون بكل أمان واحترام بالإضافة الى ان لمجتمع الكندي يحب ان يتعرف على ثقافات ومعتقدات مختلفة فأن فرصة احياء الشعائر تعتبر أكبر فرصة لتعريف الاخرين بالإسلام اولا وبقيم ومبادئ الشعائر الحسينية بشكل خاص. ومن الفرص المهمة في بلاد المهجر نشر تعاليم رسالة الحسين ﷺ التي هي مجموعة القيم.

الانسانية المشتركة التي تحاكي الضمير من المحبة والتسامح والتعايش السلمي والعدالة ونصرة المظلوم والوقوف بوجه الظالم...وما تقدمها هذه الرسالة العظيمة بكل ابعادها من حب وسلام وبناء جسور التفاهم وفتح باب التحاور وتهدم صور التكبر والنمطية.(Sunnah or Shia، بدون سنة)

ثالثا: البعد الاجتماعي والاخلاقي لممارسة شعيرة زيارة الاربعين في المهجر

ليس هناك بعد اجتماعي واخلاقي واحد، بل تعددت الابعاد الاخلاقية لزيارة الاربعين وذلك بفخامة التراث الانساني لثورة سيد الشهداء الامام الحسين ﷺ التي تحييها الزيارة الاربعينية بكل فعالياتها المادية والمعنوية التي تنطوي تحتها عناوين مختلفة هذا اولا وبدرجة التفاعل مع القيم الانسانية الراقية والمفاهيم الربانية.

وتبرز هذه الابعاد الاجتماعية والاخلاقية في مضامين الزيارة الاربعينية معنويا وروحيا واخلاقيا وثقافيا واعلاميا واقتصاديا والتي تُقتبس من ابعاد القضية الحسينية واهدافها السامية فكريا وروحيا وهذه الابعاد تعم جميع المشاركين في هذه المسيرة سواء داخل العراق ام خارجهُ في بلاد المهجر (التي يحيونها على شكل مسيرات منظمة ومرتبة تنطلق من المراكز الاسلامية في المدن الكندية الى مراكز مهمة في الدولة مع اخذ الموافقة والتنسيق مع المسؤولين في كندا حيث ان القانون الكندي ينص على (حرية الدين والمعتقد) (Justice Laws Website, n.d.).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

سأبدأ الآن بترجمة ميثاق الحقوق والحريات الكندي بالكامل إلى اللغة العربية، مقسمها إلى أجزاء واضحة. إليك الجزء الأول:

ميثاق الحقوق والحريات الكندي

(جزء من قانون الدستور الكندي لعام 1982)

المادة 1 — الحدود المعقولة للحقوق

الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الميثاق مكفولة لجميع الأشخاص، ويجوز فرض حدود عليها فقط بقدر ما يمكن تبريرها بطريقة معقولة في مجتمع حر وديمقراطي.

المادة 2 — الحريات الأساسية

يتمتع كل فرد بالحريات الأساسية التالية:

- (أ) حرية الضمير والدين؛
- (ب) حرية الفكر والمعتقد والرأي والتعبير بما في ذلك حرية الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى؛
- (ج) حرية التجمع السلمي؛
- (د) حرية تكوين الجمعيات.

ومن الامور المهمة التي تعم جميع افراد المجتمع ان مسيرة الاربعين تعتبر مؤتمر عالمي يضم مختلف الجنسيات ويتسم بأسمى معاني حرية وكرامة وعزة المجتمع الشيعي ويحمل من المفاهيم المعنوية والاجتماعية والاخلاقية والدينية بصور متعددة وهذا ما نراه خلال ايام مسيرة الاربعين وهي:

١: توطيد العلاقات بين أبناء الجالية وترسيخ قيم التعاون والخدمة والتكافل:

ان السير في طريق ابا عبد الله الحسين عليه السلام يغني المجتمع ويجعله متماسكك وقوي مؤطر بدروس ثقافية متنوعه والتي من أهمها ثقافة العمل التطوعي وهذا ما لمسناه في مسيرة الأربعين في بلاد المهجر رغم أطر الحياة المادية والنزعة الفردية في المجتمع نجد في أيام الأربعين المغتربين من مختلف جنسياتهم اللبنانية والعراقية الباكستانية يجتمعون ويتسابقون على العمل الطوعي لخدمة السائرون في مسيرة العشق الحسيني ولائا وحبا وتقربا للحسين عليه السلام.

حيث تلتقي الجاليات مع بعضها يجمعها حب الحسين ومبادئه لتتعرف وتتآلف لتخلق شبكات دعم اجتماعية تخفف من وحشة الغربة وتصبح هذه التجمعات والمجالس مكان تنمية العلاقات داخل الجاليات تسهم في الدعم النفسي والاجتماعي . لذا يتحمّل زوّار الإمام الحسين ﷺ المشاقّ والصعوبات ويقطعون المسافات الطويلة تأديةً لأجر الرسالة، وهي المودة في القربى، كما ورد في الزيارة:

"لبّيك داعي الله... فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري..."، وهو تعبير عن الولاء والالتزام حتى لمن لم يحضر المعركة بجسده. (بن طاووس، بدون سنة، ج. ٣، ص. ٣٤٥)

هذا المعنى يتجسّد اليوم في الجاليات الشيعية في كندا، التي، رغم بعدها الجغرافي والثقافي، تُحيي ذكرى الإمام الحسين بإقامة المجالس والمسيرات، وتحمل روح كربلاء في قلوبها. فإحياء الشعائر هناك ليس طقسًا فحسب، بل وفاء للرسالة واستجابة لنداء الحسين، مما يُظهر أن الانتماء الحسيني لا تحدّه المسافات، بل يُعبّر عنه القلب والبصيرة في كل زمان ومكان

حيث نجدهم صغار وكبار يسارعون للعمل الجماعي خدمة للمجتمع المشارك في شعيرة الأربعين لا يوجد إحساس بالأنانية، بل الكل يتسابق بالفوز في خدمة الحسين والسائرون في طريق الحسين.

٢ : وضوح هوية الانتماء الحسيني للجالية

وهذا ما تعكسه بشكل واضح ثقافة التعايش مع الاخر لان المجالس الحسينية والمواكب والمسيرات تمثل هوية واضحة وقوية للمغتربين في دول المهجر وترسيخ هذه الهوية وهذا الحب في نفوس الجيل الجديد للجاليات المغتربة.

وتذكره بتاريخ وثقافة يتمسك بها مهما ابتعد عن ارضه ومن المستحيل ان تضيع وسط الثقافات الغربية، وهذا ما لمسناه أيام المسيرة لأطفال وشباب الجالية وهم متمسكون برايات الحسين ويرتدون السواد ويلطمون الصدور وهم ذائبون في حب الحسين عليه السلام. (هاينز، ٢٠١٣، ص ٦٠).

٣: الاندماج الإيجابي بين الجاليات الشيعية والمجتمع الكندي:

نعطي نبذة مختصرة عن كيفية الاندماج الإيجابي بين المجتمع المسلم الشيعي والمجتمع الغربي الان الحديث عن هكذا مواضيع تحتاج الى صفحات ويطول المقام لإنها من المواضيع البالغة الأهمية لما يحمله هذا الموضوع من مطالب عدة دينية اجتماعية ثقافية وسياسية والهدف هو التعايش السلمي بين المجتمعات وتعزيز القيم المشتركة والاندماج الإيجابي الذي نقصده في بحثنا هذا لا يعني الذوبان في ثقافة المجتمع الغربي وتبني افكاره بل تفاعل متبادل ينص على احترام قوانين البلد الذي تعيش فيه الجالية المسلمة الشيعية واحترام الهوية الدينية والثقافية والحفاظ عليها أي حرية الأديان وممارسة الطقوس الدينية.

ان الاندماج الإيجابي بين الجالية الشيعية والمجتمع الغربي أيام مسيرة زيارة الأربعين في كندا لها أهمية خاصة لما تحمله زيارة الأربعين من اهداف وتعاليم اجتماعية وروحية تحمل في جوهرها رسالة إنسانية عالمية لنصرة المظلوم والوقوف بوجه الظالم والتضحية من اجل القيم. بحيث تشكل هذه المناسبة فرصة متميزة.للجالية الشيعية للتعبير والتعريف عن هويتها الدينية والمذهبية وخلق جسور من الفهم مع المجتمع المحيط وتعتبر الزيارة الاربعينية فرصة للاندماج لان رسالتها ذات ابعاد.إنسانية عظيمة تتجاوز الحدود الطائفية والتعصب الديني لذلك فان للمؤسسات الدينية

الشيعية في دول المهجر الدور البارز والفعال في زيادة الوعي الديني وفهم صحيح لتعاليم الدين الإسلامي وتعاليم مذهب اهل البيت ﷺ بحيث يساعد أبناء الجالية من الانغلاق أو التطرف الديني وتشجيع لممارسة القيم الإسلامية التي تتماشى مع القيم الإنسانية العالمية كالعدل والإحسان واحترام الاخر..... وتوجيه الجالية نحو التعايش الإيجابي وإصدار الخطابات الدينية المعتدلة للتعرف بالثقافة الإسلامية الشيعية الصحيحة وكذلك بناء جسور ثقة وتفاهم عبر اللقاءات والمنتديات وبالأخص التعريف بقضية الامام الحسين وتعزيز الثقة بالمذهب الشيعي لدى المجتمع الغربي وتصحيح سوء الفهم حول المذهب (الربيعي، ٢٠٢٤، ص. ١١).

فأن مسألة الاندماج الإيجابي بين الجالية الشيعية المغتربة والمجتمع الغربي عبارة عن مسؤولية كبيرة ومشتركة تقع على عاتق الفرد والاسرة وكذلك المؤسسات الدينية وهو لا يعني التخلي عن الهوية الدينية، بل تعزيزها ونشرها من خلال التفاعل الإيجابي مع المجتمع لان الجالية الشيعية تملك تاريخا عريقا وثقافة غنية بحيث تشكل عنصر قوة ويثري المجتمعات الغربية إذا تم تبني المنهج الصح.

فأن إقامة المسيرات الرمزية المعبرة عن الزيارة الاربعينية باتت مشهدا سنويا وحضور لافت للأعلام الغربي ومؤسسات المجتمع المدني وكذلك حضور ملموس لرجال الامن والشرطة في المسيرات (ARBAL A News Channel، بدون سنة).

وكذلك تخصيص ركن تعريفي على طريق المسيرة الحسينية لشرح مبادئ واهداف ثورة الامام بلغة عالمية.

المحور الثاني

البعد الروحي للزيارة الاربعينية واثره في الجالية الشيعية في كندا

اولاً-تحليل الأثر الروحي لزيارة الأربعين على المغترب الشيعي في كندا:

في هذا المطلب سوف نقوم بتحليل الأثر الروحي للزيارة المقدسة بشكل مختصر وسوف نتناولها في هذا المطلب من عدة ابعاد التي هي :

١. التحليل الديني الروحي.
٢. التحليل النفسي العاطفي.
٣. التحليل الاجتماعي والثقافي.

كما ان لقيام الصلاة الأثر الروحي وللصيام الأثر الروحي ولإداء فريضة الحج وإعطاء الصدقات اثر روحي كبير على الانسان حيث قال تعالى :((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم)) (المجلسي، بدون سنة، ج. ٩٨، ص. ٤٣).

كذلك لزيارة الحسين عليه السلام اثار روحية عظيمة انها اكبر تزكية وطهارة للنفس لأنها شعور حقيقي بالتقرب الى الله وبهذه الروحية يرتقي زائر الحسين عليه السلام بمستوى أخلاقي عالي ويتمتع بسلام داخلي ويشعر بالانتماء والهوية الحسينية فان لروايات اهل البيت عليهم السلام الدور الكبير في تربية الفرد الشيعي روحيا واخلاقيا واجتماعيا حيث قاموا بالحث على زيارة الحسين وبالأخص أيام الأربعين.

١. في كتاب الوسائل عقد الحر العاملي بابا حول فضل زيارة الامام الحسين عليه السلام ماشيا تحت عنوان:(باب استحباب المشي الى زيارة الحسين) أورد فيه ستة أحاديث في فضل ذلك ، ما روي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : «من أتى قبر الحسين ماشياً كتب الله له بكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل».

وعن ابي الصلت قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ وهو يقول :«من أتى قبر الحسين ماشيا كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة ومحا عنه الف سيئة ، ورفع له الف درجة» (المجلسي، بدون سنة، ج. ٩٨، ص. ٤٣).

وعن الامام الصادق ﷺ قال : «من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن علي بن ابي طالب ﷺ، ان كان ماشيا كتب الله له بكل خطوة حسنة ، وحط بها عنه سيئة ، حتى إذا صار بالحائر كتبهُ الله من المفلحين » (المجلسي، بدون سنة، ص. ١٣١، ٦٣٨).

٢. عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله ﷺ قال :«من زار الحسين عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة، وألف عمرة مقبولة، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» (الطوسي، بدون سنة، ص. ٢١٤، ٣٧٢).

٣. قال أبا عبد الله ﷺ: «من زار قبر الحسين لله وفي الله أعتقه الله من النار وآمنه يوم الفزع الأكبر، ولم يسأل الله تعالى حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا أعطاهُ» (الحر العاملي، بدون سنة، ج. ١٤، ص. ٤٧٨).

٤. وعن عاصم بن حميد الحناط: سألت جعفر بن محمد ﷺ عن زيارة قبر الحسين؟ فقال: «يا عاصم من زار قبر الحسين وهو مغموم أذهب الله غمه ومن زاره وهو فقير أذهب الله فقره ومن كانت به عاهة فدعا الله أن يذهبها عنه أذهبها عنه، واستجيبت دعوته، وفرج همه وغمه. فلا تدع أن تأتيه، فإنك كلما أتيتهُ كتب لك بكل خطوة تخطوها عشر حسناتٍ، ومحي عنك عشر سيئات، وكتب لك ثواب شهيد في سبيل الله اريق دمه، فإياك أن تفوتك زيارته» (ابن قولوية القمي، بدون سنة، ص. ١٤١، ٤٣٠).

اما الابعاد التي قمنا بدرجها في مقدمة المطلب والتي تقوم بتحليل الأثر الروحي على الفرد الشيعي الموالي السائر في زيارة الأربعين هي:

أ.البعد النفسي العاطفي:

وهو الهدف المشترك الذي جمع اعداد الزائرين وتحدياتهم على المواصلة سيراً على الاقدام، الشاب والشيخ والمرأة والصبي، لزيارة الامام الحسين ﷺ يصف مستوى العشق وتأثير الجوارح بهذا العشق فالقلوب مطمئنة والنفوس في حالة رضا وراحة نفسية لا حدود لها والصدور تتسع لكل متغير وحادث، قاطعين المسافة أيام وليالي. هكذا طرحت شبكة نبأ المعلوماتية سؤالها على الزائرين: لماذا تحبون الامام الحسين ﷺ؟ وكان جوابهم عندما نبلغ المعرفة الحقيقة لإنسانية الحسين تنجذب الأرواح وتتعلق في حبه، ان لتلك الجموع التي سعت الى إمامها بخطوات الأقدام سيراً ، وبلهفة القلب شوقاً، لم يكن فقط حب الفطرة او المتوارث ولكن اثبتته العقول بالفكرة والحجج والشواهد الكثيرة، مثلا في واقعة الطف كان الحسين ﷺ كل حركة منه وفعل تسمو على الطبائع البشرية ، فمن شواهد رحمته التي تجاوزت عقول البشر ورحمتهم ، انه كان يسقي كتيبة معسكر الحر الرياحي وهي جاءت لتقاتله ويذرف الدموع لأنهم سيدخلون النار. (وكالة نبأ، بدون سنة) كيف لا يشعر قاصد الحسين بكل هذا العطاء الروحي والنفسي وقبلته هو مصدر العطاء والحب وهذا ما لمسناه وشاهدناه لدى أبناء الجالية في الغرب وهم يعبرون عن حبهم وولائهم ومدى الراحة النفسية التي يشعرون بها وهم يشاركون الركب الهائل من مشاية العراق وكأن سيرهم في هذه المسيرات الرمزية امتداد لمسيرات العشق من كل انحاء العالم الى ارض التضحيات ، يشعرون انهم جزء من ذلك الكل وانهم فرد ذلك المجتمع كأنه الطواف حول بيت الله بذلك النداء العظيم (لبيك يا حسين) أيام عبادة لا تعوض حيث التفريغ العاطفي عبر البكاء والتضرع والدعاء.

ب. البعد الديني الروحي الإيماني:

واهم مؤشر للبعد الديني الروحي الايماني لزيارة الأربعين يجب ان نعتبره مهمة عبادية بالغة الأهمية وهي ممارسة فيها يتقرب المؤمن الى ربه لأنها تمثل احدى علامات المؤمن المهمة التي حددها الامام الحسن العسكري ﷺ والتي قال: ((علامات المؤمن خمس : صلاة إحدى وخمسين ، وزيارة الأربعين ، والتختم باليمين ، وتعفير الجبين ، والجهر ب(بسم الله الرحمان الرحيم)) (الطوسي، بدون سنة، ج. ٦، ص. ٥٢).

ومن هنا اكتسبت الزيارة هذه الخصوصية الخاصة بل واعتبرت من أهمها لتمثل العلامة المميزة لكل موالي وشيعي ولتصبح الزيارة رمز من رموز التجمعات البشرية والتي فاقت اعدادها كل التجمعات العالمية في العالم كله.

ان زيارة الأربعين بكل ابعادها هي مسيرة نورانية تكتسي فيها كل الإفاضات الإلهية والتي يعجز القلم عن الإحاطة بما تختزنه هذه الزيارة من مكنونات ربانية ورحمانية يعجز عقلنا القاصر عن الالمام بها وعن استيعاب مضامينها الملكوتيه التي اختصت بها هذه الزيارة المباركة الخالدة.

ان كتب الشيعة مشحونة بذكر زيارة الأربعين في العشرين من صفر فهذا اليوم يوم مشهود لهذا السبب وضع الامام العسكري ﷺ يده المباركة على زيارة الأربعين وليس على زيارة عاشوراء والله العالم...لان يوم عاشوراء هو يوم مصيبة ويوم الكارثة وهذا اليوم لا يمكن للموالين أن ينسوه والأمام ﷺ كأنه يريد أن يبقي هذه الجذوة مشتعلة فقال: من علامات المؤمن .... وزيارة الأربعين أي لا تنسوا أربعين الحسين. الأمام بكلمته هذه أراد ان يعلمنا هذا الدرس العظيم وتصبح هذه الزيارة محطة إيمانية عظيمة للمؤمن يتم فيها تجديد كل القيم ومعاني الولاء لله سبحانه

وتعالى ولأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم اجمعين ولتكون عبارة عن زخم جديد للمؤمن تعطيه اندفاعات قوية في المسير في طريق الإسلام المحمدي الأصيل والذي كان الامام الحسين ﷺ يمثل اهم المرتكزات الأساسية في المسير على نهج وفكر الحسين في القيام بنهضته والقيام بالإصلاح في امة جده رسول الله محمد ﷺوبالتالي ان مسيرة المشاية من أي بقعة في العالم هو مسير أيماني روحي ونوراني تشع من جوانبه كل الإفاضات الإلهية والذي يكون مسير هؤلاء السائرون برعاية الله سبحانه وتعالى (الاجتهاد، بدون سنة).

ج. البعد الاجتماعي الديني:

عندما نقوم بتحليل البعد الاجتماعي الديني لزيارة الأربعين باعتبارها طقس ديني يجمع المسلمين الشيعة في الغرب حول قضية غاية في الأهمية هي الايمان بمبادئ الحسين ﷺ (تقول نظرية كاثرين، بل في الطقوس لشرح وتحليل طقوس مراسم عاشوراء. حيث يحض الامام الحسين بتقدير كبير بين المسلمين الشيعة كمناضل ديني من أجل الحرية وتقام مراسم حداد عامة في دول عديدة إحياءً لهذا اليوم الذي يعتبر رمزاً للحرية من الظالم تعد دراسة الطقوس جانبا مهما من دراسة الدين والمجتمع وتقترح بيل ان الطقوس ذات معنى وبالتالي فهي مزيج من الفكر والفعل وتؤكد أن العلاقة بين الطقوس والرموز هي نفسها العلاقة بين الفعل والفكر) (محمدي، بدون سنة، ص. ١٣٢).

يمكن ان يقوم علم الاجتماع الديني بهذه الدراسة علم الاجتماع الديني يدرس العلاقة بين الدين والمجتمع وكيفية تأثير العوامل الاجتماعية على الدين والعكس بالعكس بالنسبة للزيارة الأربعينية، يمكن استخدام علم الاجتماع الديني لتحليل وفهم تأثيرها على المجتمع والأفراد بصورة أعمق. من خلال الدراسات الاجتماعية

للزيارة الاربعينية يتم تسليط الضوء على عدة جوانب فمن المهم فهم كيف يؤثر هذا الحدث الديني على بنية المجتمع وتكوينه وتطوره يمكن ان تقوي الزيارة الأربعينية الهوية الدينية والانتماء الاجتماعي للمشاركين ، وتعزيز الترابط الاجتماعي والوعي الجماعي والتوازن الاجتماعي كذلك تأثير الزيارة الاربعينية على السلوك الاجتماعي والمعتقدات ، وكيف يمكن ان تشكل وتغير القيم والتصورات الاجتماعية لدى الافراد ويهتم علم الاجتماع الديني بفهم كيفية تأثير الدين على السلوك والتصرفات الاجتماعية ، وكيف يتأثر الدين بالعوامل الاجتماعية ويقوم بتحليل المفاهيم الدينية والمذاهب والتنظيمات الدينية ودراسة دور الدين في تشكيل الهوية الفردية والهوية الجماعية بالإضافة الى تأثير الدين على العلاقات الاجتماعية والاخلاقيات. (العبيدي& عباس، ٢٠١٧، ص. ٦).

ثانياً: دور الشعائر في تخفيف أثر الغربة والحفاظ على الهوية الدينية:

تعتبر شعائر الامام الحسين عليه السلام في دول المهجر شعائر مقدسة جداً لأنها بالنسبة للمغترب ملاذ وصمام امان ومصدر قوة وأداة للحفاظ على الهوية والانتماء الديني والمذهبي وان أيام الأربعين ليست مجرد طقس بل قصد الحسين عن طريق المسيرات الرمزية التي يؤديها المغتربين في دول المهجر او طريق المشاية في العراق هي رحلة روحية تجدد ايمان الفرد الموالي وتنقيه نفسيا وتمنحه رؤية اعمق للحياة والغاية من الوجود والزيارة تمثل خروجاً مؤقتا من العالم المادي والمشاغل الدنيوية مما يمنح الفرد لحظة تامل وتحرر من ضغوط الحياة والشعور بالغربة بحيث يشعر الفرد انه يعيش لحظة مقدسة تعيد ترتيب أولوياته بحيث عندما تنتهي أيام الأربعين يرجعون الموالين بشعور انهم يجب ان يكونوا أوفياء لرسالة وتعاليم الحسين مما ينعكس على

زيادة الالتزام بالصلاة والعبادة والتوقف عن الذنوب والعادات السيئة. اذاً للشعائر الحسينية دور كبير في تخفيف الغربة على الفرد الشيعي الذي يعيش في دول المهجر فأن الغربة لا تعني فقط الابتعاد الجغرافي، بل للغربة ابعاد كثيرة واثار عديدة التي هي:

١. عدم الانتماء لثقافة ودين وبيئة البلد التي يعيش فيها المغترب.
٢. الشعور بالعزلة عن مجتمع لا يشاركك القيم والتقاليد والمبادئ التي تؤمن بها أي عزلة روحية واجتماعية.
٣. الصعوبات التي يواجها المغتربين كمربين في كيفية إيصال تعاليم الدين الإسلامي وبالأخص شعائر الامام الحسين عليه السلام الى أبناء الجالية شباب وصغار الذين يقضون وقت طويل في مدارس تدعوهم الى ثقافاتهم واعرافهم ومناسباتهم واعيادهم وهذا يتطلب من الإباء والمربين الى تكثيف جهودهم في ترسيخ تعاليم ومبادئ الامام الحسين وتربيتهم وتقريبهم الى الامام روحياً وحضورياً لان التهاون في إيصال تعاليم الحسين الى أبناء الجالية ذلك يعني البعد الذي يؤدي الى الذوبان والانغلاق.

إذاً لشعائر الامام الحسين عليه السلام الدور الكبير في تخفيف هذه الاثار، بل القضاء عليها من خلال:

أ. تعزيز دور الرسالة الحسينية على مبادئ المغترب الدينية والمذهبية:

في ظل ما يشعر به الفرد المغترب من غربة وعدم انتماء ثقافياً واجتماعياً وروحياً للبلد الذي يعيش فيه المغترب حيث تحوله هذه الشعائر من إحساس بالعزلة الى جزء من كيان وصرح حي نابض بالإيمان والعقيدة الراسخة والانتماء لرسالة عظيمة حية هي رسالة الامام الحسين عليه السلام وان اهم دور لرسالة الحسين عليه السلام على حياة المغترب هي التربية الحسينية للأبناء بحيث ان الشعائر خلقت جيل صلب ومتماسك بتعاليم دينه.

ب. **تعزيز الوحدة بين افراد الجالية وتكوين مجتمع داعم:**

من خلال تعاون أبناء الجالية ومشاركتهم في تنظيم المجالس والمواكب حيث يخلق بيئة اجتماعية متحابة تزيل الشعور بالوحدة والعزلة وتصبح هذه المجالس مكان لتكوين الصداقات والروابط الاجتماعية والاخوية مع من يشاركك نفس القيم والمبادئ نعم ان الموالي الذي يحضر الى مجالس الحسين يعيش حالة من الاندماج والتفاعل مع الجماعة المؤمنة ما يعزز الإحساس بالانتماء والهوية لان الذي يربطهم حب كبير حب الامام الحسين وهذا ما تعايشناه في أيام الشعائر الحسينية من شباب وأطفال الجالية وهم يتسابقون في الخدمة الحسينية فأن هذه البيئة تخفف من وحدة وغربة المغترب وتوفر له علاقات مبنية على القيم المشتركة .

ج. **تعزيز دور الحصانة الروحية ضد الذوبان في ثقافة الغرب**

دائما تذكرنا شعائر الامام الحسين ﷺ بالثبات على المبادئ الروحية وتعززها وتقويها وتكسب الفرد المغترب قوة الإرادة في الانفصال عن الاغتراب المادي والذوبان في العشق الحسيني حيث هذه التجربة الروحية القوية تعطي للفرد المغترب الامكانية من التحرر من الهموم المرتبطة بالغربة وتشعره انه ليس وحده بل ان هناك امة كاملة تشاركه نفس الحب والولاء الحسيني حيث تتحول احاسيس الغربة والوحدة من عامل العزلة الى عامل يثبت الانتماء ويعمق الولاء للإمام الحسين ﷺ حين يدرك ويتيقن المغترب انه يحمل هذه الرسالة في ارض بعيدة عن ارض التضحيات رسالة الحق ضد الباطل ونصرة المظلوم رغم الضغوطات التي يواجها المغترب تماماً كما فعل امامنا ﷺ ان هذا التذكير يكسب أبناء الجالية القوة الروحية والمعنوية للمقاومة الأخلاقية والثقافية امام الذوبان والاندماج السلبي في دول الغرب .

د. تعزيز دور الشعائر في عملية الجذب للأجيال الجديدة:

وهذا من خلال ما قامت به المؤسسات الدينية والمراكز والحسينيات في فسح المجال لأطفال وشباب الجالية للمشاركة وإعطائهم الدور الفعال وتشجيعهم الى الاندماج في الشعائر من خلال مشاركتهم في برامج عاشوراء ومسيرات زيارة الأربعين من قراءة قرآن وقصائد حسينية وخدمة للحاضرين هذا يشعرهم ان قضيتهم واحدة وكلهم أصحاب العزاء والمصاب يمنحهم هذا الشعور بالاعتزاز لهويتهم المذهبية وان له وجود ويعرف من هو ومن يكون لديه تاريخ عظيم يمتد جذوره الى أعماق الرسالة المحمدية لهم مكاناً وهوية داخل المجتمع فتثبت لديه الإحساس بالعز والفخر والانتماء الى الهوية الدينية والمذهبية في بيئة متعددة الثقافات وهذا يحد من ضياع الأجيال وسط أمواج الفساد في هذه البلدان.

المحور الثالث

الاعلام وتجلياته حول مسيرة الأربعين في دول المهجر

وذلك يمكن بيان دور الاعلام من خلال:

اولاً: دراسة وتحليل المنهج النوعي (Qualitative) :

والذي يتضمن المقابلات التي أجرتها وكالات الانباء وصحف كندية ومواقع الكترونية مع المشاركين في مسيرات الأربعين واجاباتهم عن الأسئلة التي طرحت عليهم اثناء المسيرة والتي كانت مليئة بتجاربهم الروحية والمعنوية وكيف ان لهذه الخطى التي يخطونها في مسيرة الأربعين لها الأثر النفسي على ايمانهم وسلوكهم والتزامهم بتعاليم العقيدة والدين وكيف لهذا الأثر الإيجابي على سلوك أجيالهم.

نشر موقع (صدى اونلاين) احياء ذكرى أربعين الامام الحسين في (مونتريال ولافال) تحت شعار (حب الحسين يجمعنا) وهذا يعكس مدى الترابط الروحي بين أبناء الجالية حيث اجتمع محبو الامام بدعوة جامعة من أحد عشر مركزاً وجمعية إسلامية وفعت فيها شعارات تؤكد على ان استمرارية احياء ذكرى الأربعين للإمام الحسين عليه السلام هي استمرارية رسالته للإنسانية جمعاء.

(يقال في مجالس العزاء ان الحسين ضحى بنفسه لحفظ حرمة الإسلام ،ولم يرضخ لتسلط ونزوات يزيد ، اذن تعالوا نتخذه لنا قدوة ،لنتخلص من نير الاستعمار وان نفضل الموت الكريم على الحياة الذليلة ، هذا ليس حديثاً لعربي نشأ على سيرة الامام الحسين انما هو حديث للمستشرق الفرنسي (موريس بوكاي Maurice Bucaille) يلخص فيه ما تركه لنا الامام الحسين هي فكرة رفض الذل وفكرة الثورة على كل ظلم وقهر مهما كان الطاغية جباراً) وبوكاي ليس وحده الآتي من الغرب الذي مجد

رسالة الامام الحسين ﷺ الإنسانية فها هو الكاتب الايرلندي (جورج برنارد شو George Bernard Shaw) يعبر عن اجلاله للإمام الحسين ﷺ بالقول:(ما من رجل متنور إلا وعليه الوقوف وقفة إجلال واحترام لذلك الزعيم الفذ حفيد الإسلام الذي وقف تلك الوقفة الشامخة أمام حفنة من الصغار الذين روعوا واضطهدوا أبناء شعوبهم) ويقول المستشرق الإنجليزي (برسي سايكس Percy Sykes) (ان الامام الحسين ﷺ وعصبته القليلة المؤمنة عزموا على الكفاح حتى الموت ، وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلت تتحدى إعجابنا وإكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا) كما يقول عالم الاثار الإنجليزي (ويليام لوفتس William Loftus) (لقد قدم الحسين بن علي ﷺ أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية ، وارتفع بمأساته الى مستوى البطولة الفذة) وقال وهو يصف أبطال كربلاء:(حقا ان الشجاعة والبطولة التي ابدتها هذه الفئة القليلة كانت على درجة بحيث دفعت كل من سمعها الى اطرائها والثناء عليها لا ارادياً) اما العالم والاديب اللبناني جورج جرادق فقال: (حينما جند يزيد الناس لقتل الحسين وإراقة الدماء ، كانوا يقولون :كم تدفع لنا من المال ؟ أما انصار الحسين فكانوا يقولون لو اننا نقتل سبعين مرة ن فإننا على استعداد لأن نقاتل بين يديك ونقتل مرة أخرى ايضاً) انها سيرة توثق أحد أسمى معاني الإنسانية.

والتقت صدى أونلاين بعدد من السيدات الحاضرات في المناسبة عن أهمية احياء ذكرى الحسين ودور ذلك في توعية الأجيال الجديدة على رمزية ثورة الحسين قالت السيدة زينة الزين: (نريد ان نربي أولادنا على ان يحيوا المناسبات الإسلامية اليوم نحن في اربعينية الامام الحسين، الدور الذي نؤديه في الاغتراب هو اهم دور لأنه عندنا أجيال تريد ان تتعود على فكرة احياء المناسبات الإسلامية وهذا يعني اننا

امنا عليهم. وقالت السيدة ملاك كوراني:(ان احياء يوم الأربعين هومن الأساسيات المهمة في كندا كجالية إسلامية شيعية لتكملة نهج الحسين والحفاظ على كل طقوس النهضة الحسينية الممتدة عبر السنين والتي لا تزداد الا ثباتا وقوة عاماً بعد عام.

ثم قالت السيدة فاطمة سمحات:(هذا الحدث مهم لأبنائنا هنا فهم ليسوا في لبنان او العراق كي يروا مثل هذه المناسبات وهذا يحمسهم كي يعيشوا الجو العاشورائي ويزوروا الامام الحسين وابناؤنا يفهمون رمزية الامام الحسين عليه السلام بفضل احياء هذه الشعائر فكل عام يشاركون في ذكرى عاشوراء وصارت ذكرى مقدسة إليهم).(Sada Online، بدون سنة)

ماذا تقول أبرز وسائل الاعلام الغربية حول مسيرة الأربعين؟

١. تحدثت أبرز وسائل الاعلام الغربية عن الزيارة المليونية لإحياء اربعينية الامام الحسين عليه السلام مؤكدة على أهمية دراسة دلالات وابعاد هذه الزيارة باعتبارها حدثا إقليميا وعالميا مهما وكبيرا فقد اكدت صحيفة (the Independent) البريطانية في تقرير أن الزيارة الأربعينية هي حدث ديني لا نظير له في العالم، حيث تفوق حشود المشاركين فيه بأعداد كبيرة أيام الحج الذي يجتمع فيه المسلمون من كل انحاء العالم رغم انه واجب ديني على كل مسلم يمتلك قدرة تحمل التكاليف المالية لأداء مراسم الحج. ويستطرد التقرير ان زيارة الأربعين اهم بكثير من مهرجان (كوم ميلا) الهندوسي لان الأخير يحدث مره كل ثلاث سنوات. كما ان زيارة الأربعين تجري في أجواء أمنية خطيرة، وفي خلفية التفجيرات، ما يمثل تحديا للإرهاب ورسالة سلام الى العالم كله.

ثم يشير المقال الى قصة رجل استرالي أسلم وتخلى عن ديانته الكاثوليكية وقد بدأت رحلته الاستكشافية بعد مشاهدته تقريراً عن زيارة الأربعين الأولى بعد سقوط الطاغية في العراق ٢٠٠٣م ومن خلال عرض مقارنات بين الحشود المليونية في زيارة الأربعين ومشاريع دولية كبيرة مثل المساعدات التي قدمتها وزارة الدفاع الامريكية لضحايا زلزال هايتي حيث تم توزيع ٤ ملايين وجبة طعام، بينما يتم توزيع مالا يقل عن ٢٠٠ مليون وجبة في العراق خلال مدة الزيارة، كل ذلك من نفقات الفقراء والخيرين. وأشار التقرير الى ان زيارة الأربعين تكرس ثقافة التكافل الاجتماعي وهي قيمة إنسانية قبل ان تكون مبدئاً دينياً ، اذ ان من اهم السمات التي يكتسبها الانسان في هذه الزيارة هي سمة العطاء الذي يورث بدوره خصالاً أخلاقية وإنسانية حميدة في مقدمتها الكرم والجود والايثار وتغييب البخل والانانية والحب المفرط للذات والقضاء على التمييز العنصري على أساس اللون والعرق والجنسية والانتماء الفكري والديني الى جانب تكريس التواضع والتذكير بالإخوة الإنسانية عامة والإسلامية خاصة .ودعا كاتب التقرير الى ادراج زيارة الأربعين في موسوعة الأرقام القياسية (غينيس GUINNESS) كما وصف التقرير زيارة اربعينية الامام الحسين عليه السلام بانها أضخم المسيرات الدينية والسياسية في العالم واعتبر تجاهل بعض الدوائر الغربية لهذا الحدث العالمي بأنه خطيئة مبينا ان المشاركة بأعداد كبيرة في هذه الزيارة يحمل رسائل كثيرة إنسانية ودينية وسياسية.

٢. وصف تقرير (راديو أوستن Radio Austin) الأوربي الزيارة المليونية لإحياء ذكرى أربعين الامام الحسين عليه السلام بنها أضخم المسيرات الدينية في العالم مؤكدة في الوقت ذاته ان وسائل الاعلام الغربية ترتكب خطيئة في تجاهل هذا الحدث العالمي الذي يشارك فيه أكثر من ٢٠ مليون شخص ومن أكثر من ٨٠ دولة في العالم.

٣. وصفت صحيفة (ها فينغتون بوست Huffington post) الامريكية الواسعة الانتشار زيارة الأربعين بانها أعظم تجمهر ديني في العالم. واستعرضت الصحيفة في مقال تحت عنوان (أعظم تجمهر ديني يحدث الان، وانت على الأرجح لم تسمع به) الأدلة الكثيرة التي جعلت من زيارة الأربعين أعظم وأكبر وأرقى تجمهر ديني في العالم حيث يفوق عدد الحجاج خمس مرات. ثم يوجه كاتب المقال انتقادا للإعلام الغربي لتعاطيه المسيس مع القضية الحسينية، ويتساءل كيف يتم تغطية مظاهر صغيرة في لندن او مسيرة لبضع المئات في هونغ كونغ او تجمع محدود في روسيا ويتم غض الطرف عن أعظم تجمهر بشري سلمي في العالم حيث السيل الجارف من النساء والرجال والأطفال.

ثانيا: دراسة المنهج الكمي للتحليل (Quantitative):

وهذه الدراسة تتضمن اعداد المشاركين في مسيرة الأربعين في دولة كندا داخل البلد واستبيان لإعداد المشاركين خارج كندا في كربلاء.

١. ذكرت هذه المقالة في صحيفة كندية تحت عنوان (Thousands of Shia Muslims participated in Ashura Day Procession in Toronto) (الالف الشيعة يشاركون في موكب او مسيرة في مدينة تورنتو من المدن الكبرى في كندا حيث نقلت وكالة انباء اهل البيت عليهم السلام عن المسيرة التي انطلقت من تورنتو حيث حضر في المسيرة عضو مجلس مدينة تورنتو (السيد ريموند تشو) كما ساهمت شرطة تورنتو بترتيبات دقيقة للمسيرة وكان اعداد المشاركين الالاف المسلمين من النساء والأطفال حيث ذكرت وكالة انباء اهل البيت عليهم السلام ان المسيرة انطلقت في ظل طقس بارد جداً. (ABNA English، 2011)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ، آذار - ٢٠٢٦م

٢. ذكرت (Shia waves) مقالة تحت عنوان (Canada Believers from different Shia communities organize a unified march on Ashura)[1].

تجمع المؤمنون من مختلف الطوائف الشيعية لإحياء ذكرى أربعين الامام الحسين ﷺ في العاصمة اوتاوا في مبنى البرلمان حيث قاموا بتنظيم مسيرة موحدة ضمت الالاف المشاركين والقت كلمة الافتتاح الأخت براق حسين ، احدى منظمي المسيرة كما القى الشيخ محمد إسلامي كلمة باللغة الإنجليزية والقى السيد حسن طبطبائي كلمة باللغة الإنجليزية ايضاً ورغم برودة الطقس وهطول الامطار اصر المؤمنون على إقامة مراسيم مسيرة الأربعين وهذا يدل على مدى الارتباط الفكري والروحي والعقائدي والايمان الصادق بمبادئ الامام الحسين ﷺ . (Shia Waves، 2022)

٣. كما ذكرت المقالة تحت عنوان (Edmonton’s Shia Muslim community mourn Imam Hussein):

تنعى الجالية المسلمة في مدينة أدمونتون الامام الحسين ﷺ. حيث ذكرت وكالة انباء الحوزة عن مشاركة المئات من الموالين في المسيرة الاربعينية للإمام الحسين ﷺ في مقر المجلس التشريعي البرتا كندا. وقال السيد احمد كرماني منسق المسيرة نحن نحي ذكرى هذه المناسبة لأهميتها بالنسبة لنا حيث تهدف الى نشر الوعي بالدين الإسلامي الشيعي وتوضح دور الحسين المهم في العقيدة الشيعية ونحن كثيراً نحتاج الى تذكير دائم ان ندافع عن العدالة ونعززها. (Hawzah News

اما اعداد المشاركين في الزيارة الاربعينية خارج كندا في كربلاء حيث ذكرت النشرة الإحصائية السنوية لزيارة الأربعين للإمام الحسين ﷺ لعام (١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م) حيث يتضح من الجدول الموضح حول إحصائية اعداد الزائرين من قارة أمريكا الشمالية ان دولة كندا احتلت المركز الثاني حيث بلغ عدد الزائرين (٢٥٠٦) (مركز كربلاء للدراسات والبحوث، بدون سنة، ص. ٣١).

د / قارة أمريكا الشمالية [١]

يتضح من الجدول الآتي ان دولة (أمريكيا) أحتلت المرتبة الأولى الأكثر عدداً من بين دول قارة أمريكا الشمالية في اعداد الزائرين حيث بلغت (٧٠٠٠)

الجدول (٥) اعداد الزائرين الوافدين الى محافظة كربلاء من دول قارة أمريكا الشمالية للمشاركة في اربعينية الامام الحسين لعام ٢٠٢٣م - ١٤٤٥هـ

ت	الدولة	عدد الزائرين
١	بيليز	١
٢	كندا	٢٥٠٦
٣	دومنيكا	٦٥٩
٤	هوندوراس	٨
٥	الولايات المتحدة الامريكية	٧٠٠٠
٦	بنما	٢
٧	سانت كتيس	٣٠٥

النتائج

١. زيارة الأربعين ليست مجرد شعيرة دينية، بل ظاهرة عالمية ذات أبعاد روحية، اجتماعية، وثقافية عميقة، خاصة في دول المهجر.

٢. أثبتت الزيارة قدرتها على تعزيز الانتماء الديني والمذهبي لدى المغتربين، وربطهم بجذورهم العقائدية والثقافية رغم بعدهم عن الوطن.

٣. تشكل الزيارة الأربعينية وسيلة فاعلة لحفظ الهوية الشيعية ونقلها من جيل إلى آخر داخل المجتمعات الغربية.

٤. تساهم المسيرات الأربعينية في تعزيز التماسك الاجتماعي داخل الجاليات، وتقوية العلاقات الأخوية عبر روح التعاون والخدمة الحسينية.

٥. تمثل الزيارة فرصة مهمة لـ نشر القيم الإنسانية للإمام الحسين (ع) كالتضحية، نصرة المظلوم، التعايش السلمي، والعدالة.

٦. رغم التحديات التي تواجه الجاليات الشيعية، خاصة على مستوى اللغة والإعلام، تبقى الزيارة منصة فعالة للتعريف برسالة الإمام الحسين عالميًا.

٧. أشادت بعض وسائل الإعلام الغربية بزيارة الأربعين واعتبرتها أعظم تجمّع ديني في العالم، مما يعزز من أهمية توثيق هذا الحدث دوليًا.

٨. الشعائر الحسينية – وخاصة زيارة الأربعين – تلعب دورًا كبيرًا في الحصانة الروحية ضد الذوبان الثقافي في مجتمعات المهجر.

٩. نوصي بتكثيف الدراسات حول أثر الشعائر على المغتربين، وتفعيل دور المؤسسات الدينية في دعم تربية الأجيال الجديدة على نهج الحسين (ع).

١٠. في النهاية، تؤكد زيارة الأربعين أنها رسالة متجددة للحرية والإصلاح والوعي، تصلح أن تكون منبرًا إنسانيًا عالميًا يتجاوز حدود الطائفة والمكان.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. ابن طاووس، علي بن موسى. الإقبال بالأعمال الحسنة. تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، قم: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي.

٢. المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار.

٣. الشيخ الطوسي:

- تهذيب الأحكام.
- الأمالي.

٤. ابن قولوية القمي. كامل الزيارات.

٥. الحر العاملي. وسائل الشيعة.

- الدراسات والمقالات الأكاديمية

٦. الربيعي، حيدر جابر عبد. "دور زيارة الأربعين في مواجهة التطرف الديني"، مجلة الأربعين.

٧. هاينز، هالم. الشيعة، ترجمة محمود كبيتو، لندن: دار الوراق.

٨. محمدي، فاطمة. " دراسة نقدية لطقوس عاشوراء عند الشيعة في ضوء نظرية كاثرين بيل"، جامعة كارلتون – كندا.

رابط: /337/429/http://arcjournal.library.mcgill.ca/article/download/414

٩. العبيدي، سلوان فوزي وغزوان أنس عباس. علم الاجتماع الديني: المفاهيم الأساسية – النشأة والتطور.

- لمواقع الإلكترونية والمنصات الإخبارية

١٠. موقع نبأ – https://annabaa.org (https://annabaa.org/)

١١. موقع الاجتهاد – http://www.ijtihad.net (http://www.ijtihad.net/)

١٢. Karbala Now Agency – karbalanow.com (https://karbalanow.com/)

١٣. ABNA – en.abna24.com (https://en.abna24.com/news/283036/thousands-of-shia-Muslims-participated-in-Ashura-Day-procession)

١٤. Shia Waves – shiawaves.com (https://shiawaves.com/English/Canada/84894-canada-believers-from-different-shia-communities-organize-a-unified-march-on-ashura)

١٥. Hawzah News – hawzahnews.com (https://en.hawzahnews.com/news/346057/Edmonton-s-Shia-Muslim-community-Mourn-Imam-Hussein)

١٦. Sada Online Canada – www.sadaonline.ca (http://www.sadaonline.ca/)

١٧. Sunnah or Shia – sunnah-or-shia.com (https://sunnah-or-shia.com/)

١٨. موقع قوانين كندا – https://laws-lois.justice.gc.ca/fra/

- تقارير ومصادر ميدانية

١٩. مشاهدات ميدانية وثقتها الباحثة أثناء المسير لأحياء الأربعينية في كندا – ٢٠٢٤

٢٠. تقرير: ماهر سلطان / تحرير: صباح الطالقاني – وكالة كربلاء الآن

٢١. Imam Hussain Foundation – Windsor, Canada

٢٢. ARBAL A NEWS Channel

٢٣. مركز كربلاء للدراسات والبحوث – شعبة الدراسات التخصصية في زيارة الأربعين

الزيارة الأربعينية ودورها في نشر المفردات القرآنية وتطور اللغة العربية من خلال التفاعل مع غير الناطقين بها

م. م شذى صادق جعفر
مدرسة / ثانوية المتفوقات الأولى
shadhaa.s@s.uokerbala.edu.iq

الملخص

أثبت هذا البحث أن الزيارة الأربعينية لم تعد مجرّد طقس ديني محلي، بل أصبحت نموذجًا حيًا للتداول اللغوي العالمي، ولتعليم اللغة العربية ونقل مفرداتها وتطويرها. كما أنها تبرهن على قدرة الشعائر على أن تتحول إلى بيئة تعليمية تفاعلية مفتوحة، ذات طابع وجداني وثقافي قادر على جذب الناطقين بغير العربية، وإدماجهم في فضاء لغوي ممتد من القرآن إلى الحياة اليومية. لذا، فإن هذا الحراك يستحق اهتمامًا أكاديميًا أوسع، وتوظيفًا منهجيًا في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها.

الكلمات المفتاحية : الزيارة الأربعينية، الأجانب، اللغة العربية، التداول ، التطور اللغوي، إمام، شهادة، ظلم، نصر، صبر، خطب، أدعية.

The Arbaeen Pilgrimage and Its Role in Spreading Quranic Vocabulary and Developing Arabic Through Interaction with Non-Native Speakers

Asst. Lecturer Shatha Sadiq Jaafar

Teacher / First High School for Outstanding Students

Abstract:

This research has demonstrated that the Arbaeen pilgrimage has transcended its traditional role as a local religious ritual and emerged as a living model of global linguistic exchange. It has become a dynamic arena for teaching the Arabic language, transmitting its vocabulary, and contributing to its ongoing development. The study further reveals how religious rituals can evolve into open, interactive educational environments that are emotionally resonant and culturally immersive—capable of attracting non-Arabic speakers and integrating them into a linguistic space that bridges the Qur'anic text and everyday communication. Accordingly, this linguistic and cultural phenomenon warrants broader academic attention and systematic incorporation into Arabic language programs for non-native speakers.

Arbaeen Pilgrimage,Foreigners,Arabic Language,Discourse,Linguistic Development,Imam,Martyrdom,Oppression,Victory,Patience,Sermons, Supplications.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ، آذار - ٢٠٢٦م

المقدمة:

تعدُّ الزيارة الأربعينية من أبرز المناسبات الدينية في العالم الإسلامي، إذ يتوافد ملايين الزوار سنويًا إلى مدينة كربلاء لإحياء ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام. ولا تقتصر هذه الزيارة على البعد الديني والعقائدي فحسب، بل تحمل أبعادًا اجتماعية وثقافية وتواصلية تتعدى حدود المذهب واللغة والجغرافيا. لقد تحولت هذه الزيارة الكبرى إلى ملتقى عالمي تتلاقى فيه شعوب من مختلف اللغات والثقافات، ما يفتح المجال لدراسة جوانب متعددة، من أبرزها البعد اللغوي وتأثير هذه التجمعات الحاشدة في نشر اللغة العربية، ولا سيما مفردات القرآن الكريم، في أوساط غير الناطقين بها.

إن ما يميز الزيارة الأربعينية، من منظور لساني، هو تكرار المفردات القرآنية في الخطاب الديني والشعائري، إلى جانب الاستخدام المكثف للغة العربية في الأدعية، والزيارات، واللافتات، والحوارات اليومية بين الزوار. وهذا يشكل بيئة لغوية طبيعية حافلة بالتكرار والتفاعل، تسهم في تعزيز المفردات العربية، سواء على مستوى التلقي أو المحاكاة، خصوصًا لدى الزوار غير العرب. وقد لاحظ باحثون في اللسانيات التطبيقية والاجتماعية أن التعرض المكثف للغة في بيئة طبيعية وظيفية (Naturalistic Input) هو من أنجع وسائل اكتساب اللغة، وهو ما يتحقق فعليًا في سياق الزيارة الأربعينية.

ومن جهة أخرى، فإن التفاعل بين الزوار العرب وغير العرب لا يتوقف عند حدود التلقي، بل يشهد تأثيرًا متبادلاً، إذ إن اندماج غير الناطقين بالعربية في البيئة اللغوية للزيارة لا يسهم فقط في تعلمهم، بل يؤدي في بعض الأحيان إلى تبسيط

التراكيب، أو توليد أنماط لغوية هجينة، أو شيوع بعض المفردات المعدّلة صوتيًا أو صرفيًا. وهنا يظهر أثر الزوار الأجانب أنفسهم على اللغة العربية، سواء من حيث النطق أو المفردات أو طرائق التعبير، في ظاهرة يمكن أن تُدرس ضمن إطار اللسانيات التفاعلية العابرة للثقافات.

وانطلاقًا من هذه الإشكالية، يسعى هذا البحث إلى دراسة أثر الزيارة الأربعينية في نشر مفردات القرآن الكريم وتعزيز اللغة العربية لدى الزوار غير الناطقين بها، كما يهدف إلى استكشاف التأثير المتبادل بين الزوار العرب والأجانب في بنية اللغة العربية وتطورها المفرداتي والتواصلي. ولتحقيق هذه الغاية، تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسية:

- المبحث الأول: يتناول الدور المحوري للزيارة الأربعينية في نشر مفردات القرآن الكريم بين الزوار غير العرب، من خلال تحليل أنماط التلقي والتكرار اللغوي في سياقات شعائرية يومية.
- المبحث الثاني: يسلط الضوء على الخطاب الديني والشعائري بوصفه وسيلة لغوية تعليمية فعالة، تعزز اكتساب اللغة العربية لدى الأجانب، مع رصد مظاهر التفاعل الشعائري التي تحمل بعدًا تعليميًا لغويًا غير مباشر.
- المبحث الثالث: يناقش الأثر العكسي أو المتبادل للزوار الأجانب على اللغة العربية، من خلال دراسة التفاعل الاجتماعي واللغوي، وتحليل الظواهر اللسانية الناتجة عن هذا التلاقح الثقافي واللغوي.

أهداف البحث

- تحليل كيفية تعرض الزوار غير الناطقين للعربية لمفردات من النص القرآني.
- تحديد العوامل التي تجعل من الزيارة بيئة لغوية مثالية للاكتساب.
- مقارنة المفردات المستقاة من السياق الشعائري بتلك المتعلمة في الصفوف التقليدية.
- تقصي التأثير الطويل المدى للمفردات المكتسبة بعد انتهاء الزيارة.
- استكشاف العلاقة الدلالية بين الشعائر والتكرار وتأثيرها على التعلّم.

وإذ يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مدعومًا إن أمكن ببيانات ميدانية أو مقابلات مع الزوار، فإنه يأمل في المساهمة في فتح آفاق جديدة لدراسة العلاقة بين الدين واللغة، وفهم كيفية تشكل البيئات اللغوية التفاعلية في السياقات الدينية الكبرى، مثل زيارة الأربعين.

المبحث الأول:

دور الزيارة الأربعينية في نشر مفردات القرآن الكريم لدى الزوار غير الناطقين بالعربية:

للولوج في هذا المبحث سيبنى على مجموعة من الأسئلة الإجابة عليها تكون هي الدراسة التحليلية للبحث

السؤال الأول: كيف تسهم الزيارة الأربعينية في تعريض الزوار غير العرب لمفردات القرآن الكريم؟

السؤال الثاني: ما العوامل التي تجعل من الزيارة الأربعينية بيئة لغوية مثالية لاكتساب مفردات قرآنية؟

السؤال الثالث: هل يمكن اعتبار الزيارة الأربعينية بيئة تعليمية غير رسمية لتعلم مفردات عربية؟

السؤال الرابع: كيف تختلف مفردات اللغة المستخدمة في الزيارة الأربعينية عن اللغة العربية الفصحى الرسمية؟

السؤال الخامس: هل هناك تأثير طويل المدى لاكتساب المفردات بعد انتهاء الزيارة؟

السؤال السادس: هل تتشكل علاقة دلالية خاصة بين الزائر غير العربي والمفردات القرآنية من خلال التكرار الشعائري؟

السؤال السابع: كيف تختلف المفردات المكتسبة في الزيارة الأربعينية عن المفردات المكتسبة في الصفوف التقليدية لتعليم العربية؟ والكثير من الأسئلة :

- هل يشكّل الوعي العاطفي الديني مدخلاً غير مباشر لتعلّم المفردات القرآنية؟
- هل للمشترك اللغوي بين القرآن والطقوس دور في جعل المفردة مأنوسة للزائر غير العربي؟
- ما نوع الفعل اللغوي المفردات في زيارة الأربعين؟
- ما أثر الحشود في عملية اكتساب المفردات لدى الزوار غير الناطقين بالعربية؟
- هل هناك مفردات قرآنية تتكرر أكثر من غيرها خلال الزيارة الأربعينية؟ ولماذا؟
- ما دور الإنشاد الجماعي في حفظ المفردات لدى الزائر غير العربي؟

هناك ما يُسمى بـالمفردات المهيمنة شعائريًا، مثل: الإمام، الشهادة، الظلم، النصر، الصبر، وهي مفردات تتكرر في أكثر من مشهد: كاللافتات، والخطب، والدعاء، والزيارة، هذه المفردات تُمثل بؤرًا مفصلية في الخطاب الحسيني، مما يجعل تكرارها حتميًا. كما

تشكل الزيارة الأربعينية البيئة اللغوية التفاعلية المكثفة؛ تُستخدم فيها اللغة العربية بوصفها الوسيط الأساس للتواصل الديني والشعائري. ويتجلى ذلك في:

اللافتات والصور التي غالبًا ما تحمل عبارات قرآنية: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]، أو ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨].

أمّا المجالس وكتيبات الزيارات؛ تُقرأ أدعية وزيارات كـ: زيارة الأربعين، التي تضم مفردات مأخوذة من المعجم القرآني مثل: الإمام، الولاية، البلاغ، الشهادة. وتشير الأدلة الميدانية، وبعض الدراسات اللسانية إلى أن العديد من الزوار يحتفظون

بمفردات قرآنية تعلموها خلال الزيارة، ويواصلون استخدامها في مجالسهم أو تعليمها في بلدانهم، كما ينقل بعضهم هذه المفردات إلى لغاتهم الأم إمّا بترجمتها، أو إدخالها ضمن المفردات الدينية.

وهذا يفتح الباب لما يسمى بـالاقتراض الديني المعنوي، الذي يؤثر في المعجم العالمي، ينظر (حسين، ع. ع. خ. (٢٠٢٤). دور زيارة الأربعينية في تعزيز الصحة النفسية والاجتماعية للمشاركين (الطبعة ١، ص٤٥). بغداد، العراق).

- إنّ لتكرار هذه المفردات في سياق التعبدي الشعائري يعطيها وظيفة معنوية عالية، كما يسهّل تذكرها، واستيعابها من قبل الزوار غير الناطقين بالعربية، كما تدعمه نظريات التعلُّم من خلال السياق في اللسانيات التطبيقية.

- يعرضStephen Krashe في نظريته المدخل القابل لفهم Comprehensible Input أن المتعلّم يكتسب اللغة عندما يتعرض لها بشكل طبيعي ومتكرر في بيئة ذات مغزى، وهو ما ينطبق تمامًا على السياق الأربعيني؛ إذ إنّ اللغة محاطة بعاطفة قوية Emotionally مما يرسّخ المفردات من خلال أثر وجداني؛ أي إنّ اللغة تُستخدم لغرض ديني وإن المتعلّم لا يتعرض للمفردة باعتبارها نظرية بل يعيشها.

كما أن ّالتكرار الاجتماعي؛ أي تُكرر المفردة في المواكب، والخطب، والدعاء، والنداء الحسيني، كمفردة: يا لثارات الحسين، تُسمعها لمئات من المرات خلال الزيارة، فبذلك ستكتسب المعنى والصوت والإيقاع مرتبطًا بقوة بالموقف؛ مما يسهم في تخزينها في الذاكرة الطويلة الأمد(مركز كربلاء للبحوث والدراسات، ٢٠١٨، ص. ٦٥).

فاللغة التي تُكتسب من السياق الطبيعي أكثر ثباتًا من تلك المتعلمة في الصفوف، شرط أن يكون لدى المتعلم دافع وظيفي لفهمها، كما في حالة الزائر المتدين غير الناطق بالعربية.

ومن خلال الرصد الميداني والمصادر المرافقة للزيارة تبيّن أن المفردات القرآنية التي يتعرض لها الزائر غير العربي تنتمي إلى حقول دلالية واضحة، مثل:

مجال العقيدة: إمام، شهيد، معصوم، بعث، جنة، النار، والولاية.

مجال السلوك: الصبر، الصدق، الإحسان، الطهارة، الصلة

مجال الشعائر: الزيارة، الدعاء، التلبية، والعزاء، المنبر، والمأتم.

وترد هذه المفردات في الشعارات والتراتيل، والأهازيج، والخطب، مما جعل تكرارها عاليًا ويعزز رسوخها في الذهن. يوتعد الزيارة الأربعينية البيئة التعليمية غير الرسمية النموذجية لتعلم المفردات؛ وذلك وفق التصنيف للبيئات التفاعلية الحقيقية في علم اللغة التطبيقي. فالمتعلم يتعرض للغة ضمن الحاجات الوظيفية الدينية والاجتماعية، كـ(عمران، ٢٠٢٢، ص. ٦٨):

- الرد على التحيات والعبارات الشعائرية.
- فهم الشعارات المكتوبة.
- المشاركة في الدعاء أو التلبية.

وقد أثبتت الدراسات إنّ اكتساب اللغة الثانية يحتاج إلى بيئات أكثر فاعلية من الصفوف التقليدية، خصوصًا عندما تكون اللغة مرتبطة بالدين والهوية، والعاطفة.

كما تعد الزيارة الأربعينية بيئة تعليمية غير رسمية نموذجية لتعلم المفردات اللغوية؛ وذلك وفق تصنيف البيئات التفاعلية الحقيقية في علم اللغة التطبيقي. فالمتعلم هنا يتعرض للغة ضمن حاجات وظيفية دينية واجتماعية(الكيلاني، ٢٠٢١، ص. ٩٥).

لو تتبعنا ماهي المفردات المستخدمة خلال الزيارة ، هي في الغالب من المعجم القرآني أو الفصيح، إلا أن طريقة نطقها تختلف أحيانًا بسبب التأثيرات اللهجية للزوار، مما خلق التباينات الصوتية المثيرة للاهتمام(عبد الله، ٢٠٢٠، ص. ١٣٢-١٣٤):

١. تحوير النطق لبعض الأصوات مثل "ذ" تُنطق "ز" أو د حسب اللغة الأم للزائر.

٢. تبسيط بعض البُنى الصرفية لتسهيل التكرار ومع ذلك، تبقى المفردات محتفظة بدلالاتها الرمزية والقرآنية.

وتشير الأدلة الميدانية وبعض الدراسات اللسانية إلى أن العديد من الزوار يحتفظون بمفردات قرآنية تعلموها خلال الزيارة، ويواصلون استخدامها في مجالسهم أو تعليمها في بلدانهم. كما ينقل بعضهم هذه المفردات إلى لغاتهم الأم بترجمتها أو إدخالها ضمن مفردات دينية.

هذا يفتح المجال لما يسمى بـ الاقتراض المعنوي الديني الذي يؤثر في المعجم العالمي. رغم أن السماع عنصر أساس، إلا أن البيئة الأربعينية تتيح أنماطًا متنوعة من الاكتساب اللغوي، منها:

القراءة العرضية Incidental Reading من خلال واللافتات، والكتب الموزعة مجانًا، والنشرات التي غالبًا ما تحتوي على مفردات قرآنية، كأنّ التحاور التفاعلي يسأل الزائر عن معنى: الولاية، فيُشرح له بالعربية أو بلغته الأم ينظر (العفيفي، ٢٠١٢، ص. ٧٨-١٠٢)،التلقين الجماعي والعبارات الدينية بصوت جماعي، مثل: لبيك يا حسين، ما يعزز حفظها.

تلعب الرمزية العقائدية والتاريخية دورًا كبيرًا في تحديد المفردات التي تكتسب أهمية مركزية؛ فالمفردات ليست عشوائية، بل تحمل دلالات محورية في الثقافة الدينية الشيعية، ومن هنا نجد تركيزًا على كلمات مثل:الظلم، العدل، الإمام، الشهادة، عاشوراء...إلخ.

وتكرّار هذه المفردات في مجمل الخطاب الأربعيني؛ لتعيد إنتاج الذاكرة التاريخية، وبالتالي تكتسب دورًا مزدوجًا: تواصلي ـ ثقافي؛ فالمفردات المستخدمة خلال الزيارة هي في الغالب من المعجم القرآني، أو الفصيح، إلا أنّ طريقة نطقها مختلفة أحيانًا ؛ بسبب التأثيرات اللهجية للزوار، مما يخلق تباينات صوتية مثيرة للاهتمام؛ كتحوير النطق لبعض الأصوات مثل ذ تُنطق: ز، أو د حسب اللغة الأم للزائر ينظر (عبد الأمير، ٢٠١٨، ص. ٤٥-٥٠) ، تبسيط بعض البُنى الصرفية لتسهيل التكرار. ومع ذلك، تبقى المفردات محتفظة بدلالاتها القرآنية والرمزية(رمضان، د. ت. , ص. ٥٥).

لقدأظهرت دراسات استباقية ميدانية أُجريت على زوار من إيران والهند وتركيا أنّ عددًا كبيرًا منهم تعلّموا المفردات العربية القرآنية الأساسية في الزيارة الأولى، وبدأوا باستخدامها في زياراتهم اللاحقة، كما قام بعضهم بنقلها إلى أسرهم أو مجتمعاتهم عبر(الأسدي & الصفار، ٢٠٢٤، ص. ٧٦):

- تأسيس مواكب بلغاتهم لكن بمفردات عربي
- ترجمة الشعائر بالعربية وقراءتها في المناسبات الدينية المحلية.

وهذا ما يمكن وصفه في اللسانيات بـ انتقال المفردة الدينية عبر التثاقف.

يلعب التكرار هنا دورًا بارزًا؛ إذ لا يؤدي إلى التعلّم السطحي فحسب، بل يبني ما يسمى بـالرابطة الدلالية الشعائرية، وهي العلاقة الوجدانية- اللغوية، التي تمنح المفردة وزنًا عاطفيًا ومعرفيًا؛ فتكرار كلمة: الحسين، مثلًا، لا يرسّخ معناها فقط، بل يحمّل في كوامنها شحنة رمزية دينية يصعب فصلها لاحقًا عن السياق الذي تعلّمت فيه، كما يشير إدوارد سعيد إلى أن الكلمات المشحونة ثقافيًا تكون أكثر قابلية للانتقال عبر اللغات والثقافات؛ لأنها تؤسس ذاتها من خلال حضور جماعي لا لفظي.

المفردات القرآنية التي يكتسبها الزائر الأجنبي خلال الزيارة غالبًا ما تُكتسب من خلال التكرار، الاندماج، والانفعال، لا من خلال العرض المجرد. وهي مرتبطة بـ(الأسدي & الصفار، ٢٠٢٤، ص. ٧٦):

- السياق الحيّ لا الاصطناعي.
- الموقف الديني لا التمارين.
- الوظيفة التعبدية لا الأكاديمية.

نعم. يُعرف هذا في اللسانيات النفسية بـالتعلّم المشحون وجدانيًا، حيث تؤدي العاطفة إلى زيادة تثبيت المفردات في الذاكرة طويلة الأمد. المشاركة في المواكب، البكاء، الإنشاد الجماعي، كلها تحوّل الكلمة إلى تجربة.

تُعيد الطقوس الأربعينية إنتاج القرآن عبر التفعيل الصوتي للمفردات، مثل: الصبر، والنصر، والعبودية، مما يمنحها طابعًا مألوفًا حتى لغير المتحدثين بالعربية. وهذا يحقق ما يُعرف في اللسانيات الدينية بإحياء النص المقدس عبر التفعيل الطقوسي(جندبي، ٢٠٢١، ص. ٣٤).

تمارس مفردات مثل: لبيك يا حسين، ويا شهيد كربلاء، وهو فعلًا لغويًا من نوع النداء الإشهاري؛ يخلق واقعًا شعائريًا عند التلفظ به، كما بُيّن في نظريات الفعل الكلامي(هنان، ٢٠٢٣، ص. ٤٩).

أمّا المشترك اللغوي بين القرآن و الطقوس له دور في جعل المفردة مأنوسة للزائر غير العربي، وتُعرف هذه الحالة بالتحفيز التفاعلي للمفردة؛ إذ تُشرح المفردة للزائر بالإنجليزية أو الفارسية أو الأوردو، وهذا يعزز ثباتها ويؤسس لـ علاقة معجمية ، عقلية ثنائية اللغة(الفاضل & محاضرون آخرون، ٢٠١٨).

كما يشير علم النفس اللغوي الاجتماعي إلى أن الحشود تؤدي إلى تعزيز التلقي الجمعي للمفردة ؛ أي إن التكرار في المجموعة يُضاعف أثره على التعلم مقارنة بالفرد. كما أنّ الأثر النفسي الجمعي يعمّق الانطباع الأول عن المفردة.

وهناك ما يُسمى بالمفردات المهيمنة شعائريًا، مثل: الإمام، الشهادة، الظلم، النصر، الصبر، وهي مفردات تتكرر في أكثر من مشهد في : اللافتات، والخطب، والدعاء، والزيارة. هذه المفردات تُمثل البؤر المفصلية في الخطاب الحسيني، مما يجعل تكرارها حتميًا.

المبحث الثاني:

تأثير الزوار الأجانب على اللغة العربية من حيث النطق والتراكيب.

كيف تؤثر البيئة السمعية: القصائد الحسينية، والإنشاد الديني في تثبيت المفردات العربية لدى الزائر غير العرب؟

القصائد الحسينية تُلقَى على نحو إيقاعي متكرّر، غالبًا ما تستخدم تراكيب لغوية بسيطة أو متوسطة مثل: "فاطمة تبكي الحسين"، "حيدر لا يرضى الظلم"، مما يجعل المتلقي غير العربي يلتقط المفردة، الجملة، وحتى البناء النحوي من خلال التكرار العاطفي الجماهيري.

وقد أشار علماء اللسانيات إلى أن "المدخل العاطفي والتفاعلي" في اللغة يسهل اكتسابها حتى دون وعي نحوي مباشر، وهو ما ينطبق تمامًا على ما يحدث في لتراتيل الحسينية (مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، ٢٠٢٣).

هل تلعب الجغرافيا الشعائرية (المكان) دورًا في تعزيز تعلم اللغة؟

نعم، فالمكان الشعائري مثل "طريق يا حسين" أو "موكب خدام الزهراء" مفعم بالإشارات اللغوية المرئية والسمعية. فوجود الزائر غير العربي في بيئة مكتظة باللافتات، المحادثات، التعليمات، والعناوين المكتوبة باللغة العربية يخلق ما يُعرف بـ التحفيز السياقي للغة، وهو أحد أشكال التعليم البيئي غير الرسمي(حسين، ٢٠٢٤، ص. ٢١٣).

وأمّا ما مدى فاعلية الشعارات الصوتية الجماعية في تكوين مفردات عربية راسخة في ذاكرة الزائر؟

وهل يمكن اعتبار بعض المفردات المستخدمة في المواكب بمثابة المدخل الوظيفي لتعليم اللغة؟

فبالتأكيد، المفردات مثل: الطعام، والشراب، الزيارة، الماء، الحب، والدعاء، تُستخدم وظيفيًا باستمرار أثناء الخدمة والزحف. وهي تنتمي لما يُعرف بـ القاموس الأساسي الوظيفي؛ اللبنة الأولى في تعليم اللغة لأي مبتدئ.

فعندما تُربط هذه المفردات بسياقات حياتية مباشرة، فإن تعلُّمها لا يعود معرفيًا فقط، بل هو تواصليًا وعاطفيًا.

وهل للروابط العاطفية المرتبطة بالإمام الحسين وأهل البيت دورًا في تسريع تعلم المفردة العربية؟

للروابط العاطفية العميقة تجعل من المفردة العربية عنصرًا وجدانيًا، لا مجرد علامة لغوية. مثلًا، مفردات مثل: حب الحسين، دم الشهادة، أم البنين، أصبحت جزءًا من الهوية الروحية للزائر؛ مما يحفّز على حفظها ونطقها الصحيح وربطها بمعانيها العميقة.

وهذا يتفق مع ما أُورد في علم اللغة النفسي، أن اللغة المرتبطة بالعاطفة تُخزن وتُسترجع بشكل أسرع وأعمق من اللغة الحيادية) حسن، ٢٠٢٣، ص. ٥٥-)٧٨. تؤثر الاختلافات اللغوية بين الزوار على اللغة العربية المستخدمة في الشعائر؟ تتعدد اللهجات واللغات بين الزوار: الفارسية، التركية، الكردية، والإنجليزية، مما يؤدي

إلى نوع من التحوّل التواصلي الذي يولّد نمطًا لغويًا وسيطًا يمزج بين العربية وبعض الألفاظ الأجنبية؛ هذا النمط يعمل كـ لغة جسور: (حسن، ٢٠٢٣، ص. ٤٨)

- تُيسّر التفاهم بين الزوار.
- ويؤثر تدريجيًا على اللهجات المحلية المتواجدة في كربلاء.

يتبادر سؤال مهم في أذهاننا ألّا وهو: هل تشكل ظاهرة تعدد اللغات في الزيارة الأربعينية بيئة خصبة لابتكار تراكيب لغوية جديدة؟

نعم، كونه يؤدي إلى تعدد اللغات إلى ما يُسمى: بالتركيب اللغوي الهجين؛ فينتقل المتكلم بين العربية ولغة أخرى في نفس الجملة أو الحوار. هذه الظاهرة سوف تخلق تراكيب جديدة ربما لا توجد في اللغة العربية الكلاسيكية، لكنها تصبح مألوفة ومقبولة في البيئة الطقسية.

المبحث الثالث

بيئة الزيارة الأربعينية بوصفها ميدانًا للتفاعل اللغوي العالمي

تُعد الزيارة الأربعينية أحد أكبر التجمعات الدينية في العالم، حيث يتوافد ملايين الزوار من أكثر من ٨٠ دولة، بينهم عدد كبير من غير الناطقين بالعربية. هذه الزيارة تخلق بيئة فريدة لتبادل اللغات والمفردات العربية المرتبطة بالخطاب الديني والطقسي. فاللغة العربية في هذه البيئة ليست فقط وسيلة للتواصل، بل لغة ذات قداسة ومعنى رمزي، وهذا يعزز رغبة الزوار الأجانب في تعلمها أو على الأقل حفظ مفرداتها الأساسية؛ يبرز ذلك في استعمال العبارات القرآنية والأذكار والأدعية التي تُردد بصوت واحد، ما يساهم في نشر اللغة العربية وتعزيز مكانتها.

كما تلعب المؤسسات الدينية والإعلامية دورًا مركزيًا في تعزيز اللغة العربية أثناء الزيارة من خلال:

- ـ تنظيم دورات ومحاضرات مبسطة لتعليم مفردات دينية أساسية للزوار غير الناطقين بالعربية.
- ـ بث البرامج الإذاعية والتلفزيونية؛ تشرح الشعائر بلغة مبسطة مع ترجمة فورية، أو شرح بلغات أخرى.
- ـ إصدار كتب ومطبوعات مترجمة توضح المفردات والعبارات القرآنية المستخدمة في الزيارة.
- ـ المنصات الإلكترونية وتطبيقات للهاتف تساعد الزوار على تعلم مفردات الطقوس والأدعية.

كل ذلك يُسهم في ترسيخ اللغة العربية كوسيلة تواصل أساسية تعزز الانتماء الديني والثقافي.

أمّا في مسألة كيف تؤثر الزيارة الأربعينية في زيادة الوعي العالمي باللغة العربية بوصفها لغة مقدسة؟

الزيارة الأربعينية تبرز اللغة العربية كلغة مقدسة تتجاوز حدود الوطن العربي عبر(Edinburgh University Press، ٢٠٠٩، ص. ٢٨-٨٧):

- تجسيد اللغة في أجواء روحية وثقافية دينية تؤكد قيمتها لدى الملايين من الزوار.
- استفادة الشعوب غير الناطقة بالعربية من التعرف على المفردات الدينية يتكرر فيها الفاظ القرآن والحديث؛ مما يخلق وعيًا كبيرًا بدور اللغة العربية في الهوية الإسلامية.
- تشجيع الأبحاث والدراسات اللغوية المتصلة باللغة العربية من قبل مراكز بحثية عالمية بسبب الأهمية الروحية التي تتمتع بها هذه الزيارة.

هذه الظاهرة تسهم في تعزيز مكانة اللغة العربية عالميًا وتدعم جهود نشرها كلغة حية وراسخ؛ فالزيارة الأربعينية تجمع لغات وثقافات متعددة في بيئة واحدة، مما يجعلها إنموذجًا فريدًا للتفاعل اللغوي، إذ(رحيم، ٢٠١٤، ص. ٦٦):

- ـ يتم تبادل اللغات بين الزوار والعرب المحليين، مما يخلق لغة وسائط مختلطة وطرائق تواصل غير رسمية تعتمد على مفردات مشتركة.
- ـ تشجع الزيارة على التعايش الثقافي واللغوي من خلال التواصل المباشر والطقوس المشتركة التي تعتمد على اللغة العربية كأساس.

وهذه البيئة اللغوية تعد مصدراً لدراسة اللغويات الاجتماعية والتواصل بين الثقافات، تستفيد البرامج التعليمية من الخصوصية اللغوية للزيارة عبر:

- تصميم مناهج تتضمن مفردات وعبارات منطقية وشائعة الاستخدام في الزيارة لتسهيل التواصل مع الزوار.
- إعداد مواد تعليمية تتضمن الشروحات الدينية والثقافية التي تُعزز فهم اللغة في سياقاتها الحقيقية.
- استخدام تسجيلات صوتية ومرئية حية من الزيارة لتعليم النطق واللهجات.

هذه الأساليب تعزز تعلم اللغة بشكل تفاعلي وعملي، ما يرفع كفاءة المتعلمين من غير الناطقين بالعربية.

فاللغة العربية هنا تعمل كوسيط لغوي وركيزة للتواصل بين زوار من خلفيات لغوية متنوعة، ما يخلق شبكة اجتماعية لغوية تدعم التجانس اللغوي مؤقتًا. هذا يؤدي إلى:

- تحفيز تعلم مفردات وأساليب جديدة لتناسب التفاعل متعدد اللغات(قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، ٢٠١٨).
- تنشأة حس الانتماء المشترك عبر اللغة، على الرغم من التباين الثقافي.
- ظهور ظواهر لغوية مثل التبسيط، والتكييف اللغوي في النطق والتركيب.

أمّا الإعلام يلعب دورًا في:

- نقل شعائر الزيارة بالعربية وبترجمات متعددة، ما يوسع دائرة المتابعين.
- استخدام العربية في عناوين وتقارير تؤكد مكانتها كلغة مقدسة.
- خلق محتوى متعدد اللغات لكن مع اعتماد واضح على العربية كلغة أصلية.

فهذا يعزز الاعتراف العربي والعالمي باللغة، ويدفعها نحو مزيد من الانتشار؛ فإن التزاوج بين اللهجات العربية المختلفة واللهجات الأجنبية والزائرين يُسفر عن:

- ـ لهجات محدثة خاصة في المناطق المحيطة بالمواكب والشوارع التي تمر فيها، تحتوي على مفردات دخيلة ونطق مميز. هذه اللهجات غالبًا ما تستخدم لغرض التواصل اليومي في فترة الزيارة فقط، لكنها قد تؤثر على اللهجات الأصلية تدريجيًا.

وقد يتبادر في أذهاننا السؤال حول دور اللغة العربية في الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للزوار خلال الزيارة؟(عباس، ٢٠١٩، ص. ٤٥)

تكون الإجابة أنّ اللغة العربية تؤدي دورًا محوريًا في:

- تمكين الزوار من التواصل الروحي والثقافي من خلال نصوص قرآنية وأدعية.
- ترسيخ شعور الوحدة والانتماء من خلال ترديد العبارات المشتركة.
- الحفاظ على الطقوس كما هي عبر الأجيال، ما يعزز الهوية الدينيةمرجع:

وهل يمكن اعتبار الزيارة الأربعينية إنموذجًا للتبادل الثقافي واللغوي بين الشرق والغرب؟

نعم، فالزيارة تشكل نقطة التقاء بين الحضارات الشرقية والغربية؛ إذ يلتقي الزوار من مختلف القارات، فيتبادلون(عباس، ٢٠١٩، ص. ١٢٢):

- ـ المفردات الدينية والثقافية
- ـ العادات والتقاليد اللغوية

وتتطور اللغة العربية ضمن هذا الحيز لتصبح جسرًا بين الثقافات

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٣)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧هـ، آذار - ٢٠٢٦م

الخاتمة:

من خلال ما تناولناه في هذه المباحث يمكن أن نتوصل إلى أنّ كشفت هذه الدراسة، ومن خلال تحليل ظاهرة الزيارة الأربعينية عن دور بالغ الأهمية تؤديه هذه الشعيرة الدينية الكبرى في نقل اللغة العربية وتوسيع نطاقها الجغرافي والدلالي والثقافي، بعيدًا عن كونها مجرد ممارسة طقسية؛ فهذه الزيارة، التي تُعدّ من أكبر التجمعات البشرية في العالم، تتحول إلى مختبر لغوي مفتوح يشهد تفاعلات مستمرة بين اللغة العربية ومئات اللغات واللهجات الأخرى، سواء من خلال التلقّي أو التأثير المتبادل.

ففي المبحث الأول، تبيّن أن المفردات القرآنية المنتشرة في الشعارات والرايات والخطب تُسهم في ترسيخ كلمات عربية مقدسة في ذاكرة الزائر غير العربي، خاصة حينما تُتلى في سياقات وجدانية عالية التأثير. واتضح أيضًا كيف تؤثر الشعارات والمفردات القرآنية في تعزيز المفردة الدينية لدى الزائر، لا سيما غير العربي، من خلال المشاعر والانفعالات الجمعية التي تتركها التلاوات والرايات والخطب.

المبحث الثاني، فقد سلط الضوء على أن البيئة الشعائرية بما تحويه من مجالس وخطب ومواكب، تُعد مدرسة غير رسمية لتعليم اللغة العربية، من خلال التكرار، الترجمة، والتواصل الطبيعي، وهو ما يجعل تعلم المفردة الدينية والتعبير بها أيسر وأكثر رسوخًا، فقد أبرز أهمية المجالس الحسينية والمواكب والشعائر بوصفها مدرسة لغوية غير نظامية، تؤدّي وظيفة تعليمية وتواصليّة من خلال السماع والتكرار والترجمة الفورية.

وفي المبحث الثالث، ظهر أن اللغة العربية ليست دائمًا الطرف المُصدِّر للمفردات، بل إنها تتأثر هي الأخرى عبر التبسيط في البنية، والاقتراض من لغات الزوار، والتغير الدلالي لبعض المفردات الدينية، كما لاحظنا أن اللغة العربية نفسها تتعرض لتأثيرات لغوية، كالتبسيط البنيوي والاقتراض من اللغات الأجنبية، مما يؤكد ديناميكيتها الحيّة.

فقد قدّمت الزيارة الأربعينية بوصفها مشهدًا لغويًا عالميًا، يجعل من اللغة العربية لغة عبور حضاري وديني وثقافي، لا تقتصر على أهلها بل تمتد لتُصبح لغة مشتركة بين ملايين الزوار من جنسيات شتى ، وكيف تحوّلت الزيارة إلى فضاء لغوي عالمي، تصبح فيه العربية لغة مشتركة وجسرًا حضاريًا بين الشرق والغرب.

إن أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة هو أن الزيارة الأربعينية لا تُسهم فقط في نشر الدين والثقافة، بل تخلق أيضًا بيئة لغوية خصبة تُعيد تشكيل وظائف اللغة العربية ومكانتها عالميًا، وتفتح أمامها آفاقًا جديدة من التداول والتلقي، مما يستوجب من اللغويين والمؤسسات الأكاديمية رصد هذه الظاهرة وتوظيفها في تطوير مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها.

وفي ظل هذا التفاعل الحيّ، يبرز دور الزيارة الأربعينية بوصفها موسمًا سنويًا لغويًا عالميًا، تستحق أن تُدرس بوصفها نموذجًا تطبيقيًا فريدًا في علم اللغة الاجتماعي والديني والتعليمي.

التوصيات

استنادًا إلى النتائج التي توصّل إليها البحث، يُوصى بما يأتي:

٣. تشجيع الباحثين في علوم اللغة والاجتماع الديني على دراسة مناسبات دينية كبرى أخرى (مثل الحج، العمرة، والزيارات الموسمية) بوصفها بيئات لغوية حية تستحق التحليل والملاحظة.

٤. إطلاق مبادرات تعليمية ميدانية أثناء موسم الزيارة الأربعينية، تُقدَّم فيها دورات مبسطة في المفردات الدينية للزوار الأجانب، بالتعاون مع العتبات المقدسة، ومراكز تعليم العربية.

٥. تصميم أدوات بحث ميدانية كمية لتحديد حجم المفردات التي يكتسبها الزائر غير الناطق بالعربية، وتصنيفها حسب مجالاتها: دينية، اجتماعية، وظيفية.

٦. إنشاء قاعدة بيانات لغوية خاصة بالشعائر الأربعينية، تحتوي على الشعارات، الخطب، اللافتات، مع ترجمتها وتحليلها نحويًا ودلاليًا، بالشراكة مع الجامعات ومراكز البحث.

٧. دراسة أثر الإعلام الديني العربي والدولي، ولا سيّما الفضائيات والمنصات الرقمية، في نقل المفردات والعبارات العربية إلى جمهور غير ناطق بها، وتقييم مستويات التلقي والتفاعل.

٨. إعادة النظر في مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها، لتضمين مفردات وشواهد حيّة مستخلصة من نصوص الشعائر الأربعينية، لما تحمله من شحنة وجدانية عالية التأثير.

٩. اقتراح برامج دراسية متعددة التخصصات (اللغة – الدين – الإعلام)، تستثمر ظاهرة الزيارة الأربعينية بوصفها ميدانًا للتفاعل اللغوي والثقافي العالمي.

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. أحمد هنان. التعليم المشحون عاطفيًا والتكرار الشعائري. ٢٠٢٣م.

٣. أمجد الفاضل، ومحاضرون آخرون. نموذج ندوة في مضامين زيارة الأربعين. كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، ندوة أكاديمية، ١٨ تشرين الأول ٢٠١٨م.

٤. حسن جندبي. تعليم المفردات للناطقين بغير العربية من خلال أحاديث الأربعينية. ط١، ٢٠٢١م.

٥. رامي الأسدي، وأحمد فاضل الصفار. دور المؤسسات التعليمية في تعزيز قيم المواطنة خلال زيارة الأربعين. ط١، ٢٠٢٤م.

٦. ريم عبد الرحمن حسن. تطوير مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عبر البيئة الثقافية للزيارة الأربعينية. جامعة دبي، كلية التربية، ٢٠٢٣م.

٧. سلام عباس. دراسات الإمام الحسين عليه السلام: دراسة في الأسانيد والمتون. رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠١٩م.

٨. سمير محمد حسين. اللغة العربية والتواصل الاجتماعي في الزيارة الأربعينية: دراسة تطبيقية. رسالة ماجستير، جامعة بيروت، كلية الآداب، ٢٠٢٤م.

٩. شعبان عمران. طرق وأساليب حديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. ط١، مجلة كلية الآداب، قنا، مصر، ٢٠٢٢م.

١٠. صادق المخزومي. زيارة الأربعين: دراسة سوسيولوجية ميدانية. ط١، مؤسسة أديان للثقافة والنشر، النجف، العراق، ٢٠٢٠م.

١١. عبد الله بن أحمد الزاهري. تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في السياقات الدينية. ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠١٩م.

١٢. عبد الرزاق الكيلاني. اللغة العربية في العالم المعاصر. ط٤، دار البازوري، عمان، ٢٠٢١م.

١٣. عبد العزيز رحيم. السياق الجماهيري والتلقي المتعدد الوجوه. جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠١٤م.

١٤. علاء عبد الخالق حسين. دور زيارة الأربعينية في تعزيز الصحة النفسية والاجتماعية للمشاركين. ط١، بغداد، العراق، ٢٠٢٤م.

١٥. علي الكعبي. اللهجات العربية واللهجات الأجنبية: دراسة حالة في منطقة الاحتشاد الأربعيني. رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٢٣م.

١٦. فاضل الصفار، أحمد، ورامي الأسدي. دور المؤسسات التعليمية في تعزيز قيم المواطنة خلال زيارة الأربعين. ط١، ٢٠٢٤م.

١٧. محمد العفيفي. اللغة العربية ودورها الحضاري في العالم الإسلامي. ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٨. مركز الإشعاع الإسلامي. تجليات الآيات القرآنية في الزيارة الأربعينية. ط١.

١٩. مركز كربلاء للبحوث والدراسات. آثار ودلالة زيارة الحسين في الأربعين. ط١، بغداد، العراق، ٢٠١٨م.

٢٠. مركز كربلاء للدراسات والبحوث. تصميم مناهج تفاعلية لتعليم العربية بالاستناد إلى الطقوس الأربعينية. مجلة كربلاء للدراسات الأربعينية، المجلد ٢، العدد ٣.

٢١. مضامين زيارة الأربعين. قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء، تشرين الأول، ٢٠١٨م.

٢٢. هشام عبد الله. اللسانيات الاجتماعية وتطبيقاتها المعاصرة. ط١، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠٢٠م.

٢٣. هاني إسماعيل رمضان. تعليم العربية لغير الناطقين بها: رؤية استشراقية. ط١، بدون تاريخ.

٢٤. إدنبرة يونيفيرستي برس. تأثير الإعلام والتعليم في بيئات متعددة اللغات. Edinburgh University Press، ٢٠٠٩م.

٢٥. جامعة طهران. التشابه اللغوي والتعليم الميسر: دراسة تطبيقية على متعلمي العربية من الناطقين بالفارسية. مقالة علمية.

٢٦. مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية. التأثير المتبادل في البنى الصرفية العربية والتركية. ٢٠٢٣م.

الأربعين

ALARBA'IN

Semi-Annual Scientific Journal

Concerned with Publishing

The Research and Studies in Human Sciences

Issued by

The General Secretariate

of AL- Hussein Holy Shrine

Karbala Center for Studies and Research

Vol.4, 4th year , March 2026 A.M - Ramadan 1447 A.H

Supplement (3) A special issue of the ninth International

Conference for the Ziyarte Al Arba'een